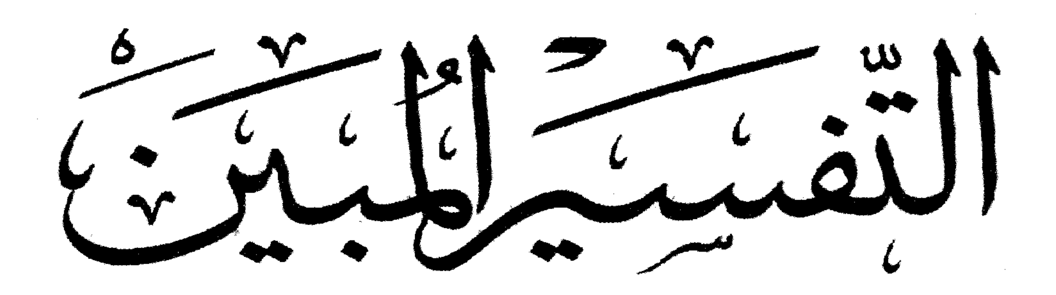


ألّفه وكتبه:

الفقير إلى عفو ربه

الدكتور / عبد الرحمن بن حسن النفيسة

صاحب

مجلة البحوث الفقهية المعاصرة

المجلد الرابع

ح مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، ١٤٢٩هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
النفيسه ، عبد الرحمن بن حسن
التفسير المبين. / عبد الرحمن حسن النفيسه . - الرياض ، ١٤٢٩هـ
٦مج
ردمك : ٧-٠-٩٠٠٣٠-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
٥-٤-٩٠٠٣٠-٦٠٣-٩٧٨ (ج٤)
١- القرآن - التفسير الحديث أ. العنوان
ديوي ٢٢٧,٦ ٣٦١٤/ ١٤٢٩

رقم الايداع : ٣٦١٤/ ١٤٢٩
ردمك : ٧-٠-٩٠٠٣٠-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
٥-٤-٩٠٠٣٠-٦٠٣-٩٧٨ (ج٤)

جميع الحقوق محفوظة
لـ «مجلة
البحوث الفقهية المعاصرة»
المملكة العربية السعودية - الرياض

يطلب هذا التفسير وكتب المؤلف من

الدار التدمرية للنشر والتوزيع بالرياض

هاتف : ٤٩٢٤٧٠٦

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الأنفال

مدنية وآياتها خمس وسبعون آية

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ ﴾.

بيان الآية:

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ النفل ما يعطيه ولي الأمر لأصحاب الجيش إكراماً لهم على جهودهم في الحرب. وسبب نزول هذه الآية مارواه أبو أمامة عن عبادة بن الصامت قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ فشهدت معه بدراً فالتقى الناس فهزم الله تعالى العدو فانطلقت طائفة في آثارهم يهزمون ويقتلون. وأقبلت طائفة على العسكر يحوزونه ويجمعونه، وأحدقت طائفة برسول الله ﷺ لا يصيب العدو منه غرة حتى إذا كان الليل وفاء الناس بعضهم إلى بعض قال الذين جمعوا الغنائم: نحن حويناها فليس لأحد فيها نصيب. وقال الذين خرجوا في طلب العدو: لستم بأحق به منا نحن منعنا عنه العدو وهزمناهم وقال الذين أحدقوا برسول الله ﷺ: لستم بأحق منا نحن أحدقنا برسول الله ﷺ خفنا أن يصيب العدو

منه غرة فاشتغلنا به فنزلت هذه الآية فقسمها رسول الله ﷺ بين المسلمين. وكان رسول الله إذا أغار في أرض العدو نفل الربع فإذا أقبل (وكل الناس) راجعاً نفل الثلث وكان يكره الأنفال ويقول: (**ليرد قوي المؤمنين على ضعيفهم**)(١).

وقد روى سعد بن مالك قال: يارسول الله قد شفاني الله اليوم من المشركين فهب لي هذا السيف فقال: (**إن هذا السيف لا لك ولا لي فضعه**) قال: فوضعته ثم رجعت قلت: عسى أن يعطى هذا السيف من لا يبلي بلائي قال: فإذا رجل يدعوني من ورائي قال: قلت قد أنزل فيَّ شيئاً ؟ قال: (**كنت سألتني عن السيف وليس هو لي وإنه قد وهب لي فهو لك**) قال: وأنزل الله هذه الآية(٢) ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ الآية.

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ أي: الزموا تقوى الله حتى لا يكون بينكم خلاف حول أمر من الأمور كحال اختلافكم في النفل ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ أي: فيما أمراكم به في قسمة الغنيمة ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي: إن كنتم حقاً مؤمنين بالله، ومصدقين برسوله وبما جاءكم به.

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٣٩٢-٣٩٣، وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص٢٧٢، والجامع لأحكام القرآن ج٧ ص٣٦٠ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٢٧١، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ج١ ص١٧٨ .

أحكام ومسائل الآية:

وجوب تقوى الله بتوحيده، وطاعته، وإخلاص العبادة له وحده لا شريك له. ومن الأحكام: وجوب إصلاح ذات البين درءاً للاختلاف الذي يفضي إلى الفساد. وشاهده من الكتاب قول الله عز وجل ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾[١]. وقوله عز ذكره ﴿وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾[٢]. وقوله جل ثناؤه ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾[٣]. أما شاهده من السنة فما روته أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيراً أو يقول خيراً**)[٤].

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾.

---

(١) سورة النساء من الآية ١١٤.

(٢) سورة النساء من الآية ١٢٨.

(٣) سورة الحجرات من الآية ١٠.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الصلح، باب ليس الكاذب الذي يصلح بين الناس، برقم (٢٦٩٢)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٥ ص٣٥٣.

بيان الآيات:

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ إخبار من الله وتوصيف منه عز وجل للمؤمنين فهم الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم أي: خافت وفزعت من عذابه. ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ يعني أنهم إذا سمعوا المواعظ التي تذكر بعظمة الله وآياته تزداد قلوبهم إيماناً فيكثرون من الحسنات ويتباعدون عن السيئات. ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ أي: يوكلون أمورهم إليه فيدركون أنه حسبهم وناصرهم ومعينهم لا يرجون ولا يخشون أحداً سواه.

﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ لما ذكر الله عز وجل صفتهم في الوجل وازديادهم للإيمان بعد سماعهم لآيات الله، بيَّن أن من صفاتهم إقامة الصلاة بوصفها أهم أركان الإسلام بعد الشهادتين. ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ أي: ومن صفاتهم إنفاقهم مما أعطاهم الله من المال؛ فيؤدون الزكاة المفروضة ويتصدقون كما قال عز وجل ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾(١).

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ﴾ توكيد لصفاتهم المذكورة وأن

---

(١) سورة البينة الآية ٥ .

إيمانهم ذلك هو الإيمان الحقيقي وجزاؤه أن ﴿لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ أي: منازل في الجنة. ﴿وَمَغۡفِرَةٞ﴾ أي: غفران سيئاتهم وخطيئاتهم. ﴿وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾ أي: الجنة وما أعده الله لهم فيها من النعيم المقيم.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أنّ من صفات المؤمن وجل القلب عند ذكر الله، وتلاوة آياته، والتوكل عليه. ومن هذه الصفات: إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وسائر أركان الإيمان. تقرير أن المؤمنين ينالون الدرجات في الجنة، وتكفر عنهم سيئاتهم وخطيئاتهم.

﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥ يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ۝٦ وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ تَكُونُ لَكُمۡ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٧ لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ وَيُبۡطِلَ ٱلۡبَٰطِلَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ۝٨﴾.

بيان الآيات:

﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ﴾ لما علم الله اختلاف بعض

أصحاب رسول الله ﷺ في الأنفال، ثم حكم بأنها لله ورسوله وتمت قسمتها بالعدل قال عز وجل: هذه الحال في كرهكم لها مثل الحال التي كرهتم فيها الخروج لقتال المشركين يوم بدر فكانت لكم العاقبة والمصلحة في ذلك القتال، وكانت لكم المصلحة كذلك في قسمة الغنائم بينكم بالعدل. ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾ أي: كانوا كارهين لقتال المشركين. ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ﴾ أي: جادلوك في الأنفال كما جادلوك في القتال حين قالوا آنذاك: أخرجتنا للعير ولم تعلمنا أن هنالك قتالاً نواجهه والمجادلة في الحق أي: في القتال بعد ما تبين لهم أن الله قد وعدهم إما النصر على المشركين أو أخذ العير. ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ أي: أنهم كرهوا لقاء المشركين وهم يدركون أن ذلك سيحل بهم.

﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾ أي: يعدكم إما العير وهي عير أبي سفيان التي كانت آتية من الشام، أو قتال المشركين ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ أي: تحبون أن تكون العير لكم لأنه ليس فيها حرب. ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ أي: يريد أن يظهره وذلك بهزيمة المشركين ونصرة المؤمنين. ﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: يمكنكم من رقابهم فتهزموهم فلا يبقى منهم إلا من استسلم أو هرب.

﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَـٰطِلَ﴾ هذا توكيد بأنه جل وعلا يحق الحق وهو نصر الإسلام وأوليائه، وهزيمة الباطل وأوليائه ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ أي: لوكره ذلك المشركون الذين أجرموا في حق أنفسهم فأشركوا مع الله غيره واستكبروا عن عبادته وحده وعاندوا رسوله رغم ما جاءهم به من البينات.

أحكام ومسائل الآيات:

بيان الله للمؤمنين أن جعل الأنفال لله ولرسوله، وأن قسمتها بالعدل فيه مصلحة لهم رغم كره بعضهم لذلك وهذا مثل كرههم للخروج يوم بدر لقتال المشركين؛ ذلك أن رسول الله ﷺ بعث بعض أصحابه لاعتراض قافلة قريش التي كانت قادمة من الشام بقيادة أبي سفيان. ولما خرج رسول الله ﷺ وعد أصحابه إحدى الطائفتين إما العير، أو نفير قريش. فلما نجت القافلة ونفر المشركون من مكة بعد علمهم أن رسول الله ﷺ أراد اعتراض القافلة استشار عليه الصلاة والسلام أصحابه في قتال المشركين فوافق بعضهم على قتالهم في بدر، وكره بعضهم ذلك. وقد وقع القتال فكانت العاقبة للمؤمنين. ومن أحكام الآيات أن الله يحق الحق ويبطل الباطل وقد تحقق هذا في تلك الغزوة وغيرها.

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ

ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾

بيان الآيتين:

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً فاستقبل عليه الصلاة القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه (**اللهم أنجز لي ماوعدتني، اللهم آت ماوعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض**) فما زال عليه الصلاة يهتف لربه مادّاً يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه. فأتاه أبوبكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال: يانبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ماوعدك فأنزل الله تعالى هذه الآية[1]. وقد استجاب الله دعاءه بقوله عز وجل ﴿أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ فكان جبريل في خمسمائة وميكائيل في خمسمائة[2]. وقوله ﴿مُرْدِفِينَ﴾ أي: متتابعين وقد روى ابن عباس أنه بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه،

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم، برقم (٤٥٠٧)، صحيح مسلم بشرح النووي ج٨ ص٤٨٦٨ .

(٢) تفسير البغوي ص٥١٥، وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص٢٧٩ .

وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم، فنظر إلى المشرك أمامه فخرّ مستلقياً فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه وشقّ وجهه كضربة السوط فاخضر ذلك أجمع فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله ﷺ فقال: (**صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة**) فقتلوا يومئذٍ سبعين وأسروا سبعين(١).

﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ ﴾ المراد به الإمداد الذي أتى من السماء أو يكون المراد الملائكة الذين جاؤوا للمعركة مردفين. ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ﴾ أي: أن مجيئهم كان رابطاً لقلوبكم ومثبتاً لها. ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ أي: لا ناصر ولا معين لكم إلا هو، وليس الملائكة. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ﴾ أي: له العزة والغلبة. ﴿ حَكِيمٌ ﴾ أي: حكيم فيما أمر به رسوله من قتال المشركين مع أنه قادر على إهلاكهم دون قتال.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن الاستغاثة المشروعة يجب أن تكون بالله تعالى؛ إذ إن كل استغاثة بغيره فيما لا يقدر عليه إلا هو يعد شركاً أكبر. أما الاستغاثة بالمخلوقين فيما يقدرون عليه كالاستغاثة بدفع صولة عدو أو نحو ذلك فهي جائزة. ومن الأحكام: أن الله تعالى يستجيب لاستغاثة عباده

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم، برقم (١٧٦٣)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ص٤٨٦٨ .

المؤمنين فيرسل لهم الملائكة يقاتلون معهم كما في الآيات وكما كان مشهوداً في بعض غزوات رسول الله ﷺ.

﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ ﴾ لما ذكر الله عز وجل أنه يربط على قلوب المؤمنين ذكَّرهم بما منَّ به عليهم من غشيانهم بالنعاس أماناً لهم من الخوف الذي داخلهم من عدد المشركين يوم بدر كما قال عز وجل في يوم أحد ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ ﴾[1]. وقد ورد أن رسول الله ﷺ كان يوم بدر في عريش وضع له ومعه أبوبكر رضي الله عنه، وهما يدعوان الله بالنصر فأخذته عليه الصلاة والسلام سنة

---

(١) سورة آل عمران من الآية ١٥٤ .

من النوم ثم استيقظ وهو يبتسم فقال: (**أبشر يا أبابكر هذا جبريل على ثناياه النقع**) ثم خرج من باب العريش وهو يتلو قول الله تعالى ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾[١]. وقال علي رضي الله عنه: ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد، ولقد رأيتنا وما فينا إلا نائم إلا رسول الله ﷺ يصلي تحت شجرة ويبكي حتى أصبح[٢].

﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ ذكر ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لما سار والمسلمون إلى بدر كان المشركون بينهم وبين الماء رملة دعصة فأصاب المسلمين ضعف شديد حين ناموا على غير ماء، واحتلم أكثرهم وألقى الشيطان في قلوبهم حين تمثل لهم في صورة رجل يوسوس بينهم ويقول: أنتم تزعمون أنكم أولياء الله وفيكم رسوله، وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم تصلون مجنبين ولو كنتم على حق لما غلبوكم. فأنزل الله عليهم مطراً شديداً فشربوا وتطهروا وثبت الرمل حين أصابه المطر وسار الناس والدواب عليه، وأذهب الله عنهم رجز الشيطان كما قال عزوجل ﴿لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ أي: وساوسه وتخويفه لكم[٣].

﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾ أي: يثبت قلوبكم في محاربة عدو الله

---

(١) تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٢٧٩، والآية في سورة القمر الآية ٤٥ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج٧ ص٣٧٢، وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص٢٧٩ .

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٦ ص١٩٥، وتفسير البغوي ص٥١٥، وزاد المسير لابن الجوزي ص٥٤٣، وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص٢٧٩-٢٨٠ .

وعدوكم. ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾ المراد به الشجاعة. ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ﴾ المراد أن الله جل وعلا أوحى إلى الملائكة الذين جاؤوا إلى معركة بدر لنصر نبيه أن يثبتوا الذين آمنوا بما يكون مشجعاً ومقوياً لهم على القتال؛ فكان الملك يأتي في صورة رجل يمشي بين الصفوف ويقول: أبشروا بالنصر، وهو معنى قوله ﴿فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۚ﴾ ثم قال للملائكة ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ﴾ أي: سأجعلهم يفزعون ويخافون حتى تنهار قواهم. ﴿فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ﴾ أي: الرقاب. ﴿وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ المراد به مفاصل اليدين والرجلين لكي يتوقفوا عن الضرب بأيديهم، وعن الحركة بأرجلهم. وقد صدق الله وعده فانهزم المشركون وقتل منهم تسعة وتسعون منهم أبو جهل، وأسر عقبة بن أبي معيط وقتل صبرا.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ﴾ أي: إن ما حصل لهم من الضرب كان بسبب مشاقتهم لله ورسوله، ومعاندتهم، وإصرارهم على شركهم رغم ما جاءهم من البينات. ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ أي: يحاده ويعانده. ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ أي: أليم العقاب لكل من يشاقه.

﴿ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ﴾ ذوقوا هذه الهزيمة التي حلت بكم في الدنيا.

﴿وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ وهذا هو الجزاء لكم ولهم في الآخرة.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير نعم الله على رسول الله ﷺ وصحابته يوم غزوة بدر الكبرى؛ فقد غشاهم النعاس أمنة لهم من الخوف من عدد المشركين، وأنزل عليهم المطر حين عدموا الماء، وثبت أقدامهم في الحرب وألقى الرعب في قلوب عدوهم، وعلَّمهم طرق الحرب. ومن الأحكام: كفر من شاق الله ورسوله، وتقرير ما يستحقه من العذاب في الدنيا والآخرة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ الخطاب للمؤمنين. ﴿إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا﴾ أي: إذا لقيتموهم وهم وأنتم في جيش زاحف أي: كبير وداهم. وسمي زحفا لأنه من كثرته وتوجهه إلى المعركة مثل من يزحف دلالة على بطء حركته. ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ أي: لا تفروا من أمامهم منهزمين.

﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ﴾ هذا هو الاستثناء

والمراد أن يفر فيظن عدوه أنه انهزم أمامه ثم ما يلبث أن يكر عليه وهي حال الخدعة في الحرب ومن أساليبها. ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾ أي: ينضم إلى فئة أخرى مقاتلة لما فيه المصلحة في كسب الحرب. ﴿فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: إذا فر من المعركة ولم يكن هدفه التحرف للقتال، أو التحيز إلى فئة من أصحابه فقد رجع من معركته تلك وهو مغضوب عليه من الله. ﴿وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ﴾ أي: ستكون جهنم مقره. ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ أي: بئس المقام.

أحكام ومسائل الآيتين:

وجوب الثبات أمام العدو عند القتال لكي يتحقق النصر أو الشهادة في سبيل الله، وهذا يقتضي تحريم الفرار أمامه لما في ذلك من غضب الله وسخطه. ويستثنى من التحريم من يفر ليخدع العدو ثم يكر عليه، أو يكون فراره بقصد الانضمام إلى فرقة أو طائفة أخرى لمساندتها في هجومها، أو فك الضيق عنها.

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾﴾.

بيان الآيات:

بيَّن الله عز وجل أن كل شيء بأمره وإرادته وحكمته وأن البشر لا ينصرون أنفسهم، ولكن الله هو الذي ينصرهم على عدوهم إذا أراد ولهذا انتهت معركة بدر بنصر المؤمنين. ولما قُتِلَ من قُتِلَ من صناديد المشركين كان بعض المقاتلين من المسلمين يتفاخر ويقول قتلت وفعلت، فبيَّن الله عز وجل أنه هو الذي هزم المشركين فقال عز ذكره ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ فهو الذي أنزل الملائكة، وأمرهم أن يثبتوا المقاتلين، ويبشروهم بالنصر، ويقووهم على القتال؛ وهو الذي ألقى الرعب في قلوب المشركين، وأمر الملائكة بضرب أعناقهم. وهو الذي أنزل المطر فطهر به المقاتلين من المسلمين وأذهب عنهم وساوس الشيطان.

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ لما تعاظمت قريش على رسول الله ﷺ قال: (**هذه قريش قد جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسلك اللهم إني أسألك ماوعدتني**) فأتاه جبريل عليه السلام فقال: خذ قبضة من تراب فارمهم بها فقال لما التقى الجمعان لعلي رضي الله عنه: (**أعطني قبضة من حصباء الوادي**) فرمى بها في وجوههم وقال: (**شاهت الوجوه**) فلم يبق مشرك إلا شغل بعينيه فانهزموا فتبعهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم[1]. والمعنى أن الرمية التي رميتها يامحمد لم

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي مختصراً ص٣٩٥، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٦ ص٢٠٤-٢٠٥، وتفسير البغوي ص٥١٨، وزاد المسير لابن الجوزي ص٥٤٥، وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص٢٨٣.

تبلغ مابلغته ضد المشركين إلا أنها رمية من الله ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ أي: هو الذي رمى المشركين بقوته وقدرته. ﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا﴾ أي: ليتبين للمؤمنين ما مَنَّ به عليهم من نصرهم على عدوهم مع كثرة عدده وعُدده وقلة عددهم وعدتهم. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أي: سمع دعاء نبيه ودعاء المؤمنين فاستجاب لهم وهزم عدوهم.

﴿ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: مضعف كيدهم فكلما زاد كيدهم أبطله الله وخذلهم.

﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾ هذا خطاب لقريش على سبيل السخرية منهم؛ ذلك أنهم لما أرادوا النفير لنصرة العير القادمة من الشام ومعها أبو سفيان تعلقوا بأستار الكعبة ودعوا الله أن ينصرهم لأنهم يقرون الضيف، ويفكون العاني، ويصلون الرحم، وأن ينصر محمداً إن كان على حق أو ينصرهم إن كانوا على حق. وقيل: إن أبا جهل قال يوم بدر: اللهم أينا كان أهجر وأقطع للرحم فأَحِنْه اليوم أي: دمِّره وأهلِكه[1]. والمعنى إن تستفتحوا أيها المشركون للفصل بينكم وبين محمد فقد جاءكم الفتح أي: هزيمتكم ﴿وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أي: إنكم إذا وحدتم الله وأطعتم رسوله وتركتم محاربته

(١) زاد المسير لابن الجوزي ص٥٤٥، وأسباب نزول القرآن للواحدي ص٣٩٥-٣٩٦، وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص٢٨٤ .

فهو خير لكم من عداوتكم له. ﴿وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ﴾ أي: إن تعودوا لمعاداته نعد أي: نهزمكم ونهلككم. ﴿وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ﴾ أي: لن يغني عنكم جمعكم مهما كان عدده ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: أن الله يكون دائماً مع المؤمنين كما قال عزوجل ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾[1].

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن الله هو الذي يتولى نصر عباده وأوليائه؛ فالمجاهد مهما كانت قوته وبأسه لا يقدر بأي حال على أن ينتصر لنفسه من عدوه لأن مناط النصر وأسبابه من الله كما قال عز وجل ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾[2]. فمن ابتغى النصر منه أجابه، ومن ابتغاه من غيره وكله إلى نفسه. ومن مسائل الآيات معجزة حفنة التراب التي غشيت وجوه المشركين، وأعمت أبصارهم. ومنها: أن الله يضعف كيد الكافرين في كل زمان ومكان.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ

---

(١) سورة غافر الآية ٥١ .

(٢) سورة الأنفال من الآية ١٠ .

﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢١﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ الخطاب للمؤمنين وقد أمرهم الله بالاستمرار على الطاعة له ولرسوله والثبات على ذلك. ﴿وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ أي: لا تعرضوا عما أُمرتم به وأنتم تسمعون ما جاءكم من البينات كما يفعل الكافرون. ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا﴾ أي: المنافقين الذين يقولون بألسنتهم سمعنا ﴿وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ أي: لا يصدقون بقلوبهم.

﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ﴾ أي: إن شرّ الناس عند الله أولئك الذين لايحبون سماع الحق أو فهمه، فهم دائماً يعرضون عن سماعه وفهمه. ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ أي: لا يفهمون بعقولهم حقيقة ما أمروا به من طاعة الله وطاعة رسوله؛ فهم من جنس البهائم بل هم شرّها. ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ أي: إن الله يعلم أنه ليس فيهم خير فلم يهدهم لأنه يعلم بعلمه المطلق أنه لو هداهم لأعرضوا عن سماع الحق، وقبوله تكبراً وعناداً منهم.

أحكام ومسائل الآيات:

وجوب طاعة الله، وطاعة رسوله فيما أمرا به والانتهاء عما نهيا عنه، وهذا يقتضي تحريم اتباع أهل الكفر والنفاق في ضلالهم وقولهم بألسنتهم ما ليس في قلوبهم. ومن أحكام الآيات: التقرير بأن شرّ الناس عند الله أولئك الذين يعرضون عن سماع الحق.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةًۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾ المراد بهذا الأمر للمؤمنين أن يستجيبوا لما يأمرهم الله به ورسوله استجابة طاعة وتصديق. ﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ أي: لما ينفعكم في دينكم ودنياكم؛ ذلك أن كل أمر من الله أو من رسوله فيه خير للمأمور في عاقبة أمره. ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ ﴾ أي: يحول بين المؤمن والكفر، ويحول بين الكافر والإيمان؛ ولهذا

يجب أن يكون العبد وجلاً متعلقاً بربه حتى يثبته على دينه. وفي هذا روى أنس بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول: (**يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**) قال: فقلنا: يارسول الله آمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا ؟ قال: (**نعم. إن القلوب بين إصبعين من أصابع الله تعالى يقلبها كيف يشاء**)[١]. ﴿وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴾ المراد أنكم إذا استجبتم له ولرسوله حقاً وصدقاً فسوف يجازيكم بالثواب إذا حشرتم إليه.

﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ ﴾ أي: احذروا فتنة ﴿لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗ ﴾ قيل: إن المراد بها الصحابة، وقد تأولها الزبير بن العوام يوم وقعة الجمل وقال: «لقد قرأنا هذه الآية على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر ولم نكن نحسب أنا أهلها حتى وقعت منا حيث وقعت»[٢]. وقيل: فيها تأويلات عدة[٣] وأياً كانت هذه التأويلات فإن الله تعالى حذر هذه الأمة سلفها وخلفها من الفتن التي تتعرض لها في دينها ودنياها، وعلى رأس هذه الفتن التفرق والاختلاف والبعد عن الطريق الذي رسمه الله لها، وهو وحدتها في دينها المرسل إليها على لسان رسولها ونبيها محمد ﷺ.

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب القدر، باب ما جاء أن القلوب بين إصبعين للرحمن، برقم (٢١٤٠)، سنن الترمذي ج٤ ص٣٩٠، وابن ماجة في المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية، برقم (١٩٩)، سنن ابن ماجة ج١ ص٧٢ .

(٢) تفسير البغوي ص٥٢٠-٥٢١، وزاد المسير لابن الجوزي ص٥٤٧ .

(٣) تفسير البغوي ص٥٢٠-٥٢١، وزاد المسير لابن الجوزي ص٥٤٧ .

ومن هذه الفتن عدم التناهي عن المنكرات التى تقع في الأمة وقد ضرب لها مثلاً بما جرى لبني إسرائيل بقوله ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾[١]. ﴿ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾[٢]. ﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴾[٣]. ولما سألت زينب بنت جحش رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: (**نعم إذا كثر الخبث**)[٤]. وفي حديث حذيفة بن اليمان أن رسول الله ﷺ قال: (**والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم**)[٥].

وفي حديث النعمان بن بشير أن رسول الله ﷺ خطب وأومأ بإصبعيه إلى أذنيه وقال: (**مثل القائم على حدود الله والواقع فيها**

---

(١) سورة المائدة الآية ٧٨ .

(٢) سورة المائدة الآية ٧٩ .

(٣) سورة المائدة الآية ٨٠ .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ «ويل للعرب من شر قد اقترب»، برقم (٧٠٥٩)، صحيح البخاري ج١٣ ص١٣ .

(٥) أخرجه الترمذي في كتاب الفتن، باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، برقم (٢١٦٩)، سنن الترمذي ج٤ ص٤٠٦، وأحمد في المسند ج٥ ص٣٨٨ .

كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مرّوا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا. فإن يتركوهم ما أرادوا هلكوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً)[(١)].

وفي حديث جرير البجلي أن رسول الله ﷺ قال: (**مامن قوم يعمل فيهم بالمعاصي هم أعز وأكثر ممن يعمله ثم لم يغيروه إلا عمهم الله بعقاب**)[(٢)]. فهذه الآية والأحاديث تدل على أن العامة يعاقبون بذنوب الخاصة إذا لم يردعوهم عن فسقهم وينهوهم عما يرتكبونه من المنكرات؛ ذلك أن حكمة الله اقتضت أن لا تقوم الأرض على فساد أو طغيان فإذا وجد في الأمة من يفسد أو يطغى في الأرض وجب عليها ردعه؛ فإذا سكتت عن ذلك كانت بمثابة الراضي بفعله فأصبحت كلها عاصية. ولهذا حذر الله عز وجل من الفتنة التي لا تقتصر على الظالم بل تتعداه إلى الصالح.

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ أي: تدبروا واعلموا علم

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه، برقم (٢٤٩٣)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٥ ص١٥٧ .

(٢) أخرجه أحمد في المسند ج٤ ص٣٦٤، وأبو داود في كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، برقم (٤٣٣٨)، سنن أبي داود ج٤ ص١٠٧، والمنذري في الترغيب والترهيب ج٣ ص٢٢٩، وأخرجه المتقي الهندي في كنز العمال ج٣ ص٧٠، برقم (٥٥٣٥).

يقين أن الفتنة إذا وقعت وعم الفساد ولم يتناهَ الناس عنه فسيعاقبهم الله عقاباً شديداً.

﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ﴾ يذكّر الله عباده المؤمنين أنهم كانوا قلة في عددهم إلى جانب الكفار الذين يفوقونهم عدداً وقوة. قوله ﴿مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: كانت قريش تستضعفكم في مكة ولم يكن لكم حينئذٍ ناصر ولا معين. ﴿تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ﴾ المعنى كنتم تخشون من كان حولكم من الكفار والمنافقين. ﴿فَآوَاكُمْ﴾ أي: جعل لكم الله مأوى في المدينة عند الأنصار أمنتم عندهم على أنفسكم وعلى دينكم وأهليكم. ﴿وَأَيَّدَكُم﴾ أي: قواكم. ﴿بِنَصْرِهِ﴾ أي: بعونه وقوته ومكن لكم في المدينة مقاماً عند إخوانكم الأنصار. ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ أي: الغنائم التي حصلتم عليها من المشركين. ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي: تحمدون الله وتشكرونه على ما أنعم به عليكم من هذه النعم.

أحكام ومسائل الآيات:

وجوب الاستجابة لله ولرسوله، وهذا يقتضي الائتمار بما أمرا به من الفرائض والواجبات، والانتهاء عما نهيا عنه من المحرمات مما ورد في كتاب الله عز وجل وفي سنة رسوله محمد ﷺ. ومن الأحكام: أن الله ورسوله يدعوان الخلق لقصد منفعتهم في الدنيا والآخرة. ومنها:

أن على العبد أن يكون وجلاً متعلقاً بربه ليسأله الثبات على دينه. ومن الأحكام: وجوب الحذر من الفتن والتحرز منها، ولا يكون هذا إلا بالتقوى. ومنها: أن الفتن لا تقتصر على الظلمة بل تعم الناس كلهم برهم، وفاجرهم إذا لم يعملوا على درئها. ومن الأحكام: وجوب ذكر نعم الله والتحدث بها وشكره عليها.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾.

بيان الآيات:

الخيانة ضد الأمانة ومن خان فقد نقض ما عُهِدَ به إليه وقد نزل قوله تعالى﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ﴾ في أبي لبابة مروان بن عبد المنذر؛ ذلك أن رسول الله ﷺ لما حاصر يهود بني قريظة سألوا الصلح كما صالح إخوانهم بني النضير على أن يتركوا المدينة إلى الشام فأبى رسول الله ﷺ إلا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فأبوا وقالوا: أرسل إلينا أبا لبابة وكان ناصحاً لهم لأن عياله وماله لديهم فبعثه إليهم فقالوا له: ما ترى هل ننزل على

حكم سعد ؟ فأشار بيده إلى حلقه أنه الذبح قال أبو لبابة: فما زالت قدماي حتى علمت أني قد خنت الله ورسوله فنزلت الآية فشد نفسه على سارية من سواري المسجد وقال: والله لا أذوق طعاماً ولا شراباً حتى أموت أو يتوب الله علي. فمكث سبعة أيام على تلك الحال حتى خرّ مغشياً عليه ثم تاب الله عليه. فقيل له: قد تيب عليك، فحلّ نفسك. فقال: لا والله لا أحلّها حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يحلّني، فجاءه فحلّه بيده فقال: إن من تمام توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب، وأن أنخلع من مالي فقال رسول الله ﷺ: **(يجزيك الثلث أن تتصدق به)**[1].

﴿وَتَخُونُوٓاْ أَمَـٰنَـٰتِكُمۡ﴾ أي: لا تخونوا الأمانات التي ائتمنتم عليها من قبل الله، أو من قبل عباده. ويشمل ذلك أمور الدين والدنيا. وقد بيّن رسول الله ﷺ أن خيانة الأمانة من النفاق في قوله: **(آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان)**[2]. ﴿وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ أي: تعلمون أن ما قمتم به خيانة.

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٣٩٧، وأخرجه أبو داود في كتاب الإيمان والنذور، باب فيمن نذر أن يتصدق، بالاختصار برقم (٣٣١٩)، سنن أبي داود ج٣ ص٢٠٢، وأحمد في المسند نحوه ج٣ ص٤٥٢ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، برقم (٣٣)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١ ص١١١ .

﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ ﴾ المراد بذلك أبو لبابة -كما سبق ذكره- فقد كان له أولاد وأموال في بني قريظة مما جعله يشير عليهم بألا يقبلوا حكم سعد بن معاذ. وقوله فتنة أي: امتحان يمتحنكم الله بهم كما قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡ ﴾[١]. وقال عز ذكره ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾[٢]. ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴾ أي: أن ثواب الله خير من الأولاد والأموال كما قال رسول الله ﷺ: **(والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده وماله والناس أجمعين)**[٣]. ولما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لرسول الله ﷺ: لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبى ﷺ: **(لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك)** فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي فقال النبى ﷺ: **(الآن يا عمر)**[٤].

---

(١) سورة التغابن الآية ١٤ .

(٢) سورة المنافقين الآية ٩ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان، برقم (١٤-١٥)، صحيح البخاري ج١ ص٧٤-٧٥ .

(٤) البخاري في كتاب الإيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبي ﷺ، برقم (٦٦٣٢)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١١ ص٥٣٢ .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ الخطاب للمؤمنين أنكم إذا اتقيتم الله بالثبات على ما أمركم به، والحذر عما نهاكم عنه ﴿ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾ أي: مزية في الدنيا تظهرون بها على غيركم من أهل الأديان الأخرى، ومزية في الآخرة بما يمن الله به عليكم من الثواب. ﴿ وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾ أي: يمحو خطيئاتكم. ﴿ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ أي: يستر عيوبكم وخطيئاتكم. ﴿ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ أي: بما ينعم به على عباده، ويتفضل به عليهم من الستر في الدنيا والثواب في الآخرة.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بتحريم الخيانة سواء ما كان مناطه حق الله على العباد فيما أخذه عليهم من الميثاق، أو ما مناطه حقوق العباد. ومن الأحكام: تقرير أن من المال والولد ما هو فتنة قد تحمل العبد على خيانة الله وخيانة رسوله كما فعل أبو لبابة ثم تاب فتاب الله عليه.

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَآ ۙ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

سبب نزول هذه الآية ماوراه محمد بن إسحاق عن ابن عباس أن نفراً من قريش من أشراف كل قبيلة اجتمعوا ليدخلوا دار الندوة فاعترضهم إبليس في صورة شيخ جليل فلما رأوه قالوا له: من أنت؟ قال: شيخ من أهل نجد (وقد كذب لعنه الله) سمعت أنكم اجتمعتم فأردت أن أحضركم ولن يعدمكم رأيي ونصحي. قالوا: أجل ادخل، فدخل معهم فقال: انظروا في شأن هذا الرجل والله ليوشكن أن يواثبكم في أمركم بأمره فقال قائل منهم: احبسوه في وثاق ثم تربصوا به ريب المنون حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء زهير والنابغة إنما هو كأحدهم قال: فصرخ عدو الله الشيخ فقال: والله ما هذا لكم برأي والله ليخرجنه ربه من محبسه إلى أصحابه فليوشكن أن يثبوا عليه حتى يأخذوه من أيديكم فيمنعوه منكم فما آمن عليكم أن يخرجوكم من بلادكم قالوا: صدق الشيخ فانظروا في غير هذا.

قال قائل منهم: اخرجوه من بين أظهركم فاستريحوا منه فإنه إذا خرج لن يضركم ما صنع وأين وقع إذا غاب عنكم أذاه واسترحتم وكان أمره في غيركم. فقال الشيخ: والله ماهذا لكم برأي الم تروا حلاوة قوله وطلاقة لسانه وأخذ القلوب ما تسمع من حديثه؟ والله لئن فعلتم ثم استعرض العرب ليجتمعن عليه ثم ليأتين إليكم حتى

يخرجكم من بلادكم ويقتل أشرافكم. قالوا: صدق والله فانظروا رأياً غير هذا قال: فقال أبوجهل لعنه الله: والله لأشيرن عليكم برأي ما أراكم أبصرتموه بعد لا أرى غيره. قالوا: وماهو ؟ قال: تأخذون من كل قبيلة غلاماً شابّاً وسيطاً نهداً ثم يعطى كل غلام منهم سيفاً صارماً ثم يضربونه ضربة رجل واحد فإذا قتلوه تفرق دمه في القبائل كلها فما أظن هذا الحي من بني هاشم يقوون على حرب قريش كلها فإنهم إذا رأوا ذلك قبلوا العقول واسترحنا وقطعنا عنا أذاه قال: فقال الشيخ: هذا والله الرأي، القول ما قال الفتى لا أرى غيره. قال: فتفرقوا على ذلك وهم مجمعون له. فأتى جبريل النبي ﷺ فأمره ألا يبيت في مضجعه الذي كان يبيت فيه وأخبره بمكر القوم فلم يبت الرسول ﷺ في بيته تلك الليلة وأذن الله له عند ذاك بالخروج وأنزل الله عليه بعد قدومه المدينة الأنفال يذكره نعمه عليه(١).

قوله﴿ لِيُثْبِتُوكَ ﴾ أي: يحبسوك.﴿ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ﴾ أي: يتخلصوا منك بالقتل أو بخروجك عنهم.﴿ وَيَمْكُرُونَ ﴾ أي: يحيكون لك الأذى ويكيدون لك.﴿ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ﴾ أي: يبيت الله ما أعد لهم من العذاب.﴿ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ أي: إن مكره أشد وأعظم.

﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا ﴾ قيل: إن هذه الآية

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج٢ ص١٣٦-١٤١، وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص٢٠٨-٢٠٩.

نزلت -كما ذكر من قبل- في النضر بن الحارث؛ فقد كان هذا يسافر إلى الشام ويقرأ القصص القديمة عن كسرى وقيصر وغيرهم فإذا قص رسول الله ﷺ أخبار من مضى من الأمم جلس النضر في مجلسه وقص من قصصه وكذبه ثم يقول لمن يستمعه: هل أنا أحسن قصصاً أم محمد[١]؟ ﴿لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآ﴾ أي: لو أردنا قلنا مثل ما يقوله محمد. ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ المراد من قولهم أن ما يقصه محمد هو من أساطير الأولين أي: من قصصهم.

ولما كان هذا المشرك من أشد أعداء الرسالة مكَّن الله منه يوم بدر فقتل جزاء استهزائه بكتاب الله ورسوله.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير مكر مشركي قريش برسول الله ﷺ، وكيدهم له، وتبييتهم قتله، وقد نجاه الله ومكر بهم. تقرير أن المشركين كانوا يستهزئون بآيات الله حين تتلى عليهم، ويصفون كلام ربهم بأنه أساطير، وقد انتقم الله منهم.

﴿وَإِذۡ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ (٣٢) وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ

---

(١) تفسير القرآن ج٢ ص٢٩١ .

﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ ۚ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾

بيان الآيات:

﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ﴾ القائل هو أبو جهل[١] وهو اسم على مسمى وقيل إن القائل النضر بن الحارث فقد دعا الله على قومه أن يأتيهم العذاب، ولو طلب الهداية من ربه لكان خيراً له ولهم. وقد ذكر أن ابن عباس لقي رجلاً من اليهود فقال له اليهودي: ممن أنت؟ قال: من قريش. قال اليهودي: أنت من القوم الذين قالوا ﴿اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ﴾ الآية فهلا عليهم أن يقولوا: إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا له إن هؤلاء قوم يجهلون. قال ابن عباس: وأنت يا إسرائيلي من القوم الذين لم تجف أرجلهم من بلل البحر الذي أغرق فيه فرعون وقومه وأنجا موسى وقومه حتى قالوا: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾[٢] فقال لهم موسى: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[٣] فأطرق اليهودي مفحماً[٤]. قوله ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا﴾ أي: أنزل علينا ﴿حِجَارَةً مِّنَ

---

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري، برقم (٤٦٤٨)، ج٨ ص١٥٨ .

(٢) سورة الأعراف من الآية ١٣٨ .

(٣) سورة الأعراف من الآية ١٣٨ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن ج٧ ص٣٩٨ .

ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾ أي: حجارة تقذفنا بها من السماء أو ترسل علينا عذاباً شديداً.

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ ﴾ المراد أن حكمة الله اقتضت ألا يعذب قوماً، ونبيهم ما زال بين أظهرهم يدعوهم إلى الله. ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴾ لم يقطع المشركون صلتهم بالله فكانوا يطوفون ويقولون: لبيك اللهم لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك. ويقولون: غفرانك غفرانك[1] لأن الاستغفار يخفف من السيئات. وقد يكون المراد أن الله لم يعذبهم لأن فيهم مسلمين يستغفرونه.

﴿وَمَا لَهُمۡ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ أي: كيف لا يعذبهم الله ﴿وَهُمۡ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ﴾ أي: يمنعون منه عباد الله. ﴿وَمَا كَانُوٓاْ أَوۡلِيَآءَهُۥٓۚ ﴾ أي: ليسوا أهل المسجد الحرام لأنهم مشركون نجس. ﴿إِنۡ أَوۡلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُتَّقُونَ ﴾ أي: إن أهله هم النبي ﷺ والمؤمنون الذين يتقون الله حق تقاته. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ أي: إنهم فريقان: فريق جاهل لا يعرف الحق من الباطل، وفريق يعرف الحق ولكنه معاند مكابر.

﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمۡ عِندَ ٱلۡبَيۡتِ إِلَّا مُكَآءٗ وَتَصۡدِيَةٗۚ ﴾ المكاء الصفير والتصدية التصفيق؛ ذلك أنهم كانوا يطوفون بالبيت عراة وهم

---

(١) تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٢٩٢ .

متشابكوا الأصابع يصفرون فيها ويصفقون خاصة إذا رأوا رسول الله ﷺ يقرأ القرآن. ﴿فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ المراد به القتل والأسر يوم بدر وكان ذلك جزاء كفرهم.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير جهل المشركين وسفاهتهم في سؤالهم العذاب، ولو سألوا الهداية من الله لكان ذلك خيراً لهم. تقرير أن الله لم يعذب أمة محمد ﷺ أو يقطع دابرها كما فعل بالأمم الهالكة. ومن الأحكام في الآيات: فضل الاستغفار، وكونه يدفع العذاب عن المستغفرين. ومنها: تقرير خطيئة من يصد الناس عن المسجد الحرام ونفي ولاية المشركين له. الحكم بأن أولياء الله هم المتقون. ومن الأحكام: تحريم التصفيق والصفير في العبادة وكراهيته في غيرها.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾

بيان الآيتين:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ ذكر محمد بن إسحاق أن

قريشاً لما أصيبت يوم بدر مشى عبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية في رجال من قريش لهم تجارة فقالوا: يامعشر قريش: إن محمداً قد وتركم وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال على حربه لعلنا ندرك منه ثأراً بمن أصيب منا، ففعلوا فنزلت فيهم هذه الآية[1].

﴿لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: يحاربوا شرع الله وأحكامه التي جاء بها رسوله محمد ﷺ. ﴿فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ أي: سيكون إنفاقها حسرة وندامة عليهم وخزياً في الدنيا لأنهم مهما أنفقوا وصدوا عن سبيل الله فإن العاقبة للمتقين كما قال عز وجل ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[2]. أما في الآخرة فسيكون إنفاقهم الأموال للصد عن سبيل الله حسرة عليهم بما يلاقونه من العذاب الأليم.

﴿ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ أي: إن الغلبة ستكون عليهم والنصر للمؤمنين.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ أي: الذين ماتوا منهم وهم على الكفر ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ أي: يجمعون يوم القيامة فيحشرون إلى جهنم.

وإذا كانت الآية نزلت في الكفار الذين جمعوا الأموال لمحاربة رسول الله ﷺ؛ فهي عامة في كل من ينفق أمواله لمحاربة الإسلام ومعاداة المؤمنين سواء بقتالهم أو التضييق عليهم.

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٤٠٠، والسيرة النبوية لابن إسحاق ج١ ص٣٩٩ .

(٢) سورة التوبة الآية ٣٢ .

﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ ﴾ أي: المال الذي أنفقه المشركون للصد عن سبيل الله. ﴿مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾ أي: من المال الذي ينفقه المؤمنون للجهاد في سبيل الله، والدعوة إليه كما فعل ذلك أبو بكر وعثمان وعبدالرحمن بن عوف وغيرهم من المؤمنين ﴿وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا ﴾ أي: يركم مال المشركين بعضه على بعض ركامًا واحداً. ﴿فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ﴾ أي: يجعل هذا المال معهم كما قال الله عز وجل ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[1]. ﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾[2]. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ إشارة إلى الذين ينفقون أموالهم للصد عن سبيل الله وأنهم خاسرون في الدنيا والآخرة.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن كل نفقة يراد منها الصد عن سبيل الله تتحول إلى هلاك لصاحبها في الدنيا والآخرة، ومن ذلك مثلاً ما ينفقه الأعداء من نفقات على وسائل الإعلام، أو على الملحدين، ومن في حكمهم بقصد محاربة دين الله، أو محاربة أتباعه، أو تشويه سمعتهم، أو الحط من

(١) سورة التوبة من الآية ٣٤ .
(٢) سورة التوبة الآية ٣٥ .

قدرهم. ومن الأحكام: أن الله يميز المال الخبيث من المال الطيب فينمي المال الطيب لأصحابه، ويركم المال الخبيث بعضه على بعض ليجعله مع أصحابه في جهنم.

﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾ هذا أمر لنبي الله ورسوله محمد ﷺ أن يقول للمشركين ﴿إِن يَنتَهُواْ﴾ أي: يتركوا شركهم وعداوتهم لك وللمؤمنين وأن يدخلوا في الإسلام. ﴿يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ أي: يتجاوز الله عن خطيئاتهم التي فعلوها قبل الإسلام، وهذا رحمة منه ولطف بخلقه حين يقدمون عليه تائبين من معاصيهم. ﴿وَإِن يَعُودُواْ﴾ أي: إلى معاداة الرسول والمؤمنين. ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ أي: في إهلاك الأمم السابقة التي عصت أنبياءها، وفيما حدث لعدد من صناديد قريش في بدر عبرة وموعظة للذين لم يسلموا

وما كان ينتظرهم من الخزي في الدنيا والآخرة إذا بقوا على كفرهم.

﴿وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ هذا أمر بقتال المشركين إلى أن ينتهوا من شركهم وعبادة أصنامهم. ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ أي: يكون دين الإسلام هو الدين الوحيد الذي يؤمنون به ويتبعون أحكامه. ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟﴾ عن الكفر ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ أي: إذا تابوا وأسلموا له فسوف يثيبهم على إسلامهم.

﴿وَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ أي: أعرضوا عن الإسلام ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ أي: هو الذي ينصركم ويعينكم. ﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ أي: نعم المولى لمن يتولاه ونعم الناصر لمن يتولى نصره.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن المشركين إذا تابوا من شركهم وأخلصوا التوبة بشروطها يغفر الله ما مضى من خطيئاتهم، وهذا من رحمته بعباده. أما إذا استمروا على شركهم ومعاندتهم لله ورسوله فقد مضت سنة الله وقضى حكمه بإهلاكهم. ومن أحكام الآيات: وجوب قتال المشركين، وهذا حكم عام أوجبه الله على المسلمين في كل زمان ومكان حتى يكون دين الإسلام هو الغالب في الأرض. ومنها: أن الله نعم المولى لمن يتولاه ونعم النصير لمن يتولى نصره.

﴿ ۞ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ ﴾.

بيان الآية:

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ﴾ الغنيمة ما يتم الحصول عليه بجهد. والمراد أن ما غنمتم من مال الكفار حال جهادكم ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ أي: ينفق في المصالح العامة خاصة الدينية كالمساجد ونحوها. وقد روى أبو العالية أن رسول الله ﷺ كان يأخذ الخمس فيضرب بيده فيه فيأخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة، وهو سهم الله تعالى ثم يقسم مابقي على خمسة[1]. قوله ﴿وَلِلرَّسُولِ﴾ أي: ما للرسول من الخمس خاص به لنفقته عليه وعائلته. ﴿وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ أي: قرابة رسول الله عليه الصلاة والسلام وهم بنو هاشم وبنو المطلب لأنهم آزروا بني هاشم في الجاهلية والإسلام، ودخلوا معهم في الشعب لحماية رسول الله ﷺ. ﴿وَٱلۡيَتَٰمَىٰ﴾ أي: ينفق على فقراء المسلمين وأيتامهم ﴿وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾ أي: المحاويج من المسلمين. ﴿وَٱبۡنِ

(١) أخرجه أبو داود في كتاب المراسيل ص٢٧٥، برقم (٣٧٤)، باب ما جاء في قسمة الخمس، وذكره الطبري في تفسيره جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٧ ص٣-٤، وذكره السيوطي في الدر المنثور ج٢ ص٣٣٦ .

﴿ٱلسَّبِيلِ﴾ خاص بالمسافرين، ومن انقطعت بهم السبل إذا كانوا محتاجين لما يوصلهم إلى بلدانهم.

﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ المراد عليكم العمل بما بيَّناه من قسمة الغنائم إن كنتم تؤمنون بالله وبما جاءكم به رسوله من الأحكام. ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾ أي: يوم بدر. ﴿يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ أي: جمع المسلمين وجمع المشركين. ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: قادر على نصر عباده مهما كانت قلتهم وقادر على هزيمة أعدائه مهما كانت كثرتهم. وأداء الخمس مما أوجبه الله في الآية السابقة، وفي سنة رسول الله محمد ﷺ لأن وفد عبد القيس لما وفد على رسول الله قال لهم عليه الصلاة والسلام: (**آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع، آمركم بالإيمان بالله ثم قال: هل تدرون ما الإيمان بالله؟ شهادة ألا إلَه إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأن تؤدوا إلي خمس ما غنمتم**)[١].

أحكام ومسائل الآية:

قسم الله الغنائم في كتابه قسمة حُكْمٍ فهي لله ولرسوله، ولذي القربى، واليتامى، والمساكين، وابن السبيل. فما لله يصرف في مصالح الأمة. وما لرسوله يصرف لحاجته. وما لقرابته يصرف في قرابته الأدنين

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب قوله تعالى ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ برقم (٥٢٣)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٢ ص١٠.

وهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب لكونهم آزروه يوم حاصره المشركون؛ وهذا المال يسقط بوفاته لقوله عليه الصلاة والسلام **(لا يحل لي مما أفاء الله عليكم قدر هذه إلا الخمس والخمس مردود فيكم)**[١]. كما يسقط حق قرابته، ومن قال باستمرار هذا الحق لقرابته بعده فلا حجة له فيما قال لأن فاطمة رضي الله عنها أرسلت تطلب ميراثها من أبي بكر فقال لها: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(لا نورث ما تركنا صدقة)**[٢]. ويعطى الفارس في الجيش سهمين لكثرة جهده، والراجل سهماً، ولا حق في الغنائم للنساء لأنهن لم يؤمرن بالقتال؛ وإن قاتلن أعطين هدية. ولا حق أيضاً في الغنائم للأجراء والصناع، ومن في حكمهم من أهل الذمة. وقيل: يسهم لهم ولا يسهم لمن مرض إلا أن يكون مرض بعد القتال.

﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَـٰدِ ۙ وَلَـٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى

---

(١) أخرجه النسائي في كتاب قسم الفي، برقم (٤١٤٩)، سنن النسائي ج٧ ص١٤٩، وأبو داود في كتاب الجهاد، باب في فداء الأسير بالمال، برقم (٦٩٤)، سنن أبي داود ج٢ ص٤١٤، وأحمد في المسند ج٤ ص١٢٨.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الفرائض، باب قول النبي ﷺ «لا نورث ما تركنا صدقة»، برقم (٦٧٢٦)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١٢ ص٧.

مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ ﴾.

بيان الآيات:

ذَكَّرَ الله عز ذكره نبيه ورسوله محمداً ﷺ بحادثة بدر، وما كان فيها من نصر للمسلمين فقال ﴿ إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ أي: موضع الوادي القريب من المدينة. ﴿ وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ ﴾ أي: بالموضع الأبعد من المدينة، والأقرب إلى مكة. ﴿ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ﴾ المراد به العير التي كان عليها أبوسفيان تسير مما يلي البحر. ﴿ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ ﴾ المراد لو كان الأمر الذي حدث حسب موعد بينكم وبين المشركين لاختلفتم في الميعاد. ثم لو علمتم ماهم عليه من العدد من الرجال والسلاح وأنتم قلة في عددكم وسلاحكم لترددتم في لقائهم، أو لما لقيتموهم. وكذلك لو علموا بترتيب لقائكم لتهيبوا وحدث لهم رعب في نفوسهم منكم فلم يحدث لكم بسبب ذلك لقاؤهم وحربهم. ﴿ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾ أي: إن الله أراد أن تكون هذه المعركة حتى ينصركم الله ويهزمهم.

وفي حديث كعب بن مالك قال إنما خرج رسول الله ﷺ والمسلمون يريدون عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد.

وبعث رسول الله ﷺ حين دنا من بدر علي بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص والزبير بن العوام في نفر من أصحابه يتحسسون له الخبر فأصابوا سقاة لقريش هما غلام لبني العاص بن سعيد وغلام لبني الحجاج فأتوا بهما رسول الله ﷺ فوجدوه يصلي فجعل أصحاب رسول الله ﷺ يسألونهما لمن أنتما فيقولان: نحن سقاة لقريش بعثونا نسقيهم من الماء فكره القوم خبرهما ورجوا أن يكونا لأبي سفيان فضربوهما فلما اذلقوهما قالا: نحن لأبي سفيان فتركوهما وركع رسول الله ﷺ وسجد سجدتين ثم سلم وقال: (**إذا صدقاكم ضربتوهما وإذا كذباكم تركتوهما صدقا والله إنهما لقريش أخبراني عن قريش**) قالا: هم وراء هذا الكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى فقال لهما رسول الله ﷺ: (**كم القوم ؟**) قالا: كثير، قال: (**ما عِدّتهم؟**) قالا: ما ندري، قال: (**كم ينحرون كل يوم؟**) قالا: يوماً تسعاً ويوماً عشراً. فقال رسول الله ﷺ: (**القوم مابين التسعمائة والألف**) ثم قال لهما: (**فمن فيهم من أشراف قريش؟**) قالا: عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو البخترى بن هشام وحكيم بن حزام ونوفل بن خويلد والحارث بن عامر بن نوفل وطعيمة بن عدي بن نوفل والنضر بن الحارث وزمعة بن الأسود وأبوجهل بن هشام

وأمية بن خلف ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وسهيل بن عمرو وعمرو بن عبدود. فأقبل رسول الله ﷺ على الناس فقال: (**هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها**)[1].

﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ الهلاك هنا للكفر، والحياة للإسلام. والمراد أن من يكفر عن بيِّنة لا عن شبهة فلا يلقى له عند الله حجة بعدما رأى من الآيات في غزوة بدر، ونصر الله لعباده المؤمنين ﴿وَيَحْيَىٰ﴾ أي: يسلم أيضاً من يسلم عن بيِّنة بأن دين الإسلام هو الدين الحق الذي ينصره الله، وأن المؤمنين هم أولياء الله وجنده، وأنه ناصرهم على أهل الشرك والضلال ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أي: يسمع دعاءكم ويعلم بأحوالكم وتدبيركم.

﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾ المراد أنه رآهم في منامه قلة في عددهم فقص ذلك على أصحابه فثبَّتهم الله بذلك ﴿وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ﴾ أي: لو أراكهم كثيراً لشقت كثرتهم عليكم، ولأدى ذلك إلى تثبيط هممكم ولما أقدمتم على حربهم. ﴿وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ أي: اختلفتم في الرأي حول مقاتلتهم.

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج٢ ص٣٠٧-٣٠٨، وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص٣٠١، وأصل الحديث أخرجه مسلم في كتاب الجهاد، باب غزوة بدر، برقم (١٧٧٩)، صحيح مسلم بشرح النووي ج٨ ص٤٩٣٨، وأبو داود في كتاب الجهاد، باب في الأسير ينال منه ويضرب، برقم (٢٦٨١)، سنن أبي داود ج٢ ص٤٠٨ .

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ﴾ أي: تفضل عليكم بالسلامة من التنازع والاختلاف. ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ أي: يعلم ما ستكون عليه حالكم لو علمتم بكثرتهم.

﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا﴾ أي: لما رأيتموهم في يقظتكم فيكون التقليل في المرة الأولى في المنام، وفي الثانية في اليقظة. وفي هذا قال عبد الله بن مسعود: قلت لإنسان كان بجانبي يوم بدر: أتراهم سبعين ؟ فقال: هم نحو المائة، فأسرنا رجلا فقلنا كم كنتم؟ قال: كنا ألفاً[1]. ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ أي: قلّل المسلمين في أعين المشركين عند ابتداء القتال حتى إن أبا جهل قال: إنما هم قلة يطعمهم لحم ناقة فعليكم بهم، أوثقوهم بالحبال. فلما استمر القتال كثّرهم الله في أعين المشركين كما قال عز ذكره ﴿يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ﴾[2] أي: يرونهم ضعفيهم في العدد مما ثبطهم وهزمهم في نفوسهم. ﴿لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ أي: ما أراده عز وجل من هزيمة المشركين، ونصر المسلمين، وإعلاء دين الله وهزيمة الشرك. ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾أي: إن كل أمر مصيره ومرجعه إليه لا حول ولا قوة لأحد إلا به.

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٦ ص١٢، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٢ ص٣٠٢.
(٢) سورة آل عمران من الآية ١٣ .

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير ما كان في غزوة بدر من النصر للمسلمين، وتذكير الله لنبيه ورسوله محمد ﷺ وصحابته بنصره لهم. تقرير أن ما حدث في هذه الغزوة عبرة لمن يعتبر، وتوكيد أنّ دين الله هو الغالب وأن الله ينصر أولياءه وعباده المؤمنين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾

بيان الآيتين:

هذا أمر من الله عز وجل للمؤمنين أن يثبتوا عند لقاء الكفار ويصبروا على مجادلتهم وأن لا يهنوا ولا يستكينوا. قوله ﴿فِئَةً﴾ أي: فرقة أو جماعة من الكفار ﴿فَٱثْبُتُواْ﴾ أي: وطدوا أقدامكم في المعركة ولا تفرّوا ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ أي: اشتغلوا بذكره وادعوه أن ينصركم ويهزم عدوكم؛ فإن الاشتغال بذكره ودعائه طمأنينة لأنفسكم وسبب لقرب الله منكم. ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ أي: تفوزون بالنصر على عدوكم.

﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ﴾ أي: اتبعوا ما أمركم الله ورسوله به من الأحكام ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ﴾ أي: لا تختلفوا ﴿فَتَفْشَلُواْ﴾

أي: تنهزموا ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ أي: قوتكم. ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ أي: تحملوا ما يصيبكم من عناء أو مشقة؛ فعاقبة الصبر في الحرب النصر على العدو.

أحكام ومسائل الآيتين:

وجوب الثبات عند لقاء العدو وعدم الفرار أمامه لقول الله عزوجل ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾(١). وقد كان من دأب رسول الله ﷺ الثبات في المعركة أياً كان وضعها. ولما انهزم بعض المجاهدين يوم حنين ثبت رسول الله ﷺ وكان الحارث بن عبد المطلب ممسكاً بلجام ناقته وهو يقول: (**أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب**)(٢).

ومن الأحكام في الآية: وجوب ذكر الله عند عظائم الأمور كالحرب لما في ذكره من اطمئنان النفوس، وثبات القلوب، واستجابة الدعاء. ومنها: وجوب طاعة الله ورسوله لأن هذه الطاعة أساس النصر وهي الفاصل بين الإسلام والكفر، والمسلم في كل أعماله وأفعاله محكوم بامتثال ما يجب عليه من فعل الطاعات وترك المعاصي؛ فهو في الحرب وإن كان مأموراً بالاستعداد لها بالعدد والسلاح إلا أنه مأمور في المقام

---

(١) سورة الأنفال من الآية ١٦ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد، باب في غزوة حنين، برقم (١٧٧٦)، صحيح مسلم ج٨ ص٤٩٢١.

الأول بالاعتقاد أنه يقاتل لإعلاء كلمة الله في الأرض.

ومن الأحكام أيضاً: وجوب نبذ التنازع والاختلاف؛ ذلك أنه مامن أمة تنازعت في أمرها إلا منيت بالفشل في كل أمورها. وقد أمر الله هذه الأمة أن تتحد في كلمتها وأن تحذر مما حل بالأمم السابقة قبلها حين اختلفت على أنبيائها فأهلكها الله كما قال عز وجل ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾(١).

﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ ﴾

المراد بذلك أهل مكة؛ ذلك أنهم لما خرجوا لحماية العير جاءهم

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٠٥ .

رسول أبي سفيان وهم بالجحفة يحثهم على الرجوع إلى مكة ويخبرهم أن عيرهم قد سلمت فقال أبوجهل: والله لا نرجع عن قتال محمد حتى نرد بدراً فنشرب فيها الخمور، وتعزف علينا القيان فإن بدراً من مواسم العرب، وسوق من أسواقهم حتى تسمع العرب بمخرجنا فتهابنا[1]. وقد أراد الله غير ما أراده أبو جهل وقومه ليقضي الله أمراً كان مفعولاً؛ فكان في خروجهم هلاكهم وهلاك أصنامهم. ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: بما فعلوه من خروجهم لقتال رسول الله ﷺ وأصحابه. ﴿وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ أي: عالم بما أتوا إلى بدر من أجله وما بيتوا من قتال المؤمنين.

﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ قيل: إن ابليس تمثل للمشركين في صورة سراقة بن مالك بن جعشم الكناني، وكانت قريش تخاف من بني بكر بن كنانة أن يأتوهم من خلفهم لما بينهم من العداوة فلما تمثل لهم قال ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ﴾[2] وبرز الفريقان للقتال قال أبو جهل -كما سبق ذكره-: اللهم من كان أولانا بالحق فانصره. أما رسول الله ﷺ فرفع يديه إلى السماء فقال: (**يا رب إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد**

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج٢ ص٣١٠-٣١١ .

(٢) تفسير البغوي ص٥٣٠، وزاد المسير لابن الجوزي ص٥٥٧ .

في الأرض أبداً)[١] فأمره جبريل أن يأخذ قبضة من التراب فيرمي بها في وجوههم فلما رماها أصابت كل واحد من المشركين في وجهه[٢].

﴿فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ أي: لما رأى إبليس الملائكة تنزل للقتال مع المؤمنين ولَّى مدبراً فقال له أحد المشركين: ياسراقة ألم تزعم أنك جار لنا وتعيننا فكان جوابه ما حكاه الله عنه ﴿وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾ وفي هذا قال رسول الله ﷺ: **(ما رأى الشيطان يوماً هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه في يوم عرفة وما ذاك إلا لما رأى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام إلا ما رأى يوم بدر)**[٣]. ولما انتهت المعركة بنصر المسلمين ورجع من بقي من المشركين إلى مكة وكانوا يتحدثون أن سراقة بن مالك هزم الناس فبلغ ذلك سراقة فقال: والله ماشعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم، فلما أسلموا علموا أن سراقة الذي قال لهم هو إبليس وليس سراقة الكناني. ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ هذا قول إبليس يعلل هروبه من المعركة لما قال له أحد المشركين: أتخذلنا ونحن في المعركة.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم، برقم (٤٥٠٧)، صحيح مسلم بشرح النووي ج٨ ص٤٨٦٨ .

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٦ ص٢٠٤-٢٠٥، وتفسير البغوي ص٥١٨، وزاد المسير لابن الجوزي ص٥٤٥ .

(٣) أخرجه مالك في الموطأ في كتاب الحج، باب جامع الحج، برقم (٩٧٣)، شرح الزرقاني على الموطأ ج٢ ص٥٢٤، وعبد الرزاق في المصنف ج٤ ص٣٧٨، برقم (٨١٢٥).

﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ﴾ القائلون هم المشركون والمنافقون، وقد يكون المراد بهم المشركين لما رأوا استعداد المسلمين للقتال رغم قلتهم ومعرفتهم بكثرة المشركين. وقد يكون المراد بهم المنافقين والمشركين في المدينة، والمعنى أن المسلمين اغتروا بدينهم وأنهم يعتقدون أنهم ينصرون بسببه. ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ أي: إن من يتوكل عليه فهو حسبه، وكافيه فينصره على من هو أقوى منه.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن من عوامل الفشل في الحروب البطر والغرور؛ فالجيوش التي تكون بهذه الصفة تنهزم أمام فئات قليلة. وقد دلت الوقائع المعاصرة على هذا؛ فقد هزمت أمم ضعيفة جيوش أمم قوية حين غزتهم في بلادهم رغم قوة هذه الجيوش في عددها وعتادها وصلفها. ومن مسائل الآيات: أن الشيطان يزين للكافرين العدوان، ويمنيهم بالنصر ثم يتخلى عنهم. ومنها: أن أهل الكفر يبغضون المؤمنين ويبغضون دينهم. ومنها: وجوب التوكل على الله وأن من توكل عليه أعزه ونصره.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ

أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٢﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ﴾ أي: لو رأيت يا محمد يوم بدر لرأيت أمراً عظيماً حين كان الملائكة يضربون وجوه الذين كفروا وأدبارهم أي: مؤخرتهم ويقولون لهم ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ أي: سوف تذوقون عذاب جهنم وحرها، وهذا وإن كان خاصاً بالمشركين يوم بدر إلا أنه عام في ما يلاقيه الكفار عند موتهم كما قال الله عز وجل ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾[١].

﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ أي: هذا الذي تلاقونه بسبب ماكسبته أيديكم من الخطايا والآثام ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ أي: لم يظلمكم؛ فقد أنزل عليكم الكتاب والبراهين وأرسل الرسل يدعونكم إلى طاعته فلما عاندتم واستكبرتم جازاكم حسب أعمالكم.

---

(١) سورة الأنعام من الآية ٩٣ .

﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: أن دأب هؤلاء المشركين الذين عاندوك وعادوك يا محمد مثلهم مثل آل فرعون، ومن مثلهم من الأمم المكذبين لرسلهم فكانت عاقبة هؤلاء المشركين مثل عاقبة من سبقهم ممن ﴿كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي: كذبوها. ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾ أي: أهلكهم. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ أي: قادر في ذاته العلية شديد العقاب لمن كفر به وكذب رسله.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير ما يلاقيه الكفار من العذاب والإهانة عند موتهم حيث توبخهم الملائكة عند نزعهم، ناهيك بما ينالهم من العذاب في القبر ويوم الحساب جزاء كفرهم!! ومن الأحكام: أن الله عز وجل حرم الظلم على نفسه فحاشاه أن يظلم أحداً من عباده، وإنما هي أعمالهم يوفيها لهم وهو أرحم بهم من أنفسهم.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾﴾.

بيان الآيتين:

إن من عدل الله في خلقه ألا يظلم أحداً كما قال عز ذكره ﴿وَمَا

ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[١]. وقوله ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾[٢]. ولا يغير على أحد نعمة أنعمها عليه إلا بسبب ذنوبه كما قال جل وعلا ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾[٣]. فقوله ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ﴾ أي: لا يغير على أحد نعمة كان فيها إلا بسبب ذنوبه. ﴿ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ أي: يكفروا بما جاءهم من الهدى.﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ أي: سميع لما قاله المكذبون لرسلهم.﴿ عَلِيمٌ ﴾ بما كانوا يفعلونه من المعاصي.

﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ أي: كما فعل بآل فرعون ومن قبلهم حين ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ ﴾ أي: استكبروا وعاندوا ﴿ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ﴾ أي: دمرناهم ﴿وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ﴾ أي: هلكوا بسبب انطباق البحر عليهم وغرقهم فيه. ﴿وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴾ المراد بهم آل فرعون والمكذبون من الأمم السابقة وكفار قريش.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن من سنة الله في خلقه ألا يغير عليهم نعمه التي أنعم

(١) سورة النحل من الآية ١١٨ .

(٢) سورة فصلت من الآية ٤٦ .

(٣) سورة الشورى من الآية ٣٠ .

بها عليهم إلا إذا قابلوها بالجحود والكفر؛ بل إنه عز وجل يمهلهم لعلهم يتوبون ويرجعون إليه. فلم يهلك الأمم السابقة ومنهم آل فرعون إلا بعد أن جحدوا نعمه، وكذبوا رسله، واستهزؤوا بآياته، وجحدوا ربوبيته وألوهيته.

﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثۡقَفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡحَرۡبِ فَشَرِّدۡ بِهِم مَّنۡ خَلۡفَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ خِيَانَةٗ فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي: أن الكفار شرّ ما على الأرض. ﴿فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ أي: لا يصدقون الإسلام رغم ما جاءهم من البراهين والأدلة القاطعة. ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ﴾ المراد بهم بنو قريظة وبنو النضير فقد عاهدهم رسول الله ﷺ فنكثوا عهده. ﴿ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ﴾ أي: نكثوا بما عاهدهم رسول الله ﷺ ألا يعينوا عليه أحدا فأعانوا المشركين من أهل مكة بالسلاح ثم اعتذروا مدعين أنهم نسوا ما عاهدوا عليه ثم عاهدهم ثانية فنقضوا العهد يوم غزوة الخندق. ﴿وَهُمۡ

لَا يَتَّقُونَ ﴾ أي: لايبالون بنقض المواثيق. ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ﴾ أي: تأسرهم فيها. ﴿فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ ﴾ أي: فرق من بقي منهم. ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ أي: يتذكر ذلك من خلفهم من بعدهم.

﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً ﴾أي: من تخشى منه من المعاهدين خيانة أي: نقضاً للعهد. ﴿فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾ أي: اطرح العهد معهم وبيِّن لهم بطريق واضح أنك تخليت عن العهد معهم، ولا تحاربهم قبل أن يكون ذلك بيناً لهم. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ أي: لا تخفي نبذك للعهد معهم حتى لا يتهموك أنك خنتهم.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن الكفار هم شرّ الدواب التي تمشي على الأرض وذلك لجحودهم نعم الله عليهم ونقضهم للمواثيق سواء منها ما مناطه ميثاق الله عليهم، أو مواثيقهم مع غيرهم. ومن أحكام الآيات: وجوب تشديد القتال مع العدو لما في ذلك من ردعه واعتبار غيره بما أصابه من القوة. ومنها: تحريم الخيانة وجواز إلغاء المعاهدة مع العدو إذا ظهرت منه الخيانة. ويدرك هذا بما يظهر من الدلائل التي تدل على أن خيانته متيقنة وليست ظنية. والنبذ على سواء المراد به التخلص من العهد مع العدو إذا ظهرت

خيانته، ويكون ذلك بإنذاره أولاً فإن التزم بما عاهد عليه وإلا وجب نقض العهد معه وقتاله.

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾

بيان الآيتين:

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ﴾ المراد لا تحسبن يا محمد أن الذين أفلتوا من وقعة بدر فاتونا فلا نأخذهم بل نحن قادرون على أخذهم. ﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴾ أي: لا يعجزوننا إذا أردنا أخذهم كما قال جل شأنه ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[1].

﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ هذا أمر من الله لنبيه وأمته أن يعدوا العدة لجهاد الأعداء ومنازلتهم؛ فإن الله بحكمته قادر على أن يهلك هؤلاء في لمحة بصر ولكنه ابتلى المؤمنين فأوجب عليهم الجهاد ليرى ما إذا كانوا يصدقون ويوفون بما أمرهم به.

قلت: ولو أخذت الأمة بهذه الآية لكانت لها الصدارة والقوة بين

(١) سورة النور الآية ٥٧ .

الأمم؛ ذلك أنها لما استكانت وصارت تشتري العدة من أعدائها هانت عليهم فلم يروا لها شأناً ولم يعترفوا لها بمكانة؛ ذلك أن حكمة الله اقتضت أن ينصر من ينصره والضعيف لا يستطيع نصر الله بإعلاء كلمته. وشاهده قول رسول الله ﷺ **(المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف)**(١). وقد روى عقبة بن عامر أنه سمع رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول **(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي)**(٢).

﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ﴾ وقد ذكرها الله عز وجل لأنها في ذلك الوقت العدة الكبرى للحرب وأقواها وهذا يقتضي أن على الأمة الاستعداد بالقوة العظمى التي تكون معروفة في زمانها ﴿تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ﴾ أي: تخيفون بذلك عدو الله وعدوكم في أي زمان ومكان أما في زمن رسول الله ﷺ فكان المراد بالأعداء المشركين واليهود. ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ﴾ قيل: إنهم بنو قريظة وقيل: المراد بهم المجوس. ولأن الله لم يسمهم لنا فهو أعلم بمراده فلا يجوز تعيينهم على وجه التوكيد، فسبحان الله لا علم لنا إلا ما علّمنا. ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله، برقم (٢٦٦٤)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١٠ ص٦٧٢٩.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه وذم من علمه ثم نسيه، برقم (١٩١٧)، صحيح مسلم بشرح النووي ج٨ ص٥٢٩٠.

أي: أن ما تنفقونه من أجل الجهاد وإعلاء كلمة الله ومحاربة أعدائه. ﴿يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ﴾ أي: تجزون مقابله بحسنات مضاعفة الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف. ﴿وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ﴾ أي: لا تبخسون ما أنفقتم في سبيل الله.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأنه يجب على الأمة تقوية نفسها للدفاع عن دينها حسب الزمان، ففي الماضي كانت السهام والخيل أشد أنواع القوة؛ ففي السهام قال رسول الله ﷺ: (**إن الله عز وجل يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة صانعه يحتسب في صنعته الخير والرامي به ومنبله وارموا واركبوا وإن ترموا أحب إلي**) إلى قوله (**ومن ترك الرمي بعد ما علمه رغبة عنه فإنها نعمة تركها**)(١).

أما في الخيل فقال عليه الصلاة والسلام: (**الخيل لثلاثة لرجل أجر ولرجل ستر وعلى رجل وزر فأما الذي له أجر فرجل ربطها في سبيل الله فأطال لها في مرج أو روضة فما أصابت في طِيَلها ذلك في المرج أو الروضة كان له حسنات ولو أنها قطعت طِيَلها فأتت شرفاً أو شرفين كانت آثارها وأرواثها حسنات له ولو أنها مرت بنهر فشربت منه ولم**

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب في الرمي، برقم (٢٥١٣)، سنن أبي داود ج٢ ص٣٤٩، والنسائي في كتاب الجهاد، باب ثواب من رمى في سبيل الله عز وجل، برقم (٣١٤٦)، سنن النسائي ج٦ ص٣٣٦، والترمذي في كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الرمي في سبيل الله، برقم (١٦٣٧)، سنن الترمذي ج٤ ص١٤٩ .

يرد أن يسقى به كان ذلك حسنات له فهي لذلك لرجل أجر. ورجل ربطها تغنياً وتعففاً ولم ينس حق الله في رقابها ولا ظهورها فهي له ستر. ورجل ربطها فخراً ورئاء ونواء فهي على ذلك وزر)(١). هذا في الماضي. أما في الحاضر فالمعول على القوة المادية المتمثلة في الأسلحة بأنواعها المرهبة من طائرات وصواريخ وقنابل نووية فإذا تركت الأمة هذه القوة فقد خالفت أمر ربها وعرضت نفسها للأعداء.

﴿ ۞ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾.

بيان الآيات:

الإسلام دين عدل، ودين محبة، ودين رحمة، ودين سلام وليس دين عدوان كما يتوهم الأعداء؛ خاصة في هذا الزمان الذي ألصقوا به زوراً صفة الإرهاب. ولكن الإسلام دين دعوة أراده الله هداية وبشرى للعالمين، وبعث رسوله رحمة لهم كما قال عز وجل ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴾ برقم (٤٩٦٢)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص٥٩٨ .

﴿إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[١]. وقد أمره الله عز وجل أن يدعو بالحكمة والموعظة ويجادل بالحسنى كما قال عز وجل ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[٢]. وقوله تعالى ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾[٣].

والإسلام دين دفاع إذا انتهك العباد محارم الله، وعصوه، وأفسدوا في الأرض؛ ذلك أن السلام والأمن لخلق الله لا يكون إلا إذا اتبعوا ما أمرهم به، وانتهوا عما نهاهم عنه. والذين يعادون الإسلام يعادون أنفسهم، ويعادون خلق الله لأن معاداته تؤدي إلى الهلاك في الدنيا والآخرة، وما يشهده الناس اليوم من تفشي الأمراض نتيجة الفواحش والخروج على سنن الله ماهو إلا نتيجة للبعد عن أحكام الله التي جاء بها الإسلام .

قوله﴿وَإِن جَنَحُوا۟﴾ أي: مالوا.﴿لِلسَّلْمِ﴾ أي: تخلوا عن الحرب ﴿فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ أي: مل إليها ولهذا لما طلب المشركون عام الحديبية الصلح مع رسول الله ﷺ وصحابته ووضع الحرب تسع سنين قَبِل رسول الله ذلك.﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ﴾ أي: اقبل الصلح منهم وتوكل على

(١) سورة الأنبياء الآية ١٠٧ .
(٢) سورة النحل من الآية ١٢٥ .
(٣) سورة العنكبوت من الآية ٤٦ .

الله فهو حسبك وكافيك وناصرك. ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لما يقولونه عنك. ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بما يدبرونه من مكر أو خديعة .

﴿وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ﴾ أي: إن اظهروا لك السلم وهم يبطنون الغدر والخيانة. ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ﴾ أي: كافيك وسوف يتولى أمرك لأنه يعلم أسرارهم ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ﴾ أي: ثبَّتك ونصرك يوم بدر. ﴿وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ والمراد بهم الأنصار الذين عاهدوه على نصره. ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ أي: ألف بالمحبة بين الأوس والخزرج وهما قطبا الأنصار. ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ وفي هذا إشارة إلى ما كان بين الأوس والخزرج من العداوة والإحن، وتحالف بعضهم مع اليهود ضد البعض الآخر. ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: هو الذي جمع بينهم وأزال عنهم الفتن، وحمية العصبية وشدة البغضاء. ولما خطب رسول الله ﷺ فيهم يوم حنين قال: (**يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي وكنتم متفرقين فألفكم الله بي وعالة فأغناكم الله بي**) وكلما قال شيئاً قالوا: الله ورسوله أمَنُّ[1]. ﴿إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ أي: قوي فيما يريد حكيم فيما يفعل.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب غزوة الطائف، برقم (٤٣٣٠)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٧ ص٦٤٤ .

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بجواز الصلح والسلم مع العدو إذا كان للمسلمين مصلحة فيه. وقد صالح رسول الله ﷺ أهل خيبر، وأهل نجران، وأكيدر دومة الجندل، وهادن قريشاً لمدة عشرة أعوام حتى نقضوا عهدهم.

قلت: ولكن الصلح والسلم لا يعني الاستسلام والتخلي عن الاستعداد للحرب؛ ذلك أن العدو قد يرغب في الصلح لكي يستعد للحرب فينقض عهده ويكر مرة أو مرات فيكون قبوله للصلح مخادعة. ومن الأحكام: أن على المسلم أن يعتمد على نصر الله له في جهاده، وأن يفعل أسباب القوة التي تعينه على الجهاد في سبيل الله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿حَسْبُكَ ٱللَّهُ﴾ أي: كافيك وناصرك. ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾

أي: كافي من معك من المؤمنين وناصرك أنت وناصرهم فلا تخشون أحداً إلا إياه.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ ﴾ أي: حثهم عليه وكان من دأب رسول الله ﷺ أن يحرِّض المقاتلين على القتال ويخبرهم بما وعدهم الله به من النعيم في الدار الآخرة. ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ أي: لا يفقهون القتال من أجل الدين وإنما يقاتلون من أجل الدنيا، والمراد إذا صبر منكم عشرون في المعركة غلبوا مائتين وإذا صبر مائة غلبوا ألفاً. وقد شقَّ ذلك على المسلمين حين فرض الله عليهم هذا الفرض أي: ألا يفر واحد من عشرة فنزل قوله عز وجل ﴿ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ ﴾ أي: خفف عليكم ما فرض عليكم بسبب ضعفكم. ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ ﴾ أي: إذا كانوا بهذا العدد لم يجز لهم أن يفروا من العدو أما إن كانوا دون ذلك حق لهم التحرز منهم.

﴿وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ ﴾ أي: لا يجوز لهم أن يفروا إذا كانوا ألفاً أمام ألفين، والمعنى أن المؤمن المقاتل لا يجوز له أن يفر من وجه اثنين من الأعداء. أما إن كانوا أكثر من اثنين جاز له

الفرار، وهذا من باب الرحمة بسبب الضعف وعدم القدرة. أما إن كان الواحد يقدر على أكثر من اثنين فله أجر عظيم وقد حمل المسلمون في تاريخهم على الأعداء وكانوا أضعافهم. قوله﴿ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي: بعونه وقوته أن لا نصر ولا قوة إلا بالله.﴿ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ أي: أن نصر الله يكون لمن صبر ابتغاء وجه ربه.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن الله عز وجل هو الحسيب والكافي؛ فمن اعتقد أن أحداً يكفيه من دون الله فهو من المشركين. ومن الأحكام: وجوب حث المؤمنين وتحريضهم على الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمته وإعزاز دينه كما قال عز وجل﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾(١). وهذا أمر من الله لرسوله والأمر له أمر لازم لأمته. ومنها: وجوب الصبر عند القتال فيحرم أن يفر الواحد من الواحد، والواحد من الاثنين، والمائة من المائتين، والألف من الألفين.

﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾ ﴾.

(١) سورة التوبة من الآية ٧٣.

بيان الآيات:

﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ﴾ أي: ما جاز لنبي ﴿أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ﴾ هذه الآية نزلت في غزوة بدر وقد روي أن رسول الله ﷺ أتي بسبعين من الأسرى فيهم عمه العباس بن عبد المطلب وعقيل بن أبي طالب فاستشار أبا بكر رضي الله عنه فيهم فقال: قومك وأهلك استبقهم لعل الله أن يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوي بها أصحابك. فقال عمر رضي الله عنه: هؤلاء كذبوك وأخرجوك فقدمهم واضرب أعناقهم فإن هؤلاء أئمة الكفر وإن الله أغناك عن الفداء فمكِّن علياً من عقيل ومكِّن حمزة من العباس ومكِّني من فلان نسيب له فلنضرب أعناقهم فقال رسول الله ﷺ **(إن الله ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللَّيِّن وإن الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة وإن مثلك يا أبابكر مثل إبراهيم قال** ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [1] **ومثلك يا عمر مثل نوح قال**﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [2].

ثم قال لأصحابه: **(أنتم اليوم عالة فلا يفلتن أحد منكم إلا بفداء أو ضرب عنق)** وروي أنه قال: **(إن شئتم قتلتموهم وإن شئتم فاديتموهم واستشهد منكم بعدتهم)** فقالوا: بل نأخذ الفداء وكان فداء الأسارى عشرين أوقية وفداء العباس أربعين أوقية.

---

(١) سورة إبراهيم من الآية ٣٦ .

(٢) سورة نوح من الآية ٢٦ .

فلما أخذوا الفداء نزلت الآية فدخل عمر على رسول الله ﷺ فإذا هو وأبو بكر يبكيان فقال يارسول الله: أخبرني فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاء تباكيت فقال: (**أبكي على أصحابك في أخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة**) (شجرة قريبة منه). وروي أنه قال: (**لو نزل عذاب من السماء لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ رضي الله عنهما لأنهما كانا يريان الإثخان في القتال أحب إليهما**)[1].

قوله ﴿حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: تكون له قوة وبأس بحيث يخاف منه الأعداء. ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: مالها أو حطامها لأن غرضهم من الفداء هو الحصول على المال. ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾ أي: يريد ما يدخلكم الجنة إذا أثخنتم القتال في سبيل الله وإعلاء دينه. ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ أي: يعز من يعز دينه. ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما يأمر به عباده من الإثخان في القتال.

﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾ لمَّا ذكر الله تعالى أنه ما كان للنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض، وما كان من الصحابة من

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٤٠١-٤٠٣، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٦ ص٤٤، من سورة الأنفال، وتفسير البغوي ص٥٣٥، وزاد المسير لابن الجوزي ص٥٦١ - ٥٦٢، والدر المنثور ج٣٣ ص٣٦٤-٣٦٧، وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص٣١١-٣١٢، وأخرجه مسلم في كتاب الجهاد، باب الامداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم، برقم (١٧٦٣)، صحيح مسلم بشرح النووي ج٨ ص٤٨٦٨-٤٨٦٩، وأحمد في المسند ج١ ص٣٠-٣١، ٣٨٣-٣٨٤، والبيهقي في السنن الكبرى ج٦ ص٣٢١، والجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٤٦-٤٧ .

قبول الفداء من المشركين، بيَّن لهم أنه لولا أنه قد سبق في علمه حل الغنائم لهذه الأمة خلافاً للأمم السابقة. ﴿لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ أي: لجزاكم بالعذاب الشديد لقاء قبولكم أخذ الفداء.

﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾ هذا بيان من الله بالإذن للمجاهدين بأخذ الغنائم من الأعداء ﴿حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ أي: مباح لكم أما قسمتها فالحكم فيها قول الله تعالى ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ الآية[1]. ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أمر من الله لعباده لأن يتقوه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ إشارة إلى أنه رحمهم وغفر لهم ما فعلوه في مفاداة الأسرى.

أحكام ومسائل الآيات:

من قواعد الجهاد في الأمة ألا تفادي الأسرى أو تمن عليهم بفكهم إلا بعد أن يثخن المجاهدون القتل في العدو حتى يَرْهَبَهُم ويخشاهم فإذا تحققت إخافة العدو وأصبحت الأمة في موقع القوة والنصر أمكن حينئذٍ المفاداة، أو المن عليه بفك أسراه. ومن الأحكام: أن الله أحل الغنائم لهذه الأمة خلافاً للأمم السابقة، ولهذا تجاوز الله عن الصحابة في أخذهم الفداء في الأسرى قبل الإثخان في العدو. ومنها: وجوب تقوى الله وطاعته وطاعة رسوله فيما يأمران به والانتهاء عما نهيا عنه.

---

(١) سورة الأنفال من الآية ٤١ .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٠ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدۡ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٧١﴾.

بيان الآيتين:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ﴾ أي: قل لمن هم تحت أيديكم بسبب أسرهم في معركة بدر ﴿إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا﴾ أي: إيماناً صادقاً. ﴿يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ﴾ أي: يخلفكم أكثر مما أخذ منكم من الفداء. وفي هذا روي أن قريشاً لما بعثت لرسول الله ﷺ في فداء أسراهم ففدى كل قوم أسيرهم بما رضوا قال العباس: يا رسول الله قد كنت مسلماً لكنهم استكرهوني فقال رسول الله ﷺ: (**فإن يكن ما تذكره حقاً فالله يجزيك فأما ظاهر أمرك فقد كان علينا أخذ الفداء منك**). وكان أحد الذين ضمنوا إطعام أهل بدر وخرج بالذهب لذلك وقيل: إن رسول الله ﷺ قال له: (**افد ابني أخيك عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث**) فقال: يا محمد تركتني أتكفف قريشاً ما بقيت. فقال له: (**فأين الذهب الذي دفعته إلى أم الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها: لا أدري مايصيبني في وجهي هذا فإن حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل**).

فقال العباس: وما يدريك؟ قال: (**أخبرني به ربي**). قال العباس: فأنا أشهد أنك صادق وألا إلَه إلا الله وأنك عبده ورسوله والله لم يطلع عليه أحد إلا الله، ولقد دفعته إليها في سواد الليل ولقد كنت مرتاباً في أمرك فأما إذ أخبرتني بذلك فلا ريب.

قال العباس رضي الله عنه: فأبدلني الله خيراً من ذلك، لي الآن عشرون عبداً إن أدناهم ليضرب في عشرين ألفاً وأعطاني زمزم ماأحب أن لي بها جميع أموال أهل مكة وأنا انتظر المغفرة من ربي[1].

قوله﴿ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ أي: يغفر ذنوبكم قبل إسلامكم﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ أي: إنه غفار رحيم بعباده الذين يتوبون إليه بنية صادقة. ﴿ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ ﴾ أي: إذا أراد هؤلاء الأسرى الذين دفعوا الفداء وأظهروا الإسلام أن يخونوك فيما بايعوك عليه من الإسلام وأن يرتدوا ﴿ فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ ﴾ أي: سبق لهم أن خانوك وكذبوك وقاتلوك. وقد يكون المراد بالخيانة عدم دفع الفداء.﴿ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ﴾ إشارة إلى ما حدث يوم بدر﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ ﴾ بما يسرون.﴿ حَكِيمٌ ﴾ فيما يدبر.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن من عمل خيراً وهو صادق في نيته عوضه الله خيرا منه،

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٤٠٤، والدر المنثور ج٢ ص٣٦٩، والبغوي ص٥٣٦، وزاد المسير لابن الجوزي ص٥٦٢-٥٦٣، والبيهقي في السنن الكبرى ج٦ ص٣٢٢، كتاب قسم الفيء والغنيمة. ومجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج٧ ص٢٨ بالاختصار.

ولهذا عوض الله العباس بن عبد المطلب خيراً من الفداء الذي دفعه لفك أسره. ومن الأحكام: أن سوء الخيانة يرتد على الخائن؛ فمن خان عهده ونقض ميثاقه لقي جزاء خيانته في الدنيا والآخرة.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٧٢) ﴾.

بيان الآية:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ المراد بهم المهاجرون الذين هجروا أوطانهم فارين بدينهم بعد أن فضلوه على أهلهم وأوطانهم وأموالهم. وقد مدحهم الله بقوله ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾(١). ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ ﴾ المراد بهم الأنصار الذين آووا المهاجرين وأكرموهم وأنزلوهم معهم في منازلهم ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ ﴾ أي: أقرباء في العقيدة ولهذا آخى رسول الله

---

(١) سورة الحشر الآية ٨ .

ﷺ بين المهاجرين والأنصار كل اثنين إخوان؛ فكانوا يتوارثون بذلك إرثاً فوق القرابة حتى نسخ الله ذلك بآية المواريث، وقد مدحهم الله بقوله ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ الآية[1]، وقوله عز ذكره ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ الآية[2].

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ المراد بهم الذين آمنوا ولم يهاجروا من أوطانهم فهؤلاء لا حظ لهم في الغنائم ولا في الخمس إلا إن كانوا قد حضروا قتال العدو ﴿حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟﴾ أي: حتى يتركوا أوطانهم فحينذاك يكون لهم ما للمهاجرين.

وفي حديث بريدة بن الحصيب الأسلمي أن رسول الله ﷺ إذا بعث أميراً على سرية أو جيش أوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله وبمن معه من المسلمين خيراً وقال: (**اغزوا باسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تُمَثِّلوا ولا تقتلوا وليداً وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال أو خلال فأيتهن ما أجابوك فأقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم إلى الإسلام فإن**

(١) سورة التوبة من الآية ١٠٠ .

(٢) سورة التوبة من الآية ١١٧ .

أجابوك فأقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين ولا يكون لهم في الفيء والغنيمة شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين فإن هم أبوا فسلهم الجزية فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم فإن أبوا فاستعن بالله وقاتلهم)[١].

﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾ أي: إن استنصركم هؤلاء الذين لم يهاجروا في قتال من أجل الدين فانصروهم لأنهم إخوانكم في الدين ﴿إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾ أي: انصروهم مالم يكن بين من يقاتلونهم من الكفار وبينكم عهد لأن من الواجب الوفاء بالعهد. ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ أي: يبصر ويعرف ما تعملونه.

أحكام ومسائل الآية:

الحكم بوجوب نصرة المؤمنين من إخوانهم إذا طلبوا منهم نصرهم في قتال من أجل دين الله ما لم تكن بين من طلب منهم النصر، وبين أعداء المؤمنين عهد وميثاق فيكفوا عن نصرهم لأن العهد مما يجب الوفاء به.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها، برقم (١٧٣١)، صحيح مسلم بشرح النووي ج٨ ص٤٧٧٥.

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ ﴾

بيان الآية:

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ أي: إن الكفار يوالي بعضهم بعضاً وهذا يقتضي عدم موالاة المسلمين للكفار لا في الإرث ولا في غيره. ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ ﴾أي: إذا لم تتولوا أيها المسلمون بعضكم بعضاً وتكونوا يداً واحدة وتحذروا تولي الكفار ﴿تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾أي: بسبب الشرك والكفر تعم الفتن، ويكثر الفساد والخراب في الأرض .

أحكام ومسائل الآية:

وجوب عدم موالاة الكافرين لأن موالاتهم تؤدي إلى كثرة الفتن والفساد في الأرض.

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمْۚ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمُۢ ﴿٧٥﴾ ﴾

بيان الآيتين:

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ المراد بهم

المهاجرون الذين هجروا ديارهم. ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ﴾ المراد بهم الأنصار ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗا﴾ أي: إنهم المهاجرون المؤمنون الصادقون لأنهم فضلوا دينهم على أهليهم وأموالهم وأوطانهم ولا يكون هذا التفضيل إلا من قلوب مملوءة بالإيمان. ﴿لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ﴾ بيان من الله أنه سوف يغفر لهم ذنوبهم وخطاياهم. ﴿وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾ أي: يرزقهم جنات النعيم. ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ﴾ أي: الذين هاجروا بعد المهاجرين الأولين. ﴿وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ﴾ أي: شاركوكم الجهاد ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ﴾ أي: إخوانكم ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ﴾ هذا نسخ للتوارث بالهجرة[١]. ﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ﴾ أي: في القرآن والمراد آية المواريث. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ﴾ أي: عالم بأحوال عباده في علانيتهم وسرهم لا تخفى عليه خافية منهم.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير فضل المهاجرين الأول لجمعهم بين الإيمان بالله ورسوله، وبين الهجرة عن وطنهم فراراً بدينهم. تقرير فضل الأنصار الذين آووا رسول الله ﷺ ونصروه. تقرير فضل أقل للذين هاجروا بعد ذلك وجاهدوا مع رسول الله ﷺ. ومن الأحكام: نسخ التوارث بين المهاجرين والأنصار بعد أن كان ذلك سائداً بينهم وجعل التوارث بالنسب والمصاهرة والولاء.

---

(١) تفسير البغوي ص٥٣٧ .

سورة التوبة

مدنية وآياتها مائة وثلاثون آية

هذه السورة آخر ما نزل على رسول الله ﷺ ولم يبسمل في أولها لأن الصحابة لما كتبوا المصحف اقتدوا في ذلك بالخليفة الراشد عثمان رضي الله عنه.

﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ أي: هذه تبرؤ من الله ورسوله. ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ الذين عاهدوا المشركين هم صحابة رسول الله ﷺ بعد أن أذن الله لهم في هذه المعاهدة؛ فلم يقر المشركون بعهدهم بل نقضوه فأوجب الله النبذ إليهم وبيّن في هذه الآية أنه ورسوله بريئان من معاهدة المشركين. ﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ المراد بذلك أن يسيحوا في الأرض مدة أربعة أشهر غير خائفين من أحد من المسلمين. وفي سنة تسع من الهجرة جعل رسول الله ﷺ أبابكر أميراً على الحج، وبعث علي بن أبي طالب بثلاثين آية من هذه السورة فقرأها عليهم يوم عرفة، وبيّن لهم المدة

التي يسيحون فيها وقال: (**لا يحجن بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان**)[١].

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بجواز عقد المعاهدات، والصلح، والموادعة مع الكفار. وجواز إلغاء المعاهدات مع الكافرين بعد إعطائهم مدة لكي يتدبروا أمرهم فيها.

﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥۚ فَإِن تُبۡتُمۡ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٣ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَمۡ يُظَٰهِرُواْ عَلَيۡكُمۡ أَحَدٗا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ٤ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ وَأَذَٰنٌ ﴾ أي: إعلام ﴿ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ ﴾ أي: يوم النحر. ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ ﴾ أي: يتبرأ منهم بسبب شركهم. ﴿ فَإِن تُبۡتُمۡ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ ﴾ أي:

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ج١ ص٣، والهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج٢ ص٢٣٨ .

إن تبتم من الشرك. ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أي: يعفو الله عما سبق منكم كما قال عز وجل ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾[1]. ﴿وَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ أي: أعرضتم عن الهدى وبقيتم على شرككم وضلالكم. ﴿فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ﴾ أي: أنه قادر عليكم ولن تفلتوا من عقابه ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أي: أخبرهم أنهم إذا استمروا على الشرك فسينالهم العذاب في الدنيا والآخرة.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ لما حدد الله الأمان للمشركين بأربعة أشهر يسيحون فيها آمنين استثنى من تحديد المدة المعاهدين فقال عز ذكره ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ أي: من عاهدتم من المشركين عهداً محدداً لسنة مثلاً ﴿ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا﴾ أي: لم يغدروا بكم بقتل أو غيره. ﴿وَلَمْ يُظَٰهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَدًا﴾ أي: لم يناصروا أو يعاونوا عليكم أحداً كما فعلت قبيلة بكر على خزاعة حليفة رسول الله ﷺ، وظاهرت قريشاً بالمال والسلاح. ﴿فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ﴾ أي: التزموا بما عاهدتم عليه. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ المراد بهم الذين يوفون بعهودهم ويخشون الله ويخافونه فيما يقولون ويفعلون.

---

(١) سورة الأنفال من الآية ٣٨ .

أحكام ومسائل الآيتين:

وجوب البراءة من المشركين ومن في حكمهم؛ فإن تابوا ففي ذلك خير لهم لأن الله يغفر ما سلف منهم. والحكم بوجوب الوفاء بالمعاهدات مع الكفار التي لها آجال محددة إذا لم يغدروا بالمسلمين، ولم يعينوا أحداً عليهم.

﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ﴾ أي: انتهت. ﴿ٱلْأَشْهُرُ﴾ المراد بها الأشهر التي حددت لهم أن يسيحوا فيها بأمان وسلام. ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ أي: الذين نقضوا العهد معكم وظاهروا عليكم أعداءكم. ﴿حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ أي: حيثما ثقفتموهم في الحل أو الحرم. ﴿وَخُذُوهُمْ ﴾ أي: أسرى. ﴿وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ﴾ أي: ترقبوهم وترصدوهم في الطرق والمعابر. ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ المراد أنهم إذا أسلموا والتزموا بأحكام الإسلام من صلاة

وزكاة وغير ذلك. ﴿فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: لا تتعرضوا لهم بسوء، فالله غفور ورحيم بعباده.

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ﴾ المراد إذا كان أحد من المشركين الذين أمرت يا محمد بقتالهم استأمنك فاقبل منه. ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ أي: يسمع القرآن الذي تتلوه عليه فإن آمن به وأسلم إلى الله فذاك خير له وإن لم يفعل فأجره أي: رده إلى أهله، ووفر له الأمان وهو معنى قوله عز وجل ﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ أي: يرجع إلى مكان يأمن فيه من المسلمين. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لا يعلمون حقيقة دين الله ومافيه من الخير؛ ذلك أنهم لو علموه لما أشركوا مع الله غيره فقبل منهم الجوار بقصد إرشادهم.

أحكام ومسائل الآيتين:

وجوب استعمال القوة في القتال إذا انتهت المدة المحددة للسلم مع العدو ولم يف بالعهد الذي تم معه. فإن التزم بأحكام الإسلام وجب عدم التعرض له. ومن الأحكام: وجوب الأمن لمن طلب الأمان وعدم التعرض له.

﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُواْ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُواْ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٧ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُواْ

عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾ ﴾

بيان الآيتين:

﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾ استفهام استنكاري، والمراد كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله وهم يخدعون ويغدرون. ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ﴾ هذا استثناء متصل والمراد بهم المشركون الذين تم التعاهد معهم في الحديبية. ﴿فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ أي: إذا بقوا على العهد الذي تم بينكم وبينهم فأوفوا بعهدكم لهم. وقد أوفى رسول الله ﷺ بعهده معهم إلى أن نقضت قريش عهدها حين عاونوا بني بكر حلفاءهم على خزاعة حلفاء رسول الله ﷺ كما سبق ذكره فقتلوهم في الحرم مما حدا برسول الله ﷺ إلى غزوهم سنة ثمان من الهجرة ومكّنه الله من دخول مكة فأطلق من أسلم منهم وقال: (**اذهبوا فأنتم الطلقاء**)(١).

﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ﴾ لا يزال السياق في سلوك المشركين ومن شايعهم من اليهود والمنافقين. ﴿كَيْفَ﴾ استفهام إنكار وتوكيد بأن المشركين لا يوفون

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٧٨ .

بعهودهم. ﴿وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ أي: إن يغلبوكم ﴿لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا﴾ أي: لا يراعوا فيكم قربى ﴿وَلَا ذِمَّةً﴾ أي: عهداً ﴿يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ أي: يقولون لكم بألسنتهم ما يعتقدون أنه يرضيكم. ﴿وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ﴾ أي: إن قلوبهم ليست مثل ظاهرهم فهي مملوءة بالعداوة والحقد عليكم. ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ أي: عاصون الله بنقضهم لعهدهم.

أحكام ومسائل الآيتين:

وجوب احترام العهد مع العدو ما دام ملتزماً بما عاهد عليه، ولم يساعد عدواً آخر على المسلمين. ومن الأحكام: تقرير أنّ من طبيعة العدو أو بعضه عدم الوفاء بالعهد، وإذا غلب لا يراعي عهداً ولا أخلاقاً لأن قلبه مملوء بالعداوة للدين وأهله.

﴿اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِ ۚ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩) لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ (١٠) فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (١١) وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ (١٢)﴾

بيان الآيات:

﴿ ٱشۡتَرَوۡاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلٗا ﴾ أي: باعوا القرآن الذي جاءهم بالهدى، واستعاضوا عنه بحطام الدنيا، واتباع شهواتهم وأهوائهم وتصديق رؤسائهم. ﴿ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِۦٓۚ ﴾ أي: لم يكن كفرهم في أنفسهم فحسب بل صدوا غيرهم عن اتباع الهدى كما فعل أبو سفيان بإطعام الأعراب لاستمالتهم ضد رسول الله ﷺ. ﴿ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ أي: بئس فعلهم وصنعهم.

﴿ لَا يَرۡقُبُونَ فِي مُؤۡمِنٍ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ ﴾ أي: لا يراعون في المؤمنين قرابة ولا عهداً ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُعۡتَدُونَ ﴾ أي: الطغاة والظلمة.

﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ ﴾ المراد إن تخلوا عن شركهم وكفرهم ونقضهم العهود ثم دخلوا في الإسلام، وأقاموا أحكامه فهم إخوانكم في الدين ﴿ وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾ أي: نبين الآيات والحجج والبراهين الدالة على وجوب التوحيد وتحريم الشرك. ﴿ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾ أي: لقوم يدركون بعقولهم هذه الآيات والمراد أن الذين لا يعلمون هم من أهل الضلال والجهل فهم لا ينتفعون بمواعظ ولا بآيات.

﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم ﴾ أي: نقضوا عهودهم التي عاهدوا عليها. ﴿ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ ﴾ أي: عابوه وانتقصوه. ﴿ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ

﴿ٱلْكُفْرِ﴾ المراد أنهم لما عاهدوا ثم نكثوا ما عاهدوا عليه ثم طعنوا في الدين أصبحوا من أئمة الكفر فوجب قتالهم والتغليظ فيه ﴿إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾ أي: إنهم لا يأبهون بما يقسمون عليه من الوفاء بالعهد، وعدم نقضه فقاتلوهم فلعلّ مقاتلتكم تكون سبباً في انتهائهم عن الكفر ونقض العهود.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير سوء سلوك المشركين في إعراضهم أنفسهم عن الدين، والاستعاضة عنه بحطام الدنيا، وفي صدهم عن سبيل الله فيكون العذاب مضاعفاً لهم. تقرير أن من طبيعة العدو في الدين أنه لا يرعى عهداً ولا قرابة. ومن الأحكام: أن من تاب من المشركين والكفار ودخل في الإسلام أصبح أخاً للمؤمنين. ومنها: أن من طعن في الدين يعد كافراً ويشمل الطعن فيه تعييبه أو التنقص منه، أو سبه، أو الاستهزاء، أو الاستخفاف به أو سب المؤمنين بسبب انتسابهم له كما قال تعالى ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾[1]. ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾[2]. وينبني على هذا أن الذمي إذا سب الدين نقض عهده.

﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ

(١) سورة التوبة من الآية ٦٥.

(٢) سورة التوبة من الآية ٦٦.

وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ﴾ حث على مقاتلة المشركين ﴿قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ﴾ أي: نقضوا عهدهم ﴿وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ﴾ أي: حين تبادلوا الرأي في دار الندوة بإخراجه أو قتله حتى أمره الله بالهجرة كما قال تعالى ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[1].

﴿وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ المراد به إصرارهم على القتال يوم بدر رغم أن عِيْرَهُم قد سلمت علاوة على نقضهم العهد. ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ﴾ استفهام إنكاري على من يخافهم أو يخشاهم. ﴿فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ﴾ أي: هو المستحق للخشية ومقاتلة أعداء

(١) سورة الأنفال الآية ٣٠ .

دينه ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي: إن كنتم مؤمنين فإنه هو الأحق بالخشية منه.

﴿قَٰتِلُوهُمْ﴾ لما حثَّ الله على قتال المشركين وأنكر على من كان يخشى منهم أمر بقتالهم فقال: قاتلوهم ﴿يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ أي: بقتالكم لهم. ﴿وَيُخْزِهِمْ﴾ أي: يذلهم في الدنيا. ﴿وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: يهزمهم. ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ قيل: المراد خزاعة الذين قتلتهم بكر بعد أن عاونتها قريش. وقيل: إنهم أناس من أهل اليمن جاؤوا إلى مكة فأسلموا فوجدوا من أهلها عذاباً وأذى شديداً فبعثوا إلى رسول الله ﷺ يشكون حالهم إليه فقال: (**أبشروا فإن الفرج قريب**).

﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ أي: يزيل عنكم هَمَّ ما عانيتموه من المشركين، وهذا هو ما تم لرسول الله ﷺ والمؤمنين بعد وعد الله له في قوله عز وجل ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾(١). ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ هذا بيان من الله أن من أهل مكة من يتوب ويرجع إلى الله وقد حدث هذا حين أسلم كثير منهم. ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ أي: يعلم ماكان وما سيكون. ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما يقول ويفعل.

(١) سورة الفتح من الآية ٢٧ .

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ﴾ أي: هل تظنون أنكم تتركون بدون ابتلاء وامتحان لمدى صبركم وقوتكم في جهاد الأعداء ومعرفة الصادق والمنافق منكم. ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ﴾ أي: ويعلم الذين جاهدوا بصدق وإيمان. ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾ أي: لم يتخذوا بطانة من المعادين لله ورسوله. ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ أي: يعلم سركم وعلانيتكم.

أحكام ومسائل الآيات:

الحث على مقاتلة من ينقض العهد، والإنكار على من يخشى المخلوقين لأن الخشية والخوف لا يكون إلا من الله، والرجاء لا يكون إلا منه. ومن الأحكام: الأمر بقتال المشركين ومنازلتهم بقوة وشجاعة، وقد تكفل الله بنصر أوليائه وهزيمة أعدائه إذا لم يتوبوا. ومنها: أن الجهاد في سبيل الله يميز الذين يجاهدون بصدق من الذين على خلافهم ممن يوالون الأعداء.

﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ ﴾ للعلماء في تفسير هذه الآية عدة تأويلات فقيل: إن المراد مسجد الله بالافراد هو المسجد الحرام[١]. وقيل: مساجد الله بالجمع ويراد المسجد الحرام لأنه قبلة المساجد[٢]. وقيل: إن الآية نزلت في العباس لما أسر يوم بدر وعيَّره قومه بالكفر قال: تذكرون مساوئنا ولا تذكرون محاسننا فرد عليه علي بن إبي طالب وقال: ألكم محاسن؟ قال: نعم إنا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحاج ونفك العاني فنزلت هذه الآية ردّاً عليه[٣]. وقيل: إن المراد منع المشركين من الحج بعد ما نودي فيهم بالمنع منه وكانت أمور البيت من الرفادة والسقاية وغيرها إلى المشركين[٤].

وعلى أي: حال كان التأويل فإن المشركين لا يعمرون مساجد الله لا عمارة بناء وتشييد ومحافظة عليها ولا عمارة عبادة وهو ما بيَّنه الله عز وجل في الآية التالية ﴿شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ﴾ أي: أنهم يقرون بالكفر؛ فالمشرك إذا سئل قال: أنا مشرك

---

(١) تفسير البغوي ص٥٤٤ .

(٢) تفسير البغوي ص٥٤٤ .

(٣) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٤٠٧ ، وتفسير الضحاك ج١ ص٤٠١، وتفسير مقاتل بن سليمان ج٢ ص٣٩، وتفسير ابن وهب ج١ ص٣٠٩، وتفسير البغوي ص٥٤٣، وزاد المسير لابن الجوزي ص٥٧٢، والجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٨٩ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٨٩ .

والنصراني إذا سئل عن دينه قال: أنا نصراني وهكذا.﴿ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ﴾ أي: بطلت فلا أجر لهم عليها.﴿ وَفِي ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴾ أي: مقيمون إلى الأبد.

﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ لما نفى الله جل وعلا عمارة المشركين للمساجد بيَّن من هم الذين يعمرونها حقيقة، وهم من آمن بالله حق الإيمان فوحَّده ولم يشرك به، وأطاعه ولم يعصه، وصدَّق رسله وما جاؤوا به من البينات، وآمن بالبعث والنشور والحساب والجزاء.﴿ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ بوصفها عماد الدين.﴿ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ أي: لم يبخل بالإنفاق في سبيل الله من مال أعطاه إياه.﴿ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ خلافاً للمشركين الذين يخشون أصنامهم وأوثانهم ويعتقدون أنها تضر وتنفع من دون الله.

﴿ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ أي: إن أولئك هم المفلحون لأن هدايتهم متحققة من الله ثم بفضل إيمانهم وإقامتهم أركان الدين.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن المشركين ومن في حكمهم لا يعمرون مساجد الله بأي حال. الحكم بتحريم دخول غير المسلم للمساجد مالم يكن فيه مصلحة كدخوله لإعلان إسلامه أو لأمر لا يتحقق إلا به كما لو

كان لإصلاح شيء في المسجد لا يقدر عليه إلا هو، أو لا يوجد أحد من المسلمين للقيام به. الحكم بفضل عمارة المساجد إما ببنايتها بناء مادياً أو عمارتها بالعبادة، وشاهد الأول قول رسول الله ﷺ **(من بنى لله مسجدًا ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتاً في الجنة)**[1]. وشاهد الثاني قول رسول الله ﷺ **(إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان)**[2]. ومن الأحكام: وجوب الإيمان بالله واليوم الآخر وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة.

﴿ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾.

بيان الآيات:

لما كان المشركون يفاخرون بسدانتهم للبيت وسقايتهم للحجاج، ويفضِّلون عملهم هذا على الإيمان بالله والهجرة والجهاد، ونفى

---

(١) أخرجه ابن ماجة في كتاب المساجد، باب من بنى لله مسجداً، برقم (٧٣٨)، سنن ابن ماجة ج١ ص٢٤٤، وأحمد في المسند ج١ ص٢٤١ .

(٢) أخرجه أحمد في المسند ج٣ ص٦٨، والبيهقي ج٣ ص٦٦، وأبو نعيم في حلية الأولياء ج٨ ص٣٢٧ .

الله تعالى قولهم وكذبهم قال ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ ﴾ فعملكم الذي تتفاخرون به لا يستوي في حكم الله بل هو خسران لا ينفعكم، إن ما ينفعكم هو الإيمان والجهاد والهجرة ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ المراد به المشركون إذا أعرضوا عن الحق لن يهديهم الله.

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ ﴾ هم أعظم درجة من الذين كانوا يفاخرون بالسقاية. قال القرطبي: وليس للكافرين درجة عند الله حتى يقال: المؤمن أعظم درجة، والمراد أنهم قدَّروا لأنفسهم الدرجة بالعمارة والسقي فخاطبهم على ماقدَّروه في أنفسهم وإن كان التقدير خطأ وقيل: أعظم درجة من كل ذي درجة أي: لهم المزية والمرتبة العلية[1]. ﴿ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ أي: الذين يفوزون بالدرجة العظمى.

﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم ﴾ أي: يبيِّن لهم ويفرحهم. ﴿ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾ وهذا غاية ما يتمنون أن يرحمهم ربهم، ويرضى عنهم ويسكنهم في الجنة. ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ أي: مقيمين فيها إقامة خالدة. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ أي: لعباده الذين أطاعوه واتبعوا ما أمرهم به وتركوا مانهاهم عنه.

---

(١) أحكام القرآن ج٨ ص ٩٣ .

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن عمل المشرك لا ينفعه ولو كان يعمر المساجد بالتشييد والبناء، وأن كل من يبتعد عن الله يحرمه من الهداية. ومن الأحكام: أن أعظم المؤمنين درجة هم الذين آمنوا بالله وصدقوا رسوله وما جاء به من البينات ثم هاجروا فراراً بدينهم ثم جاهدوا بأموالهم وأنفسهم لإعلاء هذا الدين.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَـٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَـٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ ﴾ سبب نزول هذه الآية أن رسول الله ﷺ لما أمر بالهجرة من مكة إلى المدينة كان على الذين آمنوا أن يهاجروا؛ فكان الرجل يقول لأهله إنا أمرنا بالهجرة، فمنهم من تهيأ للخروج معه، ومنهم من تردد، أو أبى وقد عزم بعضهم على أهله فأطاعوه، ومنهم من تعلق به أهله فرقّ لهم فنزلت

هذه الآية[١] والمعنى أن الله خاطب المؤمنين ألا يوالوا أهلهم إذا أحبوا الكفر على الإيمان ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ أي: يكون كافراً مثلهم لأن من يرضى بالكفر يعد كافراً. وقد امتثل المؤمنون لما نزلت هذه الآية فهاجروا فكان الرجل منهم يأتيه أبوه، أو ابنه، أو أحد أقاربه فلا يلتفت إليه ثم رخص لهم بعد ذلك كما قال رسول الله ﷺ لأسماء بنت أبي بكر لما قدمت عليها أمها وهي مشركة: (**صلي أمك**)[٢].

﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا﴾ أي: اكتسبتموها. ﴿وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ﴾ أي: تجارة تخشون فسادها وبوارها ومساكن تحبونها. ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ أي: أحب إليكم من طاعتهما بالهجرة وأحب إليكم من الجهاد في سبيل الله. ﴿فَتَرَبَّصُواْ﴾ هذا بيان فيه تهديد ووعيد. ﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ قيل في هذا التهديد: هو فتح مكة[٣] أو تهديد بعقوبة قادمة[٤].

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٤١٠، وتفسير البغوي ص٥٤٦، وزاد المسير لابن الجوزي ص٥٧٣ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد والوالدين ولو كانوا مشركين، برقم (١٠٠٣)، صحيح مسلم بشرح النووي ج٤ص٢٧٧٥.

(٣) زاد المسير لابن الجوزي ص٤٧٥ .

(٤) زاد المسير لابن الجوزي ص٤٧٥ .

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بكفر من يتخذ الكافرين أولياء له من دون الله ولو كانوا أقرب الناس إليه. الحكم بفضل الجهاد في سبيل الله لأن العمل على إعلاء الدين مقدم على سائر الأعمال. ولما عَلِمَ الله بعلمه المطلق أن بعض المؤمنين قد رقَّ لأهله وخشي على تجارته وأمواله؛ توعدهم بما سيكون لهم في آجل أمرهم أو عاجله من العقوبة إما بالقتل عندما يحين موعد فتح مكة أو أي عقوبة أخرى تصيبهم.

قلت: وما حال المسلمين اليوم عن حال أولئك ببعيد؛ فقد ثقل عليهم الجهاد لصد أعدائهم الذين يتربصون بهم في دينهم وأوطانهم. وتمادى بعضهم في موالاة أعدائهم إما حباً لهم وافتتاناً بما يقولونه لهم، أو خشية منهم بعد أن ضعفت نفوسهم، وتخلوا عن الصنائع واستمرؤوا التجارة، ولهو الحياة كما فعل ذلك من قبل أسلاف لنا في الأندلس؛ فكانت عاقبتهم قتلهم ودمارهم وردهم عن دينهم فلم يبق لهم إلا أطلال للذين يسيحون في أسبانيا.

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا

وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ ﴾ لما تم فتح مكة وأسلم أهلها واستقرت الأمور فيها بلغ رسول الله ﷺ أن هوازن جمعوا جمعاً لقتاله. وتحالفت مع هوازن قبيلة ثقيف وأناس من بعض القبائل الصغيرة، وكان أميرهم مالك بن عوف النضري فأقبلوا معهم نساؤهم وأنعامهم دلالة على أنهم يحرسونهم. فخرج إليهم رسول الله ﷺ في الجيش الذي جاء معه لفتح مكة وهو آلاف من المهاجرين والأنصار تقدر بعشرة فسار بهم إلى هوازن فالتقوا (في حنين)[1] وهو وادٍ بين مكة والطائف فكانت فيه المعركة في أول الصباح فكمنت فيه هوازن فلما تواجه الفريقان لم يشعر المسلمون إلا وقد رشقوهم بالنبال وجردوا عليهم السيوف؛ فأدبر المسلمون وثبت رسول الله ﷺ في المعركة وأسرع إليهم وهو على بغلته وعمه العباس آخذ بركابها الأيمن وأبو سفيان آخذ بركابها الأيسر، وهو يدعو المسلمين إلى الكر

---

(١) واد من أودية مكة المكرمة، يسيل من السراة، من جهات طاد وتنضبة ثم ينحدر غرباً، يمر بين جبل كِنشل الشهير عن يمينه، ويعرف بوادي الشرائع، ولا يعرف بحنين، والطريق إلى الطائف تأخذ على الشرائع قابلة وادي حنين ثم تأخذ وادي يدْعان يساراً، انظر معالم مكة التاريخية والأثرية، لعاتق البلادي ص٨٦-٨٧ .

عليهم قائلاً: (**إلي عباد الله إني رسول الله أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب**) وقد ثبت معه مائة نفر منهم أبوبكر وعمر والعباس وأسامة بن زيد وأبو سفيان بن الحارث.

ولما تبعثر الجيش قام العباس منادياً: يا أصحاب الشجرة (يريد المهاجرين والأنصار الذين بايعوا رسول الله ﷺ تحتها ألا يتخلوا عنه) فقالوا: لبيك، ثم انعطف نفر منهم إلى رسول الله ﷺ فأمرهم أن يحملوا على العدو حملة صدق وفداء ثم أخذ قبضة من تراب بعدما دعا ربه ثم قال: (**اللهم أنجز لى ما وعدتني**) ثم رمى العدو بها ثم قال: (**انهزموا ورب محمد**) فما بقي إنسان منهم إلا أصابه منها في عينيه وفمه ما يشغله عن القتال ثم انهزموا فاتبع المسلمون أثرهم يقتلون ويأسرون، وما كاد الناس الذين ناداهم العباس يتوافدون على رسول الله ﷺ إلا والأسرى مكبلون أمامه.

وقد قال بعض من أسلم من المشركين ممن شهد حنيناً: لقينا المسلمين فما لبثنا أن هزمنا واتبعناهم حتى انتهينا إلى رجل راكب بغلة بيضاء فلما رآنا زجرنا وانتهرنا وأخذ بكفه حصى وتراباً فرمى به وقال: (**شاهت الوجوه**) فلم تبق عين إلا دخلها من ذلك، وما ملكنا أنفسنا أن رجعنا على أعقابنا منهزمين وقيل: إن الذي قال: (**شاهت الوجوه**) هم الملائكة.

قوله ﴿إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ﴾ قيل: إنهم اثنا عشر ألفاً وقال بعضهم: لن نغلب اليوم من قلة، فكان لهذه الكلمة عاقبتها وهي

الهزيمة وهي درس لهم أن النصر من عند الله، وأن كثرة الجيش وقوته لا تغني شيئاً إذا لم يكن الله هو المتولي والناصر للجيش وأهله. ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ المراد به ما أصابهم من فزع وخوف ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ أي: فارين لم يبق منهم إلا رسول الله ﷺ وقد شهد بذلك قائد معركة هوازن مالك بن عوف النضري في قوله:

ما إن رأيت ولا سمعت بمثله ... في الناس كلهم بمثل محمد

أوفى وأعطى للجزيل إذا اجتدى ... ومتى يشأ يخبرك عما في غد

وإذا الكتيبة عردت أنيابها ... بالسمهري وضرب كل مهند

فكأنه ليث على أشباله ... وسط المباءة خادر في مرصد(١)

﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: أنزل عليهم ما يطمئنهم في نفوسهم حتى يعودوا للقتال. ﴿وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ المراد بهم الملائكة. ﴿وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: بقتال المسلمين وهزيمتهم لهم. ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: ما يستحقونه بسبب قتالهم لرسول الله والمؤمنين. ﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: يتوب على من

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام، ج٤ ص١١٤-١٧٠، وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص٣٢١، وتفسير البغوي ص٥٤٦-٥٤٧، وزاد المسير لابن الجوزي ص٥٧٤-٥٧٥، والجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٩٦-٩٩.

انهزموا وأسلموا من هوازن وثقيف ومنهم مالك بن عوف النضري الذي أسلم وأعطاه رسول الله ﷺ وأجزل له العطاء(١).

أحكام ومسائل الآيات:

تحريم الغرور والعجب لما يؤدي إليه من الفشل. الحكم بأن كثرة الجيوش وعددها وعدتها لا تغني شيئاً لأن النصر من عند الله كما قال عز وجل ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾(٢). وهذا محسوس ومشاهد في كل الأزمنة والأمكنة؛ فكم من جيوش كثيرة هزمتها قلة من المحاربين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ لما نزلت

(١) الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص١٠٢، وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص٣٣١.
(٢) سورة البقرة من الآية ٢٤٩.

هذه الآية سنة تسع أمر رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب ومعه أبوبكر أن ينادي في الموسم ألا يحج بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان[١]. ونجاسة المشرك معلومة من حاله؛ فهو لا يتطهر ولا يغتسل. وقد اختلف العلماء في تأويلها، ولعل المراد بالنجاسة النجاسة المعنوية لكون الشرك نجاسة. أما هو كمخلوق فليس بنجس لأن الله خلق الخلق على فطرتهم وليس فيهم نجاسة كما قال رسول الله ﷺ: (**ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**)[٢].

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ أي: إن خشيتم الفقر فالله رازقكم؛ ذلك أن المسلمين لما منعوا المشركين من الموسم وسوس لهم الشيطان الخوف من الفقر فرد الله عليهم بقوله ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ وهذا وعد منه عز وجل وقد تحقق وعده فحصلوا على الجزية من أهل الكتاب كما سيأتي في الآية التالية ونزل عليهم المطر وكثرت الخيرات. ﴿إِن شَاءَ﴾ أي: أنه لا غنى إلا بمشيئته. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ أي: بأحوال عباده وما ينفعهم وما يضرهم ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما يفعل.

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٢٥٣-٢٥٧، وأخرجه أحمد في المسند ج١ ص٣، والهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج٣ ص٢٣٨، وذكره الطبري في جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٦ ص٦١ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب سورة الروم، برقم (٤٧٧٥)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص٣٧٢ .

﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ لما انتهت مشكلة المشركين ودخل الناس في دين الله أفواجاً واستقر الأمر في مكة والمدينة ورسخت دعائم الإسلام أمر الله نبيه أن يقاتل أهل الكتاب حتى يدخلوا في دين الله خاصة وهم يعرفون من كتبهم صفة رسول الله ونبوته، وأنه خاتم الأنبياء، ودينه خاتم الأديان. فلما دعاهم الله في كتبهم للإيمان بهذا الدين ولم يؤمنوا أمر الله رسوله بقتالهم فوصفهم بأنهم ﴿لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ لأن اليهود يؤلهون عزيراً، والنصارى يؤلهون عيسى. ﴿وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾ أي: منحرفون في اعتقادهم فيه فيقولون إن نعيم الجنة يشبه السرور وعذاب النار يشبه الهم وليس النعيم والعذاب صوراً.

﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾ أي: أنهم منحرفون في تحليلهم وتحريمهم فيحلون ما حرم الله ويحرمون ما أحله سواء ما جاء في كتبهم، أو على لسان أنبيائهم. ﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ أي: لا يدينون بالدين الحق وهو الإسلام. ﴿حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ ﴾ أي: إن لم يسلموا المراد بهم أهل الكتاب فعليهم الجزية. ﴿عَن يَدٖ ﴾ أي: بعد غلبتهم. ﴿وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴾ أي: مهانون أذلّة.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم في الآية الأولى بنجاسة المشرك، وهذه النجاسة معنوية

وليست حسية وهذا يقتضي ألا يدخل المشركون ومن في حكمهم من الكفار المسجد الحرام، أو المساجد عمومها. ومن قال بجواز ذلك استدل بأن رسول الله ﷺ ربط ثمامة بن أثال في المسجد[١] وهذا ليس بحجة له لأن ثمامة قدم وفي نيته الإسلام وقد علم ذلك رسول الله ﷺ. أما إذا كان دخولهم المساجد لضرورة أو حاجة لابد منها فجائز -كما سبق ذكره-.

ومن الأحكام في الآية الثانية: وجوب مقاتلة من لا يؤمن بالله واليوم الآخر، والمراد بهم أهل الكتاب لانحرافهم في العقيدة فإن لم يسلموا فعليهم الجزية.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٣٠ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٣١ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب دخول المشرك المسجد، برقم (٤٦٩)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص٦٦٧ .

﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ ﴾ القائل بعض اليهود وممن قال بهذا من اليهود في المدينة: سلام بن مشكم ونعمان بن أوفى وغيرهم(١) وقيل: في سبب قولهم إن اليهود لما قتلوا أنبياءهم بعد موسى رفع الله عنهم التوراة ومحاها من قلوبهم فخرج عزير يسيح في الأرض فأتاه جبريل فقال له: إلى أين تذهب ؟ قال أطلب العلم فحفظه التوراة فجعلوا يدرسونها من عنده فقالوا: ما جمع الله التوراة في صدره إلا لأنه ابنه(٢).

وقد تكون هذه الرواية من الإسرائيليات ولكن الذي لا شك فيه أنهم قالوا: إن عزيراً ابن الله كما ورد في الآية. ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِ﴾ أي: كما قال اليهود عن بنوة عزير قالت النصارى أن عيسى ابن الله وقد جعلوه ثالث ثلاثة كما قال الله تعالى ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾(٣).

---

(١) تفسير البغوي ص٥٥٢، وزاد المسير لابن الجوزي ص٥٧٨ .
(٢) الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص١١٧ .
(٣) سورة المائدة من الآية ٧٣ .

﴿ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ﴾ أي: قالوا ذلك على نحو أكيد ﴿يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ﴾ أي: يشابهون بقولهم هذا قول من كفر من الأمم قبلهم. ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ﴾ أي: لعنهم والمراد بهم اليهود والنصارى ﴿أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾ أي حلت عليهم اللعنة بسبب انحرافهم عن الحق والميل إلى الباطل.

﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ المراد أنهم اتبعوهم فيما أحلوه لهم من الحرام، وما حرموه عليهم من الحلال. ﴿وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ﴾ المراد أنهم جعلوه ابناً لله. ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ﴾ المراد أن كتبهم قد بيَّنت لهم أنه ما من إلَه إلا الله. ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ أي: تنزه وتقدس عن الشرك وعن الصاحبة والولد.

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ﴾ لما تكلم عز وجل عن المشركين وأهل الكتاب بيَّن ما في نفوسهم من العداوة للإسلام وأنهم يريدون إطفاء نوره وهم في ذلك مثل من يحاول إطفاء شعاع الشمس في رابعة النهار وهذا من أعظم المستحيلات. ﴿وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾ أي: إن الله لا يمكن أن يطفئ نور الإسلام لأنه النور الذي أنزله إلى الأرض ليهتدي به الخلق من ظلمات الجهل والشرك.

﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ أي: إن الله جاعل نور الإسلام قائماً رغم كره الكافرين وعداوتهم له.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ﴾ المراد محمد ﷺ فقد أرسله الله بالقرآن. ﴿وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ أي: أرسله بالحق ظاهراً على سائر الأديان ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ أي: سيظهر الله هذا الدين رغم كره المشركين لظهوره. وفي هذا روى تميم الداري أن رسول الله ﷺ قال: (**ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر الا أدخله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل عزا يعز الله به الإسلام وذلاً يذل الله به الكفر**)(١).

قلت: وصدق رسول الله ﷺ فما من مكان في العالم إلا وقد دخله الإسلام كما هو الحال في مكان القطبين وفي مجاهل أفريقيا وآسيا ومجاهل أمريكا اللاتينية؛ وذلك رغم محاولات الأعداء محاربة هذا الدين والعمل على تشويهه والصد عنه بشتى الطرق والأساليب.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير انحراف أسلاف اليهود وكفرهم بجعل نبيهم عزيراً ابناً لله، وجعل النصارى نبيهم عيسى ابناً لله. ومن الأحكام: أن من يتبع غيره في تحليل ما حرم الله يعد كافراً. ومنها: تقرير عداوة أهل

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ج٤ ص١٠٣، والهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج٦ ص١٤، والمتقي الهندي في كنز العمال برقم (١٣٤٥)، ج١ ص٢٦٧ .

الكتاب للإسلام ومحاولتهم إطفاء نوره. ومنها: أن الإسلام لا بد أن يعم الأرض ويسود فيها، وأنه لن يكون هناك دين غيره.

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٤﴾ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

بيان الآيتين:

المراد بالأحبار علماء اليهود والرهبان عباد النصارى ﴿لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ المراد أنهم يأخذون من أتباعهم من الجهلة الضرائب والأموال بحجة نشر الدين، وبناء الكنائس. كما أنهم يرتشون فيما يأخذونه على الأحكام التي يصدرونها لأتباعهم في موافقتهم لأهوائهم فكل هذا من أكل أموال الناس بغير حق.

﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ﴾ أي: بمنع أتباعهم من الدخول في دين الإسلام ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ﴾ وقد اختلف المفسرون في المراد بهذه الآية فقالت طائفة: المراد بهم

أهل الكتاب[١] وقال أبوذر: المراد أهل الكتاب والمسلمون[٢] قال القرطبي: هذا هو الصحيح لأن الله قال ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ وهذا وصف عام ولو أراد أهل الكتاب وحدهم لقال ﴿يَكْنِزُونَ﴾[٣]. وفي البخاري عن زيد بن وهب قال: مررت بالربذة فإذا أنا بأبي ذر رضي الله عنه فقلت له ما أنزلك منزلك هذا ؟ قال: كنت بالشام فاختلفت أنا ومعاوية في ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ قال معاوية: نزلت في أهل الكتاب فقلت: نزلت فينا وفيهم فكان بيني وبينه في ذاك وكتب إلى عثمان رضي الله عنه يشكوني، فكتب إلي عثمان أن اقدم المدينة فقدمتها فكثر علي الناس حتى كأنهم لم يروني قبل ذلك فذكرت ذلك لعثمان فقال لي: إن شئت تنحيت فكنت قريباً فذاك الذي أنزلني هذا المنزل ولو أمروا علي حبشياً لسمعت وأطعت[٤].

﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ المراد الذهب والفضة فكما أن الفضة تؤنث فالذهب يؤنث كذلك ويذكَّر . والمراد أنهم يكنزون هذين النقدين ولا يؤدون زكاتهما. ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ وفي

---

(١) زاد المسير لابن الجوزي ص٥٨٠، والجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٢٣ .

(٢) زاد المسير ص٥٨٠ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص١٢٣ .

(٤) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٤١١، والحديث أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب ما أدى زكاته فليس بكنز، برقم (١٤٠٦)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٣ ص٣١٩.

هذا قال رسول الله ﷺ: (**بشر الكانزين بِكَيٍّ في ظهورهم يخرج من جنوبهم وبِكَيٍّ من قبل أقفائهم يخرج من جباههم**)(١).

﴿يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا﴾ أي: تتحول الكنوز إلى صفائح ويحمى عليها وتكوى بها جباههم وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار**)(٢).

﴿هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ﴾ أي: يقال لهم هذا ما كنزتم ولم تنفقوا منه في سبيل الله ﴿فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ﴾ أي: ذوقوا العذاب جزاء ما كنزتم.

أحكام ومسائل الآيتين:

تحريم أكل أموال الناس بالباطل سواء عن طريق الرشا، أو الربا، أو الاستغلال، أو الكذب، أو أي وسيلة أخرى تؤدي إلى ذلك. ومن أشد الإثم أخذ أموال الناس بعد إيهامهم بأن هذا المال يصرف في سبيل الله

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب في الكنازين للأموال والتغليظ عليهم، برقم (٩٩٢)، صحيح مسلم بشرح النووي ج٤ ص٢٧٥٩ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة، برقم (٩٨٧)، صحيح مسلم بشرح النووي ج٤ ص٢٧٣٦ .

كما يفعل الأحبار والرهبان بينما يصرف هذا المال في الصد عن سبيل الله. ومن الأحكام: تحريم جمع المال لمجرد الكنز وعدم الإنفاق منه حسب ما فرضه الله فيه من الزكاة، وما حث عليه من الصدقة منه وبيان ما سوف يتعرض له الكانزون لأموالهم من العذاب الشديد.

﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ (٣٦) إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ (٣٧) ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ أي: عددها. ﴿ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ أي: في اللوح المحفوظ. ﴿ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ أي: أنه جل وعلا قدَّر عدد هذه الشهور في الوقت الذي خلق فيه السموات والأرض، وهذا الحكم في عددها وترتيبها حكم دائم لا يتغير ولا يتبدل بسبب تغيير أو تبديل المشركين لها تقديماً

أو تأخيراً. وفي هذا روى أبو بكر أن رسول الله ﷺ خطب في حجة الوداع فقال: **(الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان. قال: أي شهر هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه يسميه بغير اسمه. قال: أليس ذا الحجة؟ قلنا: بلى. قال: أي بلد هذا ؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه تغير اسمه قال: أليس البلدة؟ قلنا: بلى. وقال: أي يوم هذا؟ قلنا الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه. قال: أليس يوم النحر؟ قلنا بلى)** الحديث[1].

﴿مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ هي: ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب. ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ أي: هذا هو الحساب والعدد الصحيح ﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ أي: لا تعصوا الله في هذه الأشهر لحرمتها ومع أن المعصية محرمة في كل وقت إلا أنها آكد في هذه الأشهر ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾ أي: قاتلوهم كلهم. ﴿كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾ المراد الحث والتحريض على قتال المسلمين للمشركين، وليس المراد كلهم بل يكون قتالهم حسب قتالهم

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ، إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، برقم (٧٤٤٧)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١٣ ص٤٣٣ .

واجتماعهم. ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ أي: اعرفوا وتيقنوا أن الله ينصر المؤمنين ويذل المشركين وأعوانهم.

﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ﴾ النسيء الزيادة والمراد أن أهل الجاهلية كانوا يؤخرون حرمة شهر محرم إلى صفر لكي يستبيحوا القتال في الشهر الحرام. وقد ذكر ابن إسحاق أن أول من نسأ الشهور على العرب فأحل منها ماحرم الله وحرم منها ما أحل الله عز وجل القلمس وهو حذيفة بن عبد فقيم بن عدي بن عامر بن ثعلبة، ثم قام بعده على ذلك ابنه عباد ثم من بعده ابنه قلع ثم ابنه أمية بن قلع ثم ابنه عوف بن أمية ثم ابنه أبوثمامة جنادة بن عوف وكان آخرهم وعليه قام الإسلام فكانت العرب إذا فرغت من حجها اجتمعت إليه فقام فيهم خطيباً فحرم رجباً وذا القعدة وذا الحجة ويحل المحرم عاماً ويجعل مكانه صفر ويحرمه عاماً ليواطئ عدة ماحرم الله فيحل ما حرم الله ويحرم ما أحل الله[١].

﴿يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي: يضل ويزيغ بسبب هذا أولئك الذين يحسب لهم هذا الحساب ﴿يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا﴾ أي: بسبب هذا الحساب يحلون ما حرم الله في عام ويحرمون ما أحله عاما آخر ﴿لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ﴾ أي: ليوافقوا هذا التحليل وهذا التحريم ﴿زُيِّنَ لَهُمۡ سُوٓءُ

(١) سيرة بن اسحاق ج٢ ص٢٩٩ مختصراً، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٢ ص٣٤٢.

أَعْمَـٰلِهِمْ﴾ أي: زين لهم الشيطان سوء صنعيهم هذا. ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ المراد بهم الذين يحلون ما حرم الله ويحرمون ما أحله.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً مرتَّبة ومبيَّنة في اللوح المحفوظ، وأن منها أربعة حرماً هي ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب. وقد بيَّن الله للمسلمين هذه الشهور حكماً لازماً خلافاً للأمم السابقة من الفرس والقبط والروم الذين تخبطوا في حسابهم للشهور. الحكم بأن الله عظَّم الخطايا في الأشهر الحرم وضاعف فيها العقوبة لأنه إذا عظَّم شيئاً وحرَّمه من جهة واحدة صارت له حرمة واحدة وإذا عظَّمه من جهتين أو أكثر صارت حرمته متعددة بعدد جهات التحريم.

ومن أحكام الآيتين: أن الله لما حرم ما كان يفعله أهل الجاهلية من التأخير أو الزيادة بالتعديل في أسماء الشهور لغرض تحليل ماحرم الله وتحريم ما أحله، اقتضى هذا تحريم الاحتيال وتزيين الباطل في نفوس الناس.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ

ٱلْـَٔاخِـرَةِۚ فَـمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَـا فِى ٱلْـَٔاخِـرَةِ إِلَّا قَلِيـلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِـرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَـذَابًا أَلِيـمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُـرُّوهُ شَيْـًٔاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيـرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَـا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ ﴾ الخطاب للمؤمنين وفيه توبيخ لهم بقوله ﴿إِذَا قِيـلَ لَكُمُ ٱنفِـرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ والمخاطب هنا من تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك التي صادفت شدة الحر ﴿ٱثَّـاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِۚ ﴾ أي: تهاونتم وتكاسلتم وآثرتم المقام عند أولادكم وأزواجكم. ﴿أَرَضِـيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَـا مِنَ ٱلْـَٔاخِـرَةِۚ ﴾ استفهام إنكار أي: هل رغبتم عن نعيم الآخرة وفضلتم عليه متاع الحياة الدنيا. ﴿فَـمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَـا فِى ٱلْـَٔاخِـرَةِ إِلَّا قَلِيـلٌ﴾ أي: لا قيمة لمتاع الدنيا مقارنة مع متاع الآخرة وفي هذا قال رسول الله ﷺ: (**والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه هذه -وأشار يحيى بالسبابة- في اليم فلينظر بم ترجع**)[١].

﴿إِلَّا تَنفِـرُوا۟ ﴾ لما قال الله عز ذكره ﴿أَرَضِـيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَـا مِنَ ٱلْـَٔاخِـرَةِۚ ﴾ قال ﴿إِلَّا تَنفِـرُوا۟ ﴾ أي: إن تثاقلتم. ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَـذَابًا أَلِيـمًا ﴾ قيل: المراد بالعذاب حبس المطر وقد

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب صفة الجنة، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، برقم (٨٥٨)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١١ ص٧٠٦٨ .

ذكر ابن عباس أن رسول الله ﷺ استنفر حياً من أحياء العرب فتثاقلوا عنه فأمسك الله عنهم المطر[١].

قلت: وحبس المطر من أشد العذاب؛ ذلك أن المطر مصدر الماء وإذا فقد الخلق هذا المصدر هلكوا وشاهده قول الله تعالى ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾[٢]. وقد يكون المراد بالعذاب في الآية تسلط العدو؛ ذلك أن العباد إذا سكنوا للراحة ولم يستعدوا لتربص الأعداء كان حريّاً بهم الاستكانة والذل أمامهم فيكونوا غنيمة لهم وهو ما عناه رسول الله ﷺ بقوله (... **إذا أخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم**)[٣].

﴿وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ فيه وعيد بأن يبدل الله لرسوله قوماً لايتثاقلون إذا دعاهم كما قال تعالى ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾[٤]. ﴿وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا﴾ أي: ولن تضروا الله شيئاً بتثاقلكم وقعودكم عن الجهاد ولكن تضرون أنفسكم بما ينالكم من العذاب ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: قادر على نصر نبيه وهزيمة أعدائه دون حاجة لكم.

---

(١) زاد المسير لابن الجوزي ص٥٨٣ .

(٢) سورة الذاريات الآية ٢٢ .

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الإمارة، باب في النهي عن العينة، برقم (٣٤٦٢)، سنن أبي داود ج٣ ص٢٥٣، وأحمد في مسنده ج٢ ص٨٤ .

(٤) سورة محمد من الآية ٣٨ .

أحكام ومسائل الآيتين:

ذكر الإمام ابن العربي أن في هذه الآية تهديداً ووعيداً مؤكداً بترك النفير للجهاد ومن محققات مسائل الأصول أن الأمر إذا ورد فليس في وروده أكثر من اقتضاء الفعل، فأما العقاب عند الترك فلا يؤخذ من نفس الأمر ولا يقتضيه الاقتضاء وإنما يكون العقاب بالخبر عنه كقوله إن لم تفعل كذا عذبتك بكذا كما ورد في الآية فوجب بمقتضاها النفير للجهاد والخروج إلى الكفار لمقاتلتهم حتى تكون كلمة الله هي العليا[١].

﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾

بيان الآية:

﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ﴾ أي: إلاّ تنصروا محمداً رسول الله بالنفير معه ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ أي: إن تركتم وتخليتم عن نصره فإن الله ناصره ومعينه ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ المراد أن كفار قريش

(١) أحكام القرآن لابن العربي ج٢ ص٩٤٩ .

أخرجوه بحكم تآمرهم عليه وإنما خرج عليه الصلاة والسلام اتقاء مؤامرتهم عليه. ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ﴾ أي: واحداً من اثنين، والثاني أبو بكر. ﴿إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾ المراد به غار ثور في جبل ثور؛ ذلك أن قريشا لما رأت أن المسلمين هاجروا إلى المدينة قالوا: هذا شر لا يطاق فاتفقوا على قتل رسول الله ﷺ فبيتوه ورصدوه على باب منزله طول ليلتهم حتى إذا خرج يقتلونه فأمر عليه الصلاة والسلام علي بن أبي طالب أن ينام على فراشه، ودعا الله أن يعمي عليهم أثره فطمس الله على قلوبهم وأبصارهم فخرج من عندهم وقد غشيهم النوم فوضع على رؤوسهم تراباً وسار. فلما أصبحوا خرج عليهم علي رضي الله عنه وأخبرهم أن ليس في الدار أحد فعلموا أنه عليه الصلاة والسلام قد نجا منهم. وتواعد رسول الله ﷺ مع أبي بكر الصديق للهجرة إلى المدينة فدفعا راحلتيهما إلى عبد الله بن أريقط، وكان مشركاً ولكنهما وثقا به وكان دليلاً بالطرق فاستأجراه ليدلّهما إلى المدينة. وخرج رسول الله ﷺ من خوخة في ظهر دار أبي بكر ونهضا نحو الغار في جبل ثور، وأمر أبو بكر ابنه عبد الله أن يستمع إلى ما يقول الناس، وأمر مولاه عامر بن فهيره أن يرعى غنمه ويريحها عليهما ليلا فيأخذا منها حاجتهما. ثم نهضا فدخلا الغار، وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتيهما بالطعام، ويأتيهما عبد الله بن أبي بكر بالأخبار ثم يتلوهما عامر بن فهيرة بالغنم فيعفي أثرهما. فلما

فقدته قريش جعلت تطلبه بقائف معروف باقتفاء الأثر حتى وقف على الغار فقال: انقطع الأثر هنا فنظروا فإذا بالعنكبوت قد نسج على فم الغار من ساعته. فلما رأوا نسجه أيقنوا ألا أحد فيه فرجعوا وجعلوا في النبي ﷺ مائة ناقة لمن رده عليهم. وقد روي من حديث أبي الدرداء وثوبان رضي الله عنهما أن الله عز وجل أمر حمامة فباضت على نسج العنكبوت وجعلت ترقد على بيضها فلما نظر المشركون إليها ردهم ذلك عن الغار[١].

﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ﴾ أي قال رسول الله ﷺ: لأبي بكر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ أي: سوف ينصرنا ويحفظنا وفي هذا حدث أبو بكر رضي الله عنه قال: قلت لرسول الله ﷺ ونحن في الغار لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا فقال: (**يا أبابكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما**)[٢].

﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ﴾ قيل: المراد به رسول الله ﷺ[٣] وقيل: أبو بكر وهو الأصح لأنه خاف على رسول الله من المشركين الذين خرجوا في طلبه فأنزل الله السكينة عليه[٤]. ﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج٢ ص١٤٠-١٥٧، والجامع لأحكام القرآن ج٨ ص١٤٤-١٤٥، ومجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج٦ ص٥١-٥٩ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ برقم (٤٦٦٣)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص١٧٦.

(٣) تفسير البغوي ص٥٦١ .

(٤) تفسير البغوي ص٥٦١ .

تَرَوْهَا﴾ أي: الملائكة. ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ﴾ المراد بها كلمة الشرك التي لا علوّ لها. ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا﴾ المراد بها الإسلام وعلوه على سائر الأديان. ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ أي: له الغلبة. ﴿حَكِيمٌ﴾ في تدبيره لخلقه.

أحكام ومسائل الآية:

الحكم بوجوب طاعة ولي الأمر إذا دعا الأمة للجهاد. الحكم بوجوب نصرة رسول الله ﷺ في حياته وبعد مماته. أما في حياته فقد انتهت هذه النصرة، وأما بعد وفاته فالعمل بسنته وتحقيق ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه. الحكم بجواز الفرار من العدو إذا لم يكن من وسيلة إلا الفرار مع وجوب الاستعداد للكر عليه. ولا شك أن خوف أبي بكر لم يكن خوفاً على نفسه كما ظن ذلك الجهلة المتحزبون بل كان خوفه على رسول الله ﷺ فهو صاحبه وصديقه وقد آمن بما جاء به.

﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾.

بيان الآية:

﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ المراد أن على المؤمنين أن ينفروا للجهاد سواء كانوا خفافاً أو ثقالاً في حركاتهم. وفي هذا روي أن ابن

أم مكتوم -وهو أعمى- جاء إلى رسول الله ﷺ وسأله أعلي أن أنفر؟ فقال عليه الصلاة والسلام: (نعم)، فأنزل الله تعالى قوله ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ﴾[1]. كما روي أن أبا طلحة لما قرأ سورة براءة وأتى على قوله تعالى ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ قال لبنيه: أرى ربنا استنفرنا شيوخاً وشباناً جهزوني يابني فقال بنوه: يرحمك الله قد غزوت مع رسول الله ﷺ حتى مات ومع أبي بكر حتى مات ومع عمر حتى مات فنحن نغزو عنك فأبى فركب البحر فمات فلم يجدوا له جزيرة يدفنونه فيها إلا بعد سبعة أيام فلم يتغير لونه فدفنوه فيها[2]. رضي الله عنه وأرضاه.

﴿وَجَٰهِدُوا۟﴾ هذا أمر إلزام بالجهاد ﴿بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وهذا وصف لما يجب من تنفيذ الأمر وهو التضحية والفداء بالمال ثم بالنفس. ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: إن في هذا الجهاد الخير في الدنيا والآخرة.

أحكام ومسائل الآية:

الحكم بوجوب النفير للكل إذا تأكد غلبة العدو على ثغر من ثغور الأمة؛ فإن تخلفوا عن ذلك عد هذا عصياناً ولا يستثنى من هذا

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص١٥٠، والآية في سورة الفتح من الآية ١٧ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص١٥٠ .

الوجوب إلا من به علة مانعة كالعجز. وكما يجب الجهاد بالنفس يجب الجهاد بالمال وبكليهما معاً.

وقد ذكر ابن العربي أن بعض الملوك عاهد كفاراً ألا يحبسوا أسيرا فدخل رجل من المسلمين جهة بلادهم فمر على بيت مغلق فنادته امرأة: إني أسيرة فأبلغ صاحبك خبري. فلما اجتمع به واستطعمه عنده وتجاذبا ذيل الحديث انتهى الخبر إلى هذه المعذبة؛ فما أكمل حديثه حتى قام الأمير على قدميه وخرج غازياً من فوره ومشى إلى الثغر حتى أخرج الأسيرة واستولى على الموضع. فكيف بنا وعندنا عهد الله ألا نسلم إخواننا إلى الأعداء وننعم وهم في الشقاء أو نملك الحرية وهم أرقاء! يا لَلّه لهذا الخطب الجسيم نسأل الله التوفيق للجمهور والمنة بصلاح الآمر والمأمور. وقال ابن العربي أيضاً: ولقد نزل بنا العدو قصمه الله سنة سبع وعشرين وخمسمائة فجاس خلال ديارنا وأسر خيرتنا وتوسط بلادنا في عدد هال الناس عدده وكان كثيراً وإن لم يبلغ ما حددوه فقلت للوالي والمولّى عليه: هذا عدو الله قد حصل في الشرك والشبكة فلتكن عندكم بركة ولتظهر منكم إلى نصرة الدين المتعينة عليكم حركة فليخرج إليه جميع الناس حتى لا يبقى منهم أحد في جميع الأقطار فيحاط به فإنه هالك لا محالة إن يسركم الله له. فغلبت الذنوب ورجفت القلوب بالمعاصي وصار كل أحد من الناس ثعلباً يأوي إلى وجاره وإن رأى المكيدة بجاره. فإنا

لله وانا إليه راجعون، وحسبنا الله ونعم الوكيل(١).

قلت: هذا ماقاله إمام فقيه وعالم كبير من أمة المسلمين في زمانه: رأى كيف كان أهل زمانه مثل الثعالب يروغون أمام العدو. وكيف لو رأى أهل زماننا وقد تكالبت عليهم الأعداء يحتلون أرضهم، وينصِّرون شبابهم، ويستولون على خيراتهم، ويطمسون هويتهم، ويحاربون عقيدتهم جهارا، ويعذِّبون ويذلّون أسراهم بأبشع أنواع الإذلال. ويستهزئون بنبيهم وبدينهم، ويسخرون من حضارتهم ولكنها -كما قال الإمام ابن العربي- غلبة الذنوب وارتجاف القلوب بالمعاصي وحسبنا ما قاله العزيز الجبار ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾(٢).

﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَـٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَـٰهِدُوا۟

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي ج٢ ص٩٥٥-٩٥٦، والجامع لأحكام القرآن ج٨ ص١٥٢-١٥٣.

(٢) سورة آل عمران الآية ١٧٣ .

بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

بيان الآيات:

وبَّخ الله الذين تخلفوا عن غزوة تبوك وفنَّد أعذارهم فقال عزّ ذكره ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا﴾ أي: حظاً من حظوظ الدنيا ﴿وَسَفَرًا قَاصِدًا﴾ أي: قريباً. ﴿لَّٱتَّبَعُوكَ﴾ أي: لكانوا معك ﴿وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ﴾ أي: استطالوا المدة في السفر إلى تبوك ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾ أي: لو كان لنا قوة ولم يكن لنا عذر لخرجنا معكم للغزو. ﴿يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ أي: بما قالوه من كذبهم ونفاقهم ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ أي: إنه يعلم عدم وجود عذر لهم وإنّ ما قالوه عن أعذارهم إنما هو كذب.

﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ قيل: في سبب نزول هذه الآية أن قوماً قالوا لبعضهم: استأذنوا رسول الله ﷺ فإن أذن لكم فاقعدوا عن الغزو، وإن لم يأذن لكم فاقعدوا[1] كذلك. فخاطب الله نبيه قائلاً: يرحمك الله لماذا أذنت لهم قبل أن يأتيك فيهم وحي؟ ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ أي: لو أنك لم تأذن لهم

---

(١) تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٣٤٥، والدر المنثور ج٣ ص٤٤١ .

لعرفت من هو الصادق، ومن هو الكاذب منهم. ثم قال عز وجل منكراً عليهم استئذانهم: لايستأذنك في القعود عن الجهاد الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر. ﴿أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ أي: لايستأذنك الذين يبذلون أموالهم وأنفسهم في سبيل الله لأنهم يتقربون إليه بذلك لعلمهم أن الجهاد من أوامر الله لإعلاء كلمته. ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾ أي: هو أعلم بالصادقين والمنافقين.

﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ أي: إن الذين يستأذنونك في القعود عن القتال دون أن يكون لهم عذر مشروع ليسوا بمؤمنين ﴿وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ المراد بهم المنافقون الذين يظهرون تصديقهم لرسول الله، وهم في دواخلهم يشكون فيما يقوله ﴿فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ أي: هم في حيرة وشك من أمرهم كما قال عز وجل ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾(١).

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن سلوك المنافقين يقوم على الكذب والأعذار الباطلة التي يسترون بها نفاقهم، وهو العداء للمؤمنين، والتحالف مع أعدائهم. ومن الأحكام: تقرير أن المؤمنين الصادقين في إيمانهم لا يتخلفون

---

(١) سورة النساء من الآية ١٤٣ .

عن الجهاد في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم؛ لأنهم يعرفون أن الجهاد أحد أسس الإسلام، وهو من أوامر الله. تقرير أن الذين يستأذنون عن الجهاد هم المنافقون الذين ينكرون البعث وقلوبهم في ريب وشك.

﴿ ۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَـٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَـٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّـٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً﴾ أي: إنهم لو أرادوا الخروج للجهاد عن قصد ونية لاستعدوا له لأن من يريد السفر يتأهب له، والمعنى أنهم ما أرادوا السفر أبداً. ﴿وَلَـٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾ أي: خروجهم لعلمه بتبييتهم النية بعدم الخروج. ﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾ لما علم بنيتهم لأنهم قالوا: إذا لم يؤذن لنا فسوف نفسد المؤمنين ونثبطهم. ﴿وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ﴾ أي: قال بعضهم لبعض: أو قال لهم ذلك رسول الله ﷺ غضباً عليهم لما رأى من تثاقلهم وتباطئهم. والمراد بالقاعدين ذوو الأعذار الحقيقية كالمرض ونحوهم.

﴿ لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا ﴾ أي: لو أن هؤلاء المنافقين خرجوا للجهاد مع المؤمنين ما زادوهم إلا فساداً وتثبيطاً وإرجافاً وزرعاً للفتنة. ﴿وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ ﴾ الإيضاع: الإسراع والمراد أنهم لو خرجوا معكم لأسرعوا ببث الفساد بينكم وهذا أسوأ ما يكون حال الجهاد. ﴿يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ ﴾ بيان وتوكيد عن نواياهم الفاسدة. ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ﴾ المراد أن بين المؤمنين الذين خرجوا للجهاد من يسمع كلام هؤلاء لوخرجوا لأنهم لا يعرفون دواخلهم ونواياهم خاصة وهم معروفون بالرئاسة في قومهم كما هو حال عبد الله بن أبي بن سلول. ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الذين فسدت مقاصدهم، وخبثت سرائرهم نحو المؤمنين الذين خرجوا للجهاد ولهذا ثبطهم الله وكفى المؤمنين فسادهم.

أحكام ومسائل الآيتين:

في الآيتين بيان من الله لسلوك المنافقين وتخاذلهم عن الخروج للجهاد. وفيهما: التحذير من شرور المنافقين وخطرهم خاصة أيام الجهاد لأنهم إما أن يفسدوا بين المجاهدين بنشر الخلاف بينهم، أو يكونوا عيوناً للعدو لأن المنافق أشر وأخطر من الكافر؛ فالكافر معروف بكفره أما المنافق فهو يخدع غيره بما يظهره خلاف ما يبطنه فيلتبس أمره. وقد مقت الله خروجهم للجهاد بقوله ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ

ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾. ولعل أخطر ما واجهته الأمة في مراحل تكوينها وجود المنافقين الذين دخلوا الإسلام بقصد إفساده ومنهم عبد الله بن أبي بن سلول وغيره من اليهود.

﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾﴾

بيان الآيات:

﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ﴾ المراد بهم المنافقون والمعنى أنهم ناصبوك العداوة وعملوا كل ما في وسعهم لإفشال دعوتك؛ ذلك أنه منذ أن قدم رسول الله ﷺ المدينة اتفق اليهود والمنافقون من العرب على محاربته والكيد له. وقد وقف اثنا عشر رجلاً منهم على ثنية الوداع ليلة العقبة ليقتلوه وقد قال عبد الله بن أبي بن سلول بعد معركة بدر: هذا أمر قد توجَّه. وما كان دخولهم الإسلام إلا تقية ونفاقاً. ﴿وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ﴾ أي: تبادلوا الرأي وتداولوه للعمل على محاربة ما جئت به إليهم. ﴿حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾

أي: علا دينه. ﴿وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ لهذا العلو.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ﴾ ذكر محمد بن إسحاق أن رسول الله ﷺ بينما كان يتجهز لغزوة تبوك قال للجد بن قيس أخي بني سلمة: (**هل لك ياجد العام في جلاد بني الأصفر؟**) فقال: يا رسول الله أو تأذن لي في القعود عن الجهاد ولا تفتنّي فوالله إن قومي يعرفون ما رجل أشد عجباً بالنساء مني وإني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر ألا أصبر عنهن فأذن له رسول الله ﷺ فنزلت فيه هذه الآية[1] ﴿أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ﴾ أي: كان يخشى الفتنة من نساء بني الأصفر، وهذا لم يكن صحيحاً منه بل كان منافقاً فإن سقوطه في الفتنة بتخلفه عن رسول الله ﷺ أعظم فتنة. ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: أن مآل الكافرين والمنافقين النار.

﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾ أي: إن كان لك نصر على الأعداء يسؤهم ذلك. ﴿وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ﴾ أي: هزيمة أو نحوها. ﴿يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ﴾ أي يقولوا: قد حذرنا واحتطنا من عدم الخروج معه. ﴿وَيَتَوَلَّواْ﴾ عن الإيمان ﴿وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾ أي: مسرورون.

---

(١) السيرة النبوية لابن إسحاق ج٢ ص٢٧١، والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٢١٦-٢١٧، وأسباب نزول القرآن للواحدي ص٤١٥ .

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير مؤامرة اليهود والمنافقين من العرب على رسول الله ﷺ؛ ذلك أن اليهود لما عرفوا أن الحق سوف يسود في المدينة وما حولها ثم يسود العالم بدؤوا يكيدون المكايد لرسول الله ﷺ، وفي مقدمة ذلك التآمر مع المنافقين على قتله فكشفهم الله لرسوله.

ومن الأحكام: تقرير كذب المنافقين كما فعل الجد بن قيس حين ادعى خوفه أن يقع في بنات الروم مع أنه لم يكن صادقاً في قوله.

ومنها: أن المنافقين يستاؤون عندما ينال المسلمون خيراً مثل نصرهم على أعدائهم ولكنهم يفرحون عندما يصيب المسلمين نازلة أو مصيبة.

﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلۡ هَلۡ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحۡدَى ٱلۡحُسۡنَيَيۡنِۖ وَنَحۡنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمۡ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٖ مِّنۡ عِندِهِۦٓ أَوۡ بِأَيۡدِينَاۖ فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ هذا أمر من الله لنبيه أن يقول لهؤلاء المنافقين: ليس لنا إلا ما قدَّره الله لنا فنحن تحت تصرفه ورحمته ومشيئته. ﴿هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ﴾ أي: ناصرنا ومعيننا.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ ونحن متوكلون عليه في كل أمورنا.

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾ المراد هل تنتظرون منا إلا إحدى الحسنيين، وهي إما الشهادة في سبيل الله أو الظفر بالمشركين والمنافقين. ﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ﴾ أي: ننتظر بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده جزاء نفاقكم وكفركم أو بأيدينا بما يحققه الله من النصر على أعدائه من المشركين والمنافقين منكم. ﴿فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ المراد انتظروا ونحن ننتظر وسوف نرى مايسرنا وترون مايسوءكم.

أحكام ومسائل الآيتين:

وجوب التوكل على الله والتطلع إلى نصره كما قال عز وجل ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[1]. ولكن التوكل يقتضي أخذ الحيطة والحذر من العدو والاستعداد له بالقوة. ومن مسائل الآيتين: تقرير أن سلوك المؤمنين إما النصر على عدوهم أو الشهادة في سبيل الله. ومنها: مخاطبة العدو بغليظ القول وتهديده وتوعده وإخافته مع الاستعداد له بالقوة المادية.

﴿قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ

(١) سورة الطلاق من الآية ٣ .

قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ﴾ هذه الآية نزلت -كما ذكر- في الجد بن قيس فلما قال لرسول الله ﷺ: ائذن لي في القعود قال: سوف أعينك بمالي[1] وفي الآية ردّ عليه والمراد أنه مهما أنفقت طائعاً أو مكرهاً فلن يقبل منك لأنك منافق ولايثاب المنافق والكافر على مايعمله حتى يتوب. ﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾ أي: كافرين.

﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ ﴾ المراد أن المانع لقبول نفقاتهم هو كفرهم ونفاقهم. ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ ﴾ أي: لا يصلون إلا رياء فإن رأوا الناس اجتهدوا في الصلاة وإن كانوا لوحدهم لم يصلوا كما قال تعالى ﴿ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[2]. ﴿وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴾ أي: أنهم لا ينفقون اعتقاداً في الثواب بل رياء أو اضطراراً فلهذا لا تقبل منهم نفقاتهم.

---

(١) زاد المسير لابن الجوزي ص٥٨٨، وتفسير البغوي ص٥٦٣ .

(٢) سورة النساء من الآية ١٤٢ .

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن الكافر لاينتفع في الآخرة بما عمله من عمل حسن في الدنيا كالبر. والأصل فيه قول الله تعالى ﴿لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ﴾ والأصل فيه أيضاً قول رسول الله ﷺ في حديث (**إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم يكن له حسنة يجزى بها**)[1]. وفي حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذلك نافعه ؟ قال: (**لا ينفعه إنه لم يقل يوماً رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين**)[2]. وظاهر الأمر أن الكافر لا تقبل منه صدقة ولابر ولا ما يعمله من عمل في الدنيا لأن من شروط المتقرب إلى الله أن يؤمن إيماناً صادقاً بالمتقرب إليه كما قال تعالى ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ﴾ بل كأنهم لم يعملوا شيئاً، وشاهده قوله تعالى ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾[3]. ومع ذلك فلا يتعالى أحد على الله ألا يقبل من فلان عملاً فإن لله مشيئته وحكمته وتصرفه في

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب صفة القيامة، باب جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة وتعجيل حسنات الكافر في الدنيا، برقم (٨٠٨)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١١ ص٦٩٩٤ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على الكفر لا ينفعه عمل، برقم (٢١٤)، صحيح مسلم بشرح النووي ج٢ ص١٠٩١ .

(٣) سورة الفرقان الآية ٢٣ .

خلقه فهو بهم أعلم وهو بهم أرحم، ونحن إنما نقول بما يظهر لنا من الأدلة. أما الأمر في أوله وآخره فمرجعه إلى الله رب العالمين.

﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ ۚ﴾ أي: لا تستحسن أو تعجب بما أوتي المنافقون من متع الحياة الدنيا ككثرة أموالهم وأولادهم كما قال تعالى ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾(١). قوله ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ المراد أن الله سوف يعذبهم بها في الآخرة لأنهم لاينفقونها في سبيل الله. ﴿وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ أي: يأتيهم فزع الموت، وهم كافرون وهذا من سوء عاقبتهم وخواتم حياتهم.

﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ﴾ أي: يقسمون أيمانا أنهم مؤمنون وهم كاذبون كما قال تعالى ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ

(١) سورة طه الآية ١٣١.

إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾[1]. ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً ﴾[2]. قوله ﴿ وَمَا هُم مِّنكُمْ ﴾ أي: ليسوا بمؤمنين. ﴿ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴾ أي: يخافون فيظهرون الإيمان كذباً خشية أن تقاتلوهم ولا تؤمنوا لهم أموالهم. ﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا ﴾ أي: حصناً وملاذاً. ﴿ أَوْ مَغَٰرَٰتٍ ﴾ أي: الكهوف في الجبال. ﴿ أَوْ مُدَّخَلًا ﴾ أي: نفقاً في الأرض. ﴿ لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ ﴾ أي: لذهبوا إليه. ﴿ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴾ أي: مسرعون.

أحكام ومسائل الآيات:

لا يجوز الإعجاب بما أوتي المنافقون من متاع الحياة الدنيا كالمال والجاه والولد والسلطان. ومن الأحكام: تقرير كذب المنافقين فهم يحلفون على الكذب ولا يتورعون منه؛ فالكذب من سماتهم وصفاتهم لقول رسول الله ﷺ: (**آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب..**)[3]. ومن صفاتهم أيضاً الجبن والانهزام بسبب فراغ قلوبهم من الإيمان.

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ۝٥٨ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ

---

(١) سورة المنافقون الآية ١ .

(٢) سورة المنافقون من الآية ٢ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، برقم (٣٣)، صحيح البخاري ج١ ص١١١ .

ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤۡتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ يعني يعيب ويطعن في قسمتك لها. وفي هذا روى أبو سعيد الخدري أنه بينما رسول الله ﷺ يقسم مالاً إذ جاءه حرقوص بن زهير رأس الخوارج ويقال له ذو الخويصرة فقال: اعدل يا رسول الله ؟ فقال عليه الصلاة والسلام: (**ويلك من يعدل إذا لم أكن أعدل لقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل**) فقال عمر: دعني يا رسول الله فأقتل هذا المنافق فقال: (**معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي إن هذا وأصحابه يقرؤون القرآن لايجاوز حناجرهم يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية**)[1]. ﴿فَإِنۡ أُعۡطُواْ مِنۡهَا رَضُواْ﴾ أي: إن يَنَلْهم منها رضوا. ﴿وَإِن لَّمۡ يُعۡطَوۡاْ مِنۡهَآ إِذَا هُمۡ يَسۡخَطُونَ﴾ أي: إن غايتهم منافعهم لأنفسهم.

وقد يكون القائل: رجلاً من الأعراب أما ما قاله ذو الخويصرة فكان في غزوة حنين والمعنيان متشابهان.

﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ أي: ما أعطاهم

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، برقم (١٠٦٣)، صحيح مسلم بشرح النووي ج٥ ص٢٨٩٠، والبخاري في كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب من ترك قتال الخوارج للتألف ولئلا ينفر الناس عنه، برقم (٦٩٣٣)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١٢ ص٣٠٣ .

من الصدقات حين توزيعها. ﴿وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾ أي: كافينا. ﴿سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ أي: من نعمه الكثيرة. ﴿وَرَسُولُهُۥٓ﴾ أي: نقبل ما وزعه علينا. ﴿إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾ أي: متطلعون إلى خيره ونعمه في الدنيا وفي الآخرة لو قالوا ذلك لكان أزكى لهم عند الله.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بالنفاق على كل من يعيب أمراً أمر به رسول الله ﷺ أو فعلاً فعله؛ وسواء كان هذا التعييب بالهمز أو اللمز المباشر أو غير المباشر، أو كان على سبيل الجد أو اللعب. ومن الأحكام: أن من الخير للعبد أن يقنع بما قسمه الله وأن يسأل الله أن ينعم عليه من فضله.

﴿۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾.

بيان الآية:

لما ذم الله الذين لمزوا رسول الله ﷺ في قسمة الصدقات بيَّنَ عزوجل أنه هو الذي قسمها بنفسه وبيَّنها بيانا لا لبس فيه فقال ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ﴾ والفقير هو الذي له بعض ما يكفيه ويتعفف، ولا يسأل الناس شيئاً كما قال عز وجل ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ

فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾[١]. ﴿وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ المسكين هو الذي لا شيء له. واختلف العلماء في التفريق بينهما، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**ليس المسكين الذي يطوف على الناس ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن به فيتصدق عليه ولا يقوم يسأل الناس**)[٢]. وفي هذا ما يرجح أن المسكين هو الذي عنده شيء ولكن لا يغنيه.

﴿وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا﴾ المراد بهم جباة الزكاة وهذا في الحالات التي لا يكون لهم أجر آخر عليها؛ فإن كان لهم أجر كما لو كانوا موظفين أو يرزقون من بيت المال فلا يحل لهم أخذ شيء منها؛ إنما ذكر الله حقهم مقابل جهدهم وسعيهم عليها فإن كان لهم أجر من غيرها حرمت عليهم. ﴿وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ وهم نوعان: نوع يعطى منها رغبة في إسلامه كما لو كان ذا قوة أو سيداً في قومه، وقد فعل ذلك رسول الله ﷺ مع صفوان بن أمية حين أعطاه من غنائم حنين وقال: أعطاني رسول الله ﷺ يوم حنين وإنه لأبغض

---

(١) سورة البقرة من الآية ٢٧٣ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب قوله تعالى ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾، برقم (١٤٧٩)، صحيح البخاري ج٣ ص٣٩٩ .

الناس إلي فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إلي[(١)]. ونوع يعطى من الصدقة رغبة في حسن إسلامه، وقد فعل ذلك رسول الله ﷺ فاعطى عيينة بن بدر[(٢)] وعلقمة بن علاثة[(٣)] والأقرع بن حابس[(٤)]

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال لا وكثرة عطائه، برقم (٢٣١٣)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١٠ ص٦١٣٠ .

(٢) وهو عُيينة بن حِصن بن حذيفة بن بدر يكنى أبا مالك أسلم بعد الفتح وقيل أسلم قبل الفتح وشهد الفتح مسلماً وشهد حنيناً أو الطائف أيضاً وكان من المؤلفة قلوبهم ومن الأعراب الجفاة قيل إنه دخل على النبي ﷺ من غير إذن فقال له: (أين الإذن ؟) فقال ما استأذنت على أحد من مضر وكان ممن ارتد وتبع طليحة الأسدي وقاتل معه فأخذ أسيراً وحمل إلى أبي بكر رضي الله عنه فكان صبيان المدينة يقولون: يا عدو الله أكفرت بعد إيمانك؟ فيقول: ما آمنت بالله طرفة عين فأسلم فأطلقه أبو بكر وكان عيينة في الجاهلية من الجرارين يقود عشرة آلاف.،. أسد الغابة في معرفة الصحابة ج٣ ص٤٤٠-٤٤١ .

(٣) هو علقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب بن ربيعة العامري الكلابي، كان من أشراف بني ربيعة بن عامر وكان من المؤلفة قلوبهم وكان سيداً في قومه حليماً عاقلاً ولم يكن فيه ذاك الكرم. هو الذي نافر عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب وكلاهما كلابي وفاخره ولما عاد النبي ﷺ من الطائف ارتد علقمة ولحق بالشام فلما توفي النبي ﷺ أقبل مسرعاً حتى عسكر في بني كلاب فأرسل إليه أبو بكر رضي الله عنه سرية فانهزم منهم وغنم المسلمون أهله وحملوهم إلى أبي بكر رضي الله عنه فجحدوا أن يكونوا على حال علقمة ولم يبلغ أبا بكر عنهم ما يكره فأطلقهم ثم أسلم علقمة فقبل ذلك منه وحسن إسلامه واستعمله عمر رضي الله عنه على حوران فمات بها.،. أسد الغابة في معرفة الصحابة ج٣ ص٢٧٩ .

(٤) هو الأقرع بن حابس بن عقال بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم قدم على النبي ﷺ مع عطارد بن حاجب بن زرارة والزبرقان بن بدر وقيس بن عاصم وغيرهم من أشراف تميم بعد فتح مكة وقد كان الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري شهدا مع رسول الله ﷺ فتح مكة وحنيناً وحضرا الطائف. فلما قدم وفد تميم كان معهم فلما قدموا المدينة قال الأقرع بن حابس حين نادى: يا محمد إن حمدي زين وإن ذمي شين فقال رسول الله ﷺ: (ذلكم الله سبحانه)، وفي وفد بني تميم نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾، سورة الحجرات الآية ٤، شهد الأقرع مع خالد بن الوليد حرب أهل العراق وشهد معه فتح الأنبار وهو كان على مقدمة خالد بن الوليد وكان شريفاً في الجاهلية والإسلام واستعمله عبد الله بن عامر على جيش سيّره إلى خراسان فأصيب بالجوزجان هو والجيش. أسد الغابة ج١ ص١٢٦-١٢٩ .

وقال: **(إني لأعطي الرجل وغيره أحب إلي منه خشية أن يكبه الله في نار جهنم)**[١].

قلت: ويجوز أن يعطى منها من يكون في تأليف قلبه نصر للمسلمين أو كف الأذى عنهم كحال أصحاب الرأي وأهل التأثير في الإعلام والسياسة.

﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾ المراد بهم المكاتبون لكي تساعدهم في فك رقهم. ﴿وَٱلْغَـٰرِمِينَ﴾ وهم من تحمل حمالة أو أصابته جائحة والأصل فيه حديث قبيصة بن مخارق الهلالي قال: تحملت حمالة فأتيت رسول الله ﷺ أسأله فيها فقال: **(أقم حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها)**، قال: ثم قال: **(يا قبيصة إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قواماً من عيشٍ، ورجل أصابته فاقة حتى يقول ثلاثة من ذوي الحجا من قومه لقد أصابت فلاناً فاقة فحلت له المسألة حتى يصيب قواماً من عيشٍ - أو قال سداد من عيشٍ - فما سواهن من المسألة يا قبيصة سحت يأكلها صاحبها سحتاً)**[٢]. ﴿وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ والمراد بهم الغزاة.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة وكان على الاستسلام أو الخوف من القتل، برقم (٢٧)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١ ص٩٩ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب من تحل له المسألة، برقم (١٠٤٤)، صحيح مسلم بشرح النووي ج٤ ص٢٨٥٦ .

قلت: ﴿وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ حكم واسع فكلما كان في هذا السبيل فهو محل للصدقة، ومن ذلك بناء المساجد والمستشفيات والملاجئ للمعوزين، والمدارس لتعليم القرآن، وسائر العلوم المشروعة ومن ذلك النفقة على ذوي المجاهدين ورعاية أسرهم ورعاية الأيتام، والنفقة على العلماء والدعاة الذين يتعرضون للتضييق عليهم في أرزاقهم.

﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ هو المسافر المار في بلد ليس معه شيء يساعده على سفره فيعطى من الصدقات ما يعينه للوصول إلى بلده وإن كان له مال في بلده. ﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: إن هذا التقسيم حكم قدره الله وقضى به. ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ أي: عليم بما يفعله عباده حكيم في تدبيره لهم وتصرفه فيهم.

أحكام ومسائل الآية:

الحكم بأن الزكاة من فرائض الله على عباده متى تحققت فيهم أسبابها وشروطها. وقد بيَّن الله في هذه الآية أصحابها، ومصارفها. وهذا البيان حكم لازم فرضه الله وهو أعلم وأحكم بما ينفع عباده.

﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟

مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾﴾.

بيان الآيات:

مازال السياق في المنافقين وبيان سوء سلوكهم فقال عزوجل ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ﴾ أي: بسلاطة ألسنتهم ووقاحة أقوالهم. ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ أي: يسمع كل شيء يقال له وهم بهذا يطعنون فيه وقد كذبهم الله. ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ أي: إنه أذن خير ورحمة لكم وليس أذن شر لكم. ﴿يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: يصدق المؤمنين الذين يصدقون في أقوالهم ولا يصدق المنافقين مثلكم. ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ﴾ أي: إنه رأفة ورحمة بمن كان منكم مؤمناً. ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: من آذاه بأي نوع من أنواع الأذى سيجزى بالعذاب الشديد.

﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ﴾ كعادة المنافقين في إبداء ظاهرهم وإخفاء بواطنهم وكعادتهم في الكذب كانوا يطعنون في رسول الله ﷺ وفي المؤمنين، ويكذّبون بالدين فإذا بلغ خبرهم رسول الله ﷺ أتوه فحلفوا أنهم ماقالوا كذا وكذا وهذا ما حدث من الجلاس بن سويد ووديعة بن ثابت فقد قالا: إن كان ما يقول محمد حقاً فنحن أشر من الحمير فلما غضب لذلك غلام من الأنصار وأخبر رسول الله ﷺ بما قالوا

حلفوا أنهم ما قالوا ذلك فنزل قول الله تعالى ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ﴾[1] وقد وبخهم الله بقوله ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ أي: بدل أن يحلفوا هذه الإيمان كان عليهم أن يرضوا الله باتباع ما أمر به والانتهاء عما نهى عنه، وأن يرضوا رسوله بتصديقه والإيمان برسالته. ﴿إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ أي: إن كانوا يزعمون أنهم مؤمنون حقاً.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟﴾ المراد بهم المنافقون ﴿أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ﴾ أي: يشاقه ويعانده ﴿فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ أي: ستكون النار مآله ومصيره ﴿خَٰلِدًا فِيهَا﴾ أي: مقيماً إقامة أبدية. ﴿ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ﴾ أي: هذا هو الخزي الذي ليس بعده خزي.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أذى المنافقين لرسول الله ﷺ وهذا الأذى في حياته وبعد موته؛ فكل من طعن في سنته، أو لمزه، أو تعرض له بما يعيبه فهو منافق كافر. ومن الأحكام: أن رسول الله ﷺ خير للبشرية. ومنها: تقرير أن المنافقين يخادعون الله والذين آمنوا وذلك بإخفاء حقيقتهم حين يلجؤون إلى الأيمان الكاذبة اعتقاداً منهم بأن ذلك يرضي المؤمنين مع أنهم لو كانوا مؤمنين حقاً لأرضوا الله بطاعته

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٤١٩ .

وطاعة رسوله. وقد توعدهم الله بالعذاب والمهانة يوم القيامة.

قلت: وهذا سلوك المنافقين في كل زمان؛ فالمتتبع لهذا السلوك يجد أنهم يلبسون دائماً نفاقهم لباس الشفقة على الدين وهم يتآمرون عليه مع الأعداء.

﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ ﴾ لما كان المنافقون يتحدثون بينهم في أذية رسول الله ﷺ والمؤمنين كانوا يخشون أن تنزل فيهم على رسول الله ﷺ سورة. ﴿سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ﴾ أي: تخبر بما يسرونه في أنفسهم من العداوة لرسول الله ﷺ والمؤمنين ولهذا سميت سورة التوبة بالفاضحة. ﴿قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ ﴾ هذا تهديد ووعيد لهم على نفاقهم. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ ﴾ أي: كاشف. ﴿مَّا تَحْذَرُونَ ﴾ كشفه عنكم.

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ مازال السياق في سلوك المنافقين وقد ذكر ابن إسحاق أن جماعة منهم وديعة بن ثابت أخو بني عمرو بن عوف ومنهم رجل من أشجع حليف لبني سلمة يقال له مُخَشّن بن حُمَيِّر يشيرون إلى رسول الله ﷺ وهو منطلق إلى تبوك فقال بعضهم لبعض: أتحسبون جلاد بني الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضاً ؟ والله لكأنا بكم غداً مقرنين في الحبال إرجافاً وترهيباً للمؤمنين فقال مخشن بن حمير: والله لوددت أن أقاضي على أن يضرب كل رجل منا مائة جلدة وإنا ننفلت أن ينزل فينا قرآن لمقالتكم هذه وقال رسول الله ﷺ لعمار بن ياسر: (**أدرك القوم فإنهم قد احترقوا فسلهم عما قالوا فإن أنكروا فقل: بلى قلتم كذا وكذا**) فانطلق إليهم عمار فقال ذلك لهم فأتوا رسول الله ﷺ يعتذرون إليه فقال وديعة بن ثابت ورسول الله ﷺ واقف على راحلته فجعل يقول وهو آخذ بحَقَبها: يارسول الله: إنما كنا نخوض ونلعب فأنزل الله عز وجل ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ فقال مخشن بن حمير: يا رسول الله قعد بي اسمي واسم أبي وكأن الذي عفى عنه في هذه الآية مخشن بن حمير فتسمى عبد الرحمن، وسأل الله أن يقتله شهيداً لا يعلم مكانه فقتل يوم اليمامة ولم يوجد له أثر(١).

(١) السيرة النبوية لابن إسحاق ج٢ ص٢٧٧-٢٧٨ .

﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ أي: قل لهم يا محمد نعم: كنتم تستهزؤن بالله ورسوله ولا عذر لكم. ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ المراد أن عذركم غير مقبول بعد ما قلتم من الاستهزاء بالله ورسوله. ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً﴾ قيل: إنهم كانوا ثلاثة هزئ اثنان وضحك الثالث فعفي عن الذي ضحك ولم يتكلم وهو مخشن بن حمير[1].

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن المنافقين يخشون دائماً من انكشاف سلوكهم لأن من حقائق الأشياء أن المذنب يخاف دائماً من ذنبه، ولا يزال في خوف ورعب إلى أن يتوب أو يموت بنفاقه أو يفتضح سره. ومن الأحكام: أن من هزل أو استهزأ بالله، أو آياته، أو رسوله فقد كفر لا فرق بين هزله وجده. ويلزم الهزل في الطلاق والنكاح والعتاق لقول رسول الله ﷺ: **(ثلاث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والرجعة)**[2].

﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟

---

(١) تفسير البغوي ص٥٦٩-٥٧٠ .

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الطلاق، باب في الطلاق على الهزل برقم (٢١٩٤)، سنن أبي داود ج٢ ص٢٣٢، والترمذي في كتاب الطلاق، باب ما جاء في الجد والهزل في الطلاق، برقم (١١٨٤)، سنن الترمذي ج٣ ص٤٩٠، وابن ماجة في كتاب الطلاق، باب من طلق أو نكح أو راجع لاعباً، برقم (٢٠٣٩)، سنن ابن ماجة ج١ ص٦٥٨ .

ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۚ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِىَ حَسْبُهُمْۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ﴾أي: هم متماسكون في كفرهم. ﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾ أي: يأمرون بالفسق والمعاصي، وينهون عن الإيمان. ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ﴾ أي: يبخلون ولا ينفقون في سبيل الله. ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۚ﴾ أي: نسوا الإيمان بالله فنسيهم من رحمته. ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ أي: العصاة الضالون. ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾المراد أن الله وعد هؤلاء بالخلود في نار جهنم جزاء نفاقهم وكفرهم. ﴿هِىَ حَسْبُهُمْۚ﴾ أي: جزاء صنيعهم. ﴿وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ﴾ أي: طردهم من رحمته ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ أي: عذاب دائم.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن من صفات المنافقين الإعراض عن كل ما فيه خير في أمر الدين والدنيا والعمل على كل ما فيه شر في أمر الدين والدنيا. كما أن من صفاتهم البخل والفسق والضلال.

﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَاسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِى خَاضُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَٰتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ المراد قل يا محمد لهؤلاء المنافقين أنتم كالذين من قبلكم من الأمم الهالكة. ﴿كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا﴾ أي: كان لهم من القوة في المال والولد أكثر وأعظم مما لكم. ﴿فَاسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ﴾ أي: تمتعوا بنصيبهم من الدنيا ﴿فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ﴾ أي: استمتعتم أنتم بخلاقكم من الدنيا. ﴿كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ﴾ أي: كنتم مثلهم في أفعالهم ﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِى خَاضُوٓاْ﴾ أي: خضتم بالكفر والنفاق مثل ماهم خاضوا في الكفر والنفاق سواء بسواء. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ

﴿أَعْمَٰلُهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾ أي: خسرت أعمالهم فلم تنفعهم لا ديناً ولا دنيا. ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ أي: المفلسون في الدنيا والآخرة وكما كان هذا حظهم بسبب نفاقهم وكفرهم، فإن هذا هو نفس الحظ لكم أنتم ومن على شاكلتكم من المنافقين.

﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: ألم يأتهم خبر الأمم السابقة الذين هلكوا من ﴿قَوْمِ نُوحٍ﴾ وما حدث لهم من الغرق لتكذيبهم لنبيهم ﴿وَعَادٍ﴾ الذين أهلكهم الله بالريح لما كذبوا نبيهم هوداً عليه السلام. ﴿وَثَمُودَ﴾ الذين أخذتهم الرجفة أو الصيحة حين كذبوا نبيهم صالحاً عليه السلام. ﴿وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ حين نصره الله عليهم بعدما ألقوه في النار وأهلك ملكهم. ﴿وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ﴾ أي: قوم شعيب عليه السلام حين أصابتهم الرجفة حين كذبوه. ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ﴾ أي: التي انقلب عاليها سافلها وهي مدن قوم لوط عليه السلام حين عصوه وارتكبوا الفواحش. ﴿أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أي: جاءت كل هؤلاء رسلهم بالبراهين الدالة على شرع الله وحكمه ﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ أي: ما كان ليعاقبهم إلا بعدما جاءتهم البينات فأنكروها وعصوا الله ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ أي: إنهم هم الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم واستمرارهم عليه رغم ماجاءهم من الحجج والبراهين.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير التشابه بين المنافقين رغم تباعد الزمان بينهم؛ ذلك أن للمنافقين صفة واحدة هي الكفر في بواطنهم، وإبراز الإيمان في ظواهرهم. وتشابههم في الفعل يقتضي تشابههم في العقاب، وهو الدرك الأسفل من النار. ومن الأحكام: وجوب الاعتبار بمن أهلكهم الله بسبب ظلمهم ونفاقهم كما قال عز وجل ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[1].

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾.

بيان الآيتين:

لما ذكر الله عز وجل صفة المنافقين وسوء سلوكهم ذكر المؤمنين فقال عز ذكره ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ﴾ المراد أنهم يوادون بعضهم بعضاً، ويتراحمون، ويتناصرون، ويتعاونون

---

(١) سورة ق الآية ٣٧.

بينهم كما قال رسول الله ﷺ: (**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**)[1]. ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي: يأمرون بتوحيد الله وطاعته وطاعة رسوله محمد ﷺ. ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ أي: ينهون ويحذرون من معصية الله ومعصية رسوله. ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ﴾ أي: يؤدونها في أوقاتها حسب أركانها وشروطها. ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ﴾ أي: يخرجون زكاة أموالهم طاعة لله ورسوله ﴿وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي: أنهم في الجملة مطيعون لله فيما أمرهم به ومنتهون عما نهاهم عنه. ﴿أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾ أولئك إشارة إلى المؤمنين والمؤمنات، والمراد أنهم لما كانوا على هذا النحو من طاعة الله ورسوله فإن الله سيرحمهم ويكفر خطيئاتهم. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ أي: عزيز في ذاته العلية يعز من أطاعه، ويذل من عصاه. ﴿حَكِيمٌ﴾ في تدبيره وتصرفه في خلقه.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ﴾ أي: وعدهم وعداً بأن لهم جنات. ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي: تجري من تحت أشجارها. ﴿خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً﴾ أي: لهم

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، برقم (٢٥٨٦)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١٠ ص٦٦٠٣ .

الدوام فيها وفي مساكنها الطيبة. ﴿فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ﴾ كما قال تعالى ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا﴾[1]. وفيها: قال رسول الله ﷺ: (**عدن دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك**)[2]. ﴿وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ﴾ أي: أكبر من كل ذلك رضوان الله عليهم وهذا هو الفوز العظيم الذي لا فوز غيره.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير صفات المؤمنين وهي الولاء لبعضهم وكونهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة في أوقاتها بأركانها وشروطها، ويزكون أموالهم طيبة بها نفوسهم. وهم في كل الأحوال مطيعون لله فيما أمرهم به فاستحقوا بذلك حسن الجزاء وهو الجنة بكل ما فيها من النعيم، وفوق ذلك رضوان الله عليهم وهذا أفضل نعم الله عليهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ

(١) سورة مريم الآية ٦١.

(٢) الكشاف للزمخشري ج٣ ص٦٧، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٦ ص١٨٠، وأخرجه الزيلعي في تخريج الكشاف ج٢ ص٧٩، برقم (٥٥٥).

وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَـٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ﴾ الخطاب لرسول الله ﷺ قوله ﴿ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ ﴾ أي: قاتل الكفار بالسلاح وقاتل المنافقين بالحجة؛ ذلك أن الكفار أعلنوا عن أنفسهم بالكفر صراحة فاقتضى ذلك أنه لا أمل في دخولهم في دين الله. أما المنافقون فظاهرهم الإسلام وباطنهم غيره، فمقاتلتهم بالحجة أولى لعلهم يتوبون من نفاقهم. ﴿ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْۚ ﴾ المراد اتخاذ الشدة في الجهاد ليكون ذلك أبلغ وأقوى. ﴿ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ ﴾ أي: مآلهم النار إذا لم يتوبوا ويتركوا كفرهم ونفاقهم. ﴿ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ أي: بئس المكان الذي سيؤولون إليه.

﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ ﴾ لما كان رسول الله ﷺ في تبوك كان القرآن ينزل عليه في شأن المتخلفين عن القتال ويوبخهم ويتوعدهم، وكان نفر منهم يسمع مايقوله رسول الله ﷺ عنهم، ومن هؤلاء النفر -كما سبق ذكره- الجلاس بن سويد فقال هذا ومن معه من المنافقين:

لئن كان ما يقوله محمد حقاً عن إخواننا الذين خلفناهم وهم سادتنا وأشرافنا فنحن شر من الحمر، فقال لهم عامر بن قيس الأنصاري: أجل والله إن محمداً لصادق، وأنتم شر من الحمر فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فاستدعى الجلاس فحلف بالله ما قال فرفع عامر يديه إلى السماء ودعا الله أن يبين لنبيه ما حدث فنزلت الآية ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ ﴾ فقال الجلاس: لقد عرض الله علي التوبة، والله لقد قلته، وصدق عامر، فتاب وحسنت توبته[1].

﴿وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ ﴾ أي: إن ما قالوه كفر. ﴿وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ ﴾ أي: أظهروا كفرهم بعد أن كانوا مسلمين. ﴿وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ ﴾ المراد أن المنافقين هموا بإيذاء رسول الله ﷺ حين رجوعه من تبوك؛ فقد اتفق اثنا عشر منهم -كما سبق ذكره- على أن يدفعوه عن راحلته إلى الوادي إذا تسنم العقبة بالليل. فبينما كان عمار بن ياسر آخذاً بخطام ناقته يقودها وحذيفة بن اليمان خلفه يسوقها إذ سمع حذيفة بصوت أخفاف الإبل وصوت السلاح فالتفت فإذا هم قوم متلثمون فقال: إليكم إليكم يا أعداء الله فهربوا. قال حذيفة: سماهم رسول الله ﷺ بأسمائهم فقلت: ألا نبعث إليهم فنقتلهم فقال: **(أكره أن تقول العرب لما ظفر بأصحابه أقبل يقتلهم بل يكفيهم الله بالدبيلة**

---

(١) تفسير البغوي ص٥٧١-٥٧٢، والكشاف للزمخشري ج٣ ص٦٩ .

وهو شهاب من جهنم يجعله على نياط فؤاد أحدهم حتى تزهق نفسه)[١]. وقيل: إن المراد من قوله تعالى ﴿وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ﴾ أن المنافقين هموا بقتل عامر بن قيس لما تكلم به على الجلاس. وقيل: إنهم أرادوا تتويج عبد الله بن أبي بن سلول على المدينة وإن لم يرض رسول الله ﷺ[٢]. والقول الأول أصح.

﴿وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ﴾ أي: إنهم كانوا قبل مقدم رسول الله ﷺ في فقر وفاقة وقد أغناهم الله بما صار لهم من الغنائم. ﴿فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ وبسبب هذه الآية تاب الجلاس. ﴿وَإِن يَتَوَلَّوْاْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ﴾ أي: بالقتل والخزي فى الدنيا وفي الآخرة بالنار. ﴿وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ أي: لن يكون لهم فى الأرض ولي يواليهم، ولا نصير ينصرهم.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير آية القتال للكفار والمنافقين، ووجوب الإغلاظ في قتالهم. تقرير كفر من يرتد بعد إسلامه سواء كان ذلك قولاً أو استهزاء بالله أو تكذيباً لرسوله. وقد اختلف العلماء في توبة المنافق؛ فالإمام مالك يرى: ألا تقبل له توبة مالم يأت تائباً من قبل نفسه لأن توبته

---

(١) الدر المنثور ج٣ ص٤٦٦، وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص٣٥٦، وأحمد في المسند ج٥ ص٤٥٣ بالاختصار.

(٢) زاد المسير لابن الجوزي ص٥٩٥ .

لا تعرف فهو يظهر الإيمان ويخفي الكفر ولا يعلم إيمانه إلا بقوله فإذا عثر عليه وقال تبت لم يتغير حاله[١]. ومراد الإمام أن المنافق قد يقول تبت ولكنه لايزال منافقاً كحاله في اظهار الإيمان وهو على خلافه؛ فلا تتحقق توبته إلا إذا أقبل طائعاً مختاراً. وعند الإمام الشافعي: تقبل توبته[٢] ولعل هذا هو الصحيح فمن أظهر أنه تاب من نفاقه وزندقته قُبِلَ قوله مالم يظهر منه ما يخالف قوله، وأمره إلى الله فهو المحاسب على السرائر.

﴿ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ﴾

بيان الآيات:

﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ ﴾ قيل: إن هذه الآية نزلت في أحد المؤمنين حيث قال: يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالاً فقال له رسول الله ﷺ: (**قليل تؤدي شكره خير من كثير لا**

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٢٠٨ .

(٢) قليوبي وعميرة لشهاب الدين القليوبي والشيخ عميرة ج٤ ص١٧٧، والجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٢٠٨ .

تطيقه) فراجعه وقال: والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالاً لأعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنماً فنمت حتى ضاقت بها المدينة فنزل وادياً، وانقطع عن الجمعة والجماعة فسأل عنه رسول الله ﷺ فقيل له: كثر ماله حتى لايسعه وادٍ فقال: **(يا ويحه)**. فبعث رسول الله ﷺ رجلين لأخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرّا بالرجل فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله ﷺ الذي فيه فرائض الزكاة فقال: ما هذا إلا جزية ما هذه إلا أخت الجزية وقال: ارجعا حتى أرى رأيي فلما رجعا قال لهما رسول الله ﷺ قبل أن يكلماه: **(يا ويحه)** مرتين فنزلت الآية فجاء بالصدقة فقال: **(إن الله منعني أن أقبل منك)** فجعل التراب على رأسه فقال: **(هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني)** فقبض رسول الله ﷺ فجاء بها إلى أبي بكر رضي الله عنه فلم يقبلها. وجاء بها إلى عمر رضي الله عنه في خلافته فلم يقبلها وهلك في زمن عثمان رضي الله عنه[1].

﴿لَنَصَّدَّقَنَّ﴾ أي: لنؤدي الزكاة المفروضة ﴿وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ أي: من المتقين. ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضۡلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ﴾ أي: فلما أغناهم من ماله شحوا بالإنفاق منه. ﴿وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ﴾

---

(١) قيل: ان المراد في هذه الأية ثعلبة بن حاطب وقد لايكون هو المراد لأن ثعلبة شهد بدراً وقد وعد الله أهل بدر بالأجر العظيم فلا يجوز إذاً أن يكون المقصود ثعلبة وقيل: إن المراد رجل من الأنصار وقيل: إنها نزلت في عدد من المنافقين وأياً كان اسم من نزلت فيه فلا شك أنها نزلت في رجل أو رجال عاهدوا الله ورسوله أن يتصدقوا فنكثوا عهدهم. زاد المسير لابن الجوزي ص٥٩٩ .

أي: أعرضوا عن أمر الرسول بدفع الزكاة. ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ أي: جعلهم من المنافقين بسبب ما بخلوا به. ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ ﴾ أي: إلى يوم يلقون الله. ﴿بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴾ أي: إن الله خذلهم فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم بسبب إخلافهم لما عاهدوا الله عليه من التصدق بما يعطيهم الله، وبما كانوا يكذبون على رسول الله.

﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ ﴾ ألم يدركوا أن الله يعلم سريرتهم في النفاق ونجواهم فيه كما قالوا ماهذه إلا أخت الجزية. ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ أي: العليم بما في الغيب وما يسره أو يعلنه عباده.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بوجوب الوفاء بالعهد الذي يقطعه المرء على نفسه، وكيف يكون القطع هل بالقلب أو باللفظ؟ في هذا خلاف بين العلماء فالإمامان أبوحنيفة والشافعي: يريان ان لا يلزم أحداً حكم إلا إذا تلفظ به[١]. أما الإمام مالك فيرى: أن من نوى بقلبه ولم ينطق به لسانه لزمه[٢]. ولعل الأول أصح عملاً بقول رسول الله ﷺ **(إن الله**

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني ج٢٠ ص٢٥٥-٢٥٦، وفتح الباري ج٩ ص٣٠٥-٣٠٦.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٢١٠.

تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم)[١]. ومن الأحكام: التنديد بالبخل وذمه. ومنها: أن من يعمل سوءاً ولا يتوب منه تتابع عليه السيئات.

﴿ ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ اللمز العيب والمطوعين أي: المتبرعين وقد روي أن رسول الله ﷺ حث يوماً على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم وقال: كان لي ثمانية آلاف فأقرضت ربي أربعة آلاف وأمسكت أربعة لعيالي فقال رسول الله ﷺ: **(بارك الله لك فيما أعطيت وأمسكت)** وتصدق عاصم بن عدي بمائة وسق من تمر وجاء أبو عقيل الأنصاري بصاع من تمر وقال: تركت صاعاً لعيالي فأمره رسول الله ﷺ أن ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا: ما أعطى

(١) أخرجه البخاري في كتاب الطلاق، باب الطلاق في الإغلاق والكره والسكران والمجنون وأمرهما والغلط والنسيان في الطلاق، برقم (٥٢٦٩)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٩ ص٣٠٠ .

عبد الرحمن وعاصم إلا رياء وإن الله ورسوله غنيان عن صاع أبي عقيل ولكنه أحب أن يذكِّر بنفسه[١]. فنزل قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ أي: ليس لهم إلا ما يقدرون عليه ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾ أي: يعيبونهم ويلمزونهم ﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ أي: يستهزئ بهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: شديد لقاء لمزهم وسخريتهم بالمؤمنين.

﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ قيل: إن عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول سأل رسول الله ﷺ أن يستغفر لأبيه لما مرض ففعل فنزلت هذه الآية فقال رسول الله ﷺ: **(إن الله قد رخص لي فسأزيد على السبعين)** فنزل قوله تعالى ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾[٢] أي: مهما كان عدد استغفارك ﴿فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ أي: لن يتجاوز عن خطيئاتهم. ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي: أن السبب في عدم المغفرة لهم هو كفرهم بالله ورسوله. ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ أي: الذين عصوا الله وضلوا عن سبيله.

أحكام ومسائل الآيتين:

تحريم لمز المؤمنين بالقول، أو الكتابة، أو الإشارة. والأصل فيه قول الله عز وجل ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٤٢٦-٤٢٧، والحديث أخرجه البخاري مختصراً في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾، برقم (٤٦٦٨)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص١٨١ .

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٦ ص١٩٩ .

﴿ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[١].

ومن الأحكام: تحريم السخرية من المؤمنين كما قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّ﴾[٢]. ومنها: تقرير أنَّ الاستغفار للكافر لا ينفعه لأن الكفر مانع من قبول الاستغفار له. وشاهده قول الله تعالى ﴿وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ﴾[٣]. فاقتضى هذا أن الاستغفار لا يجوز للكافر، وإنما يختص به المؤمن.

﴿فَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ بِمَقۡعَدِهِمۡ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ (٨١) فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ (٨٢)﴾

بيان الآيتين:

مازال السياق في ذم المنافقين فقد بيَّن الله سوء سلوكهم وتخلفهم عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك فقال عز ذكره ﴿فَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ

(١) سورة الحجرات من الآية ١١ .

(٢) سورة الحجرات من الآية ١١ .

(٣) سورة التوبة من الآية ١١٤ .

﴿بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ أي: فرحوا بقعودهم في المدينة وتثاقلهم عن الجهاد ﴿وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: كرهوا الجهاد مع رسول الله ﷺ ﴿وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّ﴾ أي: تناجى بعضهم مع بعض، واتفقوا على ألا ينفروا لأن غزوة تبوك كانت في شدة الحر ففضلوا أن يقعدوا في المدينة حول ظلال البيوت وثمار النخيل فأمر الله نبيه أن يقول لهم ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ﴾ المعنى أنهم لو كانوا عقلاء لعلموا أن نار جهنم أشد حرارة وأقسى ألماً من حر الدنيا الذي تخلفوا بسببه.

﴿فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا﴾ في هذا تهديد ووعيد شديدان لهم والمراد أنهم يضحكون في الدنيا التي هي مؤقتة وزائلة ﴿وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا﴾ أي: دائماً يوم القيامة حين يلاقون عذاب جهنم. ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ أي: جزاء تخلفهم وإيثارهم القعود على الجهاد.

أحكام ومسائل الآيتين:

من صفات المنافقين الفرح بالإعراض عن طاعة الله وطاعة رسوله، وتفضيلهم ملذات الدنيا على ملذات الآخرة. ومن الأحكام: كراهة الإكثار من الضحك لما رواه أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **(لا تكثروا الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب)**[١].

---

(١) أخرجه ابن ماجة في كتاب الزهد، باب الحزن والبكاء، برقم (٤١٩٣)، سنن ابن ماجة ج٢ ص١٤٠٣، والترمذي في كتاب الزهد، باب من اتقى المحارم فهو أعبد الناس، برقم (٢٣٠٥)، سنن الترمذي ج٤ ص٤٧٨، وأحمد في مسنده ج٢ ص٣١٠.

﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَـٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ ﴾ أي: إذا ردك الله إلى المدينة بعد الغزوة إلى طائفة من المنافقين قيل: إنهم كانوا اثني عشر رجلاً[1]. ﴿فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ ﴾ أي: أرادوا الخروج معك إلى غزوة أخرى. ﴿فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا ﴾ أي قل: لن تكونوا معي ولن تصحبوني في أي جهاد. ﴿وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ﴾ أي: لن تكونوا في عداد المقاتلين. ﴿إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ أي: فضلتم الدنيا على الآخرة رغم أنه لم يكن لكم عذر فيما فعلتم فهذه سيئاتكم تجزون عليها لأن السيئة تتبع السيئة. ﴿فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ ﴾ أي: اقعدوا واستكينوا مع المتخلفين عن الجهاد فكانت لهم عقوبتان: الأولى أن رسول الله ﷺ أبى صحبتهم معه، وفي هذا ألم وعذاب لهم. والثانية أن الله سوف يعاقبهم بما هو أشد في الآخرة.

---

(١) الكشاف للزمخشري ج٣ ص٧٦ .

﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا ﴾ في هذا نهي من الله لنبيه ورسوله محمد ﷺ ألا يصلي على أحد من المنافقين. ولما مرض عبدالله ابن أبي بن سلول وقارب الموت بعث إلى رسول الله ﷺ ليستغفر له فلما دخل عليه قال: (أهلكك حب اليهود). فقال: يا رسول الله بعثت إليك لتستغفر لي لا لتؤنبني، وسأله أن يكفنه في شعاره الذي يلي جلده فأعطاه قميصه فلما مات دعاه ابنه[1] إلى جنازته فلما هم بالصلاة عليه قال له عمر: أتصلي على عدو الله؟ فنزلت الآية وقيل: إن جبريل جذبه عن الصلاة عليه وقد صلى عليه ثم انصرف ولم يمكث إلا قليلاً حتى نزلت الآية[2].

والسبب في أن رسول الله ﷺ أعطاه قميصه هو مكافأة له على عمل سبق أن عمله؛ ذلك أن العباس رضي الله عنه لما أسر يوم بدر لم يجدوا له قميصاً وكان رجلاً طويلاً فكساه عبد الله بن أبي قميصه[3]. وقال المشركون يوم الحديبية: إنا لا نأذن لمحمد بدخول مكة ولكن نأذن لك فقال: لا إن لي في رسول الله أسوة حسنة فسرّ رسول الله ﷺ لذلك وشكره على ما قال. أما صلاة رسول الله ﷺ

---

(١) ابنه اسمه الحباب فسماه رسول الله ﷺ عبد الله وقال إن اسم الحباب اسم شيطان وكان هذا الابن صالحاً خلافاً لأبيه. جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٦ ص١٩٩، والكشاف ج٣ ص٧٧ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ﴾ ، برقم (٤٦٧٢)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص١٨٩ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب الكسوة للأسارى، برقم (٣٠٠٨)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٦ ص١٦٧ .

عليه فهي استجابة لسؤال ابنه، وكان هذا عبداً صالحاً. ولما قيل له عليه الصلاة والسلام: كيف تعطي قميصك لهذا وهو كافر -أي عبدالله بن أبي- قال: (**إن قميصي لن يغني عنه من الله شيئاً وإني أؤمل في الله أن يدخل في الإسلام كثير بهذا السبب**) ويروى أنه أسلم ألف من الخزرج لما رأوه طلب الاستشفاء بثوب رسول الله ﷺ(١).

قوله ﴿وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ إشارة إلى أن رسول الله ﷺ كان إذا دفن الميت وقف على قبره ودعا له بالثبات. ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ أي: بسبب نفاقهم ﴿وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ أي: ماتوا على كفرهم فلم يتوبوا منه.

﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ﴾ في هذه الآية توكيد للآية السابقة التي أرشد الله فيها رسوله ألا يعجب مما أوتي المنافقون من متع الحياة الدنيا. ولهذا التوكيد والتكرار سببان: أولهما أهمية الأمر الذي يأمر الله به رسوله أو ينهاه عنه. والثاني طول المدة الفاصلة بين الآية الأولى، والآية التي نزلت بعدها تؤكد حكمها. ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ والمراد أن هذه الأموال ليست لحب الله لهم وإنما لكي يعذبهم بالهم والغم في الدنيا ثم تزهق أنفسهم وهم كافرون فينتقلون إلى العذاب في الآخرة.

---

(١) الكشاف للزمخشري ج٣ ص٧٨-٧٩.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن السيئة تتبع السيئة كما أن الحسنة تتبع الحسنة؛ فإذا استمرأ العبد السيئة تتابعت عليه السيئات؛ ذلك أن القلب لا يلين إلا مع طاعة الله فإذا فقد العبد هذه الطاعة حلت محلها المعصية فقسا قلبه. ومن الأحكام: تحريم الصلاة على الكافر، وهذا يقتضي تحريم غسله ووجوب دفنه مع عدم القيام عليه والدعاء له. أما الفاسق الذي لم يصل إلى درجة الكفر فيصلى عليه مع كراهة ذلك(١).

ومن الأحكام: تحريم الإعجاب بالكافرين لأن الإعجاب يقتضي قبول الفعل محل الإعجاب، ولكن هذا التحريم لا يشمل ما كان حسناً من سلوكهم في أمور الدنيا كالزراعة أو الصناعة أو نحو ذلك مما هو مباح في ذاته.

﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ ﴾.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٢٢١، قال الإمام القرطبي: «أجمع المسلمون على أنه لا يجوز ترك الصلاة على جنائز المسلمين من أهل الكبائر كانوا أو صالحين وراثة عن نبيهم ﷺ قولاً وعملاً والحمد لله». واتفق العلماء على ذلك إلا في الشهيد وإلا في أهل البدع والبغاة.

بيان الآيات:

﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ ﴾ المراد سورة براءة أو إحدى آياتها ﴿أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ﴾ أي: أمرت هذه الآية بالإيمان بالله والجهاد مع رسوله. ﴿ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ ﴾ أي: طلب منك من لهم فضل وسعة. ﴿وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴾ أي: اتركنا لنكون مع الذين لهم عذر في التخلف عن الجهاد.

﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ ﴾ المراد بهم الذين تخلفوا عن الجهاد لأعذار وهم النساء والصبيان والزمنى. ﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ ﴾ أي: انطبعت قلوبهم بالكفر لكونهم رضوا به. ﴿فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ﴾ أي: لا يفهمون مافيه مصلحتهم في عاقبتهم.

﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ ﴾ المراد أن هؤلاء المنافقين لما قعدوا عن الجهاد لم يثن فعلهم هذا الرسول والمؤمنين، بل جاهدوا بأموالهم وأنفسهم مؤتمرين بما أمرهم الله به يرجون ثوابه فقال فيهم عز وجل ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ ﴾ أي: خيرات الدنيا، وذلك بنصر الله لهم وبما كسبوه من الغنائم. ولهم كذلك خيرات الآخرة وهي نعيم الله ورضاه عنهم وقد وصفهم بقوله عز ذكره ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ أي: الفائزون.

﴿ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ﴾ هذا وعد من الله بما أعده لعباده الذين جاهدوا بأموالهم وأنفسهم بأن لهم

الجنة بكل ما فيها من النعيم، ومافيها من الخلود وأن ذلك هو الفوز العظيم الذي يتطلع إليه عباد الله.

أحكام ومسائل الآيات:

جواز استئذان المأمور من الآمر لفعل شيء أو تركه. أما الاستئذان للتخلف عن الجهاد فمحرم مالم يكن للمستأذن عذر مشروع كالمرض ونحوه. ومن الأحكام: فضل الجهاد بالمال والنفس لما فيه من إعلاء كلمة الله وشاهده قول الله عز وجل ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[1]. ﴿دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً﴾[2]. ومنها: تقرير أن المنافقين الذين رضوا أن يكونوا مع المتخلفين من النساء والمرضى أصيبوا بالمرض، وهو الطبع على قلوبهم بحيث لم يفرقوا بين الحق والباطل. ومنها: تقرير أن رسول الله ﷺ ومن معه من المؤمنين جاهدوا بالنفس والمال فلم ينثنوا عنه، ولم يعبؤوا بتخلف المنافقين، ولهذا فقد وعدهم الله ووعد عباده المؤمنين المجاهدين بأن لهم الجنة بما فيها من النعيم.

﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ

(١) سورة النساء من الآية ٩٥.

(٢) سورة النساء من الآية ٩٦.

غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ۞ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ المراد بهم طوائف من الأعراب الذين يسكنون حول المدينة كغطفان وأسد، وآخرون اعتذروا بسبب خوفهم على مواشيهم وعيالهم ولم يقل الله فيهم سوءاً، وإنما ذم الذين قعدوا ولم يعتذروا ولم يكن لهم عذر فقال ﴿وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ﴾ أي: لم يعتذروا فوعدهم بالعقاب بقوله ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ﴾ لما ذم الله المنافقين الذين تخلفوا عن الجهاد بغير عذر سوى حبهم للراحة بيَّن الأحوال التي يعذر فيها من تخلف عن الجهاد فقال عز وجل ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ﴾ وهم: العاجزون إما لعجز في أجسامهم كضعفهم في أبدانهم أو عجز في أموالهم. ﴿وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ﴾ وهم المصابون بأمراض أقعدتهم عن الحركة وكانوا يتمنون أن أحوالهم كانت تساعدهم على الجهاد وفيهم

قال رسول الله ﷺ: (**إنّ بالمدينة لرجالاً ما سرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم**) قالوا: يا رسول الله وكيف يكونوا معنا وهم في المدينة؟ قال: (**حبسهم المرض**)[١]. ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ﴾ أي: بسبب فقرهم وقلة مافي أيديهم. ﴿إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ المراد أنه ليس على هؤلاء حرج في قعودهم عن الجهاد إذا قعدوا ونصحوا لله ورسوله فلم يؤذوا المؤمنين بتثبيطهم، أو بالإرجاف عليهم، أو النيل منهم بأي صورة. ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾ أي: ليس على من كان سلوكه وعمله حسناً سبيلٌ لأحد وإنما السبيل على الذين ليس لهم عذر كما سيأتي.

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يغفر ويرحم لمن يتوب من عباده قوله ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾ هذه الآية نزلت في نفر من قبيلة مزينة جاؤوا إلى رسول الله ﷺ بعدما أمر بالغزو معه فقالوا: يا رسول الله احملنا فقال: (**والله لا أجد ما أحملكم عليه**)[٢]. ﴿تَوَلَّوا۟﴾ أي: ذهبوا ﴿وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا﴾ أي: ذهبوا يبكون. ﴿أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ﴾ أي: حزنوا واغتموا لأنه ليس لهم مال يشترون منه ما يحملهم من مركب وقوت إلى الجهاد.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب ثواب من حبسه عن الغزو مرض أو عذر آخر، برقم (١٩١١)، صحيح مسلم بشرح النووي ج٨ ص٥٢٧٦ .

(٢) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٤٣٠، وتفسير البغوي ص٥٧٦، وزاد المسير لابن الجوزي ص٦٠٠ .

قوله ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ﴾ أي: ليس السبيل على أولئك الذين لهم عذر، ولكن السبيل أي: الإثم والخطيئة ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ﴾ في القعود ﴿وَهُمْ أَغْنِيَآءُ﴾ أي: قادرون على الجهاد بأنفسهم وأموالهم والمراد بهم المنافقون. ﴿رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾ أي: آثروا أن يكونوا مع النساء والصبيان والمرضى. ﴿وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ أي: تحجرت وساءت ﴿فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: صاروا عمياً عن الحق لا يبصرونه فلا يميزون بين ما ينفعهم وما يضرهم.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أصحاب الأعذار الذين يجوز لهم التخلف عن الجهاد وهم: الضعفاء، والمرضى، وغير القادرين على النفقة. تقرير من لا يجوز لهم التخلف عن الجهاد، وهم الأغنياء، والأصحاء فهؤلاء يطبع الله على قلوبهم فلا يهتدون.

﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟

يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ المراد أنكم يا محمد وأصحابك إذا رجعتم إلى المدينة سيأتيك المنافقون يعتذرون إليكم. ﴿قُل لَّا تَعْتَذِرُوا﴾ أي قل لهم: لا تعتذروا. ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾ أي: إن الله أخبرنا عن سلوككم المنطوي على النفاق. ﴿وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ﴾ المراد أن ما عملتموه سيكون بيّناً للناس في الدنيا وهو تخلفكم عن الجهاد مع قدرتكم عليه. ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ أي: إن مرجعكم إلى الله. ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: ستعرفون منه صحائف أعمالكم فيجازيكم عليها إن كانت خيراً أو شراً.

﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ المراد أن هؤلاء المنافقين سيحلفون لكم أيماناً يعتذرون بها لكي تعرضوا عنهم فلا تؤنبوهم على تخلفهم، ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ أي: اتركوهم توبيخاً وتأنيباً لهم. ﴿إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾ أي: نجس وخبث. ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾ أي: مصيرهم إلى جهنم. ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أي: جزاء لهم على خبث بواطنهم وسوء سرائرهم.

﴿ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ ﴾ أي: إن هؤلاء المنافقين سوف يحلفون لكم لكي ترضوا عنهم فإن رضيتم عنهم فإن الله لا يرضى عنهم لأنه لا يرضى عن القوم الفاسقين الذين خرجوا عن طاعته وطاعة رسوله.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن المتخلفين عن الجهاد يخلقون أعذاراً لهم ويحلفون لإرضاء المؤمنين. والأصل رضا الله؛ فمن سخط عليه لكفره أو فسقه فلا ينفعه رضا رسول الله، ولا رضا غيره من المؤمنين. ومن الأحكام: أن المنافقين نجس مثل المشركين.

﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾ ﴾

بيان الآيات:

لما بيَّن الله حال المنافقين وسوء سلوكهم بيَّن حال من كانوا خارج المدينة من البادية فقال ﴿ ٱلْأَعْرَابُ ﴾ المراد بهم أهل البادية ممن

لا يسكنون المدن. ﴿أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ أي: بسبب جفائهم ونشأتهم في البوادي كانوا أكثر كفراً ونفاقاً من أهل المدن. ﴿وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ﴾ المراد أنهم أكثر جهلاً بأمور الدين، وما أمر الله به من الأحكام. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ أي: يعلم بأحوال أهل الحواضر والبوادي بما يستحقه محسنهم ومسيئهم. ﴿حَكِيمٌ﴾ في تصرفه فيهم.

﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا﴾ المراد أن من الأعراب من يرى أن ما ينفقه في الجهاد أو في الزكاة أو في غير ذلك من أعمال الخير إنما هو غرامة وخسارة ولا يرجو معه ثواباً من الله. ﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ﴾ أي: ينتظر دوائر الزمان عليكم لتضعفوا ثم ينقلب عليكم فيمتنع عن أداء الزكاة. وقد فعل ذلك بعضهم لما توفي رسول الله ﷺ؛ فامتنع عن أداء الزكاة فقاتلهم أبوبكر رضي الله عنه وقال قولته الشهيرة: والله لو منعوني عقالاً -أو قال عناقاً- كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه[1]. ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ هذا دعاء عليهم بأن تدور الدوائر السيئة عليهم بسبب تربصهم بالمؤمنين. ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ أي: يسمع ما يقولونه إذا قيل لهم ادفعوا الزكاة. ﴿عَلِيمٌ﴾ بما في قلوبهم .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، برقم (٧٢٨٤-٧٢٨٥)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١٣ ص٢٦٤ .

ولما ذكر الله حال بعض الجفاة من البادية بيَّنَ أنهم ليسوا كلهم على هذا النحو بل منهم صالحون فقال عز ذكره. ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ أي: بصدق قيل: إن المراد بنو مقرِّن من قبيلة مزينة[1] الذين بكوا وحزنوا بسبب فقرهم وحين لم يجدوا عند رسول الله ﷺ ما يحملهم إليه لأجل الجهاد ﴿وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: يقرب بما ينفقه في الجهاد أو في الزكاة إلى الله. ﴿وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ﴾ أي: دعاءه واستغفاره لهم. ﴿أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ﴾ أي: تقربهم من رحمة الله، وكان عليه الصلاة والسلام إذا جاء أهل الصدقة بصدقاتهم دعا لهم ومن ذلك قوله (**اللهم صلِ على آل أبي أوفى**)[2]. ﴿سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ﴾ أي: سوف يتقبل صدقاتهم ويرحمهم ويجازيهم بالحسنى على ماتصدقوا به. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ أي: يغفر للمخلصين والمتصدقين من عباده. ﴿رَّحِيمٌ﴾ بمن يرحم المحتاج من خلقه.

أحكام ومسائل الآيات:

لما ذكر الله كفر الأعراب ونفاقهم قيل: إن في ذلك دلالة على نقص

---

(١) تفسير البغوي ص٥٧٧ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب صلاة الإمام ودعائه لصاحب الصدقة، برقم (١٤٩٧)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٤ ص٤٢٣ .

الكمال لهم فقيل: لا تجوز إذاً شهادة أحدهم على أهل الحضر. وخالف في ذلك الإمام أبوحنيفة فقال: تجوز لأن المسلمين كلهم عدول[١] كما أجاز هذه الشهادة الإمام الشافعي واشترط أن يكون الشاهد عدلاً[٢]. كما قيل: بعدم جواز إمامتهم لأهل الحضر لكونهم يجهلون السنة وبعدهم عن الجمع والجماعة[٣].

قلت: والمراد والله أعلم أن المقصود بمن وصفهم الله هم من كانوا على تلك الحالة التي وصفها، وهي بعدهم عن الجماعة وجهلهم بالأحكام. أما إذا تحولوا عن تلك الحال إلى حال أحسن منها فلا شك أنهم مثل غيرهم من أهل الحضر سواء في عدالتهم أو معرفتهم بالأحكام حسب حالهم؛ ولذلك ذكر الله أن منهم من كان صالحاً فيتقرب إلى الله يرجو ثوابه.

﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾.

بيان الآية:

يخبر تعالى عن رضاه عن السابقين في الإسلام ممن هاجروا

---

(١) المغني ج١٤ ص١٤٩، وعون المعبود ج١٠ ص٨، والجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٢٣٢ .
(٢) المغني ج١٤ ص١٤٩، وعون المعبود ج١٠ ص٨، والجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٢٣٢ .
(٣) الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٢٣٢ .

مع رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة، وفي مقدمتهم أبوبكر رضي الله عنه. ويخبر كذلك عن رضاه عن الأنصار الذي آووه ونصروه وجاهدوا معه. قوله ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ﴾ قيل: هم الذين صلوا إلى القبلتين. أما الأنصار فهم السبعة الذين بايعوا رسول الله ﷺ بيعة العقبة الأولى وهم كذلك السبعون أهل العقبة الثانية[١]. ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ ﴾ أي: رضي الله كذلك عن الذين اتبعوهم بإحسان في أقوالهم وأفعالهم، وأساس ذلك الإيمان الخالص بالله واتباع ما أمر به واجتناب ما نهى عنه، وتصديق رسوله. ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ أي: رضي عن أفعالهم. ﴿ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾ لما أنعم به عليهم من نعمه وفضله عليهم في الدنيا والآخرة. ﴿ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ هذا وصف لما أعده لهم بعد رضائه عنهم. ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ المراد إقامتهم الدائمة. ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ أي: الفوز الذي ما بعده فوز وهو رضا الله عنهم.

أحكام ومسائل الآية:

تقرير فضيلة السبق والمسارعة إلى العمل الصالح، ووعد الله

---

(١) الكشاف للزمخشري ج٣ ص٨٥، وقد ذكر ابن هشام أنهم كانوا اثني عشر رجلاً في العقبة الأولى، السيرة النبوية لابن هشام ج٢ ص٨١-٩٥ .

بأنه يرضى عن المسارعين إلى نصرة دينه ونصرة رسوله، وأنه قد أعد لهم الجنة. وفيها: تقرير أن هذا الفضل يشمل من اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ (١٠١) وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٠٢) ﴾.

بيان الآيتين:

ما زال السياق في إظهار المنافقين وكشف أسرارهم وأنهم يخفون على رسول الله ﷺ رغم فطنته فقال الله عز ذكره ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ﴾ قيل: المراد بهم بعض قبائل العرب ممن كانوا حول المدينة كما يخبر تعالى أن في داخل المدينة كذلك منافقين بقوله ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾ المراد بهم أولئك الذين صار لهم خبرة ومهارة في النفاق بحيث يخفون حقيقتهم فلا يستطيع أحد أن يكتشفهم. ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ﴾ بيان من الله لرسوله أنه رغم فطنته ومعرفته لا يقدر على معرفتهم لمهارتهم في النفاق. ﴿ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ﴾ أي: نحن أعلم بسرائرهم وخفاياهم.

﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ قيل: المراد به القتل في الدنيا والعذاب في الآخرة. وقيل: عذابهم في المرة الأولى الفضيحة في الدنيا أما عذابهم في المرة الثانية فهو عذاب القبر(١). ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ المراد به عذاب النار.

﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ لما ذكر الله حال الذين تخلفوا عن الجهاد عن قصد وأنهم تمردوا في النفاق، ذكر حال الذين تخلفوا عنه كسلاً وتهاوناً مع إيمانهم بوجوبه فقال جل ذكره ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ أي: أقروا بخطيئتهم في تهاونهم في الجهاد وقيل: إنها نزلت في أبي لبابة الأنصاري وجماعة معه كانوا عشرة فلما نزلت الآيات في شأن المنافقين المتخلفين ربطوا أنفسهم في سواري المسجد، وحلفوا ألا يحلها إلا رسول الله ﷺ. فلما رجع رسول الله دخل المسجد فصلى فرآهم مربوطين فسأل عنهم فذكروا له أنهم أقسموا ألا يحلوا أنفسهم حتى يكون رسول الله هو الذي يحلهم فقال: **(وأنا أقسم ألا أحلهم حتى أؤمر فيهم)** فنزلت هذه الآية فأطلقهم(٢).

﴿خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ المراد به إيمانهم وما كان لهم من سابق

---

(١) تفسير البغوي ص٥٧٩، وزاد المسير لابن الجوزي ص٦٠٣ .

(٢) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٤٣١-٤٣٢، وتفسير البغوي ص٥٧٩-٥٨٠، وزاد المسير لابن الجوزي ص٦٠٣ .

الجهاد مع ندمهم وتوبتهم واعترافهم بذنبهم. ﴿وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ أي: بتخلفهم عن الجهاد في غزوة تبوك ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ إعلام من الله بأنه تاب عليهم. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ غفور للتائبين من عباده رحيم بهم.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأنه لا يعلم السرائر إلا الله عز وجل. تقرير أن الاعتراف بالذنب فضيلة ومدعاة لغفران الله بعد التوبة منه. ومن الأحكام: أن من خلط عملا صالحاً وآخر سيئاً حري بأن الله يغفر له، ويتجاوز عن سيئ عمله بفضل صالحه.

﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾

بيان الآيتين:

لما تاب الله على أبي لبابة ومن معه وحل رسول الله ﷺ وثاقهم قالوا يارسول الله: هذه أموالنا التى خلفتنا عن الجهاد معك فتصدق بها عنا فقال عليه الصلاة والسلام: **(ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئاً)**

فنزلت هذه الآية ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ﴾[١] هذا أمر لرسول الله ﷺ أن يأخذ من أموال هؤلاء المتخلفين صدقة قيل: إنها الزكاة المفروضة[٢] وقيل: إن هذا خاص بهم حيث أخذ رسول الله ﷺ ثلث أموالهم وليس هذا من الزكاة[٣] ﴿تُطَهِّرُهُمۡ﴾ أي: تنقيهم من ذنوبهم. ﴿وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ أي: تزكيهم بدعائك لهم كما سبق ذكره بأنه عليه الصلاة والسلام كان يدعو لمن يأتي بصدقته. ﴿وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ﴾ أي: ادع لهم. ﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ﴾ أي: إن دعاءك بركة ورحمة لهم ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أي: سميع لإقرارهم بذنبهم واعترافهم بخطيئتهم في عدم الخروج؛ عليم بما فعلوا من دفع الصدقة وقلوبهم مطمئنة بالإيمان وتوبتهم إلى الله.

﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ﴾ قيل: إن المتخلفين عن الجهاد ممن لم يتوبوا قالوا عن الذين تاب الله عليهم: ما بال هؤلاء كانوا معنا لا يكلمهم ولا يجالسهم أحد واليوم صار لهم ميزة علينا فقال الله رداً عليهم ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ﴾. وقوله ﴿هُوَ﴾ تقرير وتوكيد أنه هو الذي يقبل التوبة وليس أحد غيره. ﴿وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ أي: أنه هو الذي

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٤٣٢، وزاد المسير لابن الجوزي ص٦٠٤.

(٢) زاد المسير ص٦٠٤.

(٣) زاد المسير ص٦٠٤.

يأخذها ويجزي عليها وليست الصدقة لرسوله، وإنما هو واسطة لأخذها وفي هذا دليل على استمرار دفع الزكاة بعد وفاة رسول الله ﷺ بوصفها ركناً من أركان الإسلام، وليست مربوطة بحياته كما جهل ذلك المانعون لها.

وفي هذا قال رسول الله ﷺ: (**إن الله يقبل الصدقات ويأخذها بيمينه فيربيها لأحدكم كما يربي أحدكم مهره أو فَلُوَّه أو فصيله حتى إن اللقمة تصير مثل أحد**)[1]. وقال عليه الصلاة وأزكى السلام: (**منْ يتصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فَلُوَّه حتى تكون مثل الجبل**)[2]. ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ هذا من صفاته العلية أنه يقبل من عباده التوبة ويتوب عليهم .

أحكام ومسائل الآيتين:

لما قال الله تعالى خذ من أموالهم صدقة أوحى ظاهر الحكم أن يكون هذا خاصاً به في حياته؛ فلهذا تعلق بهذا الفهم الذين منعوا الزكاة لما توفي رسول الله ﷺ وقالوا: إنه كان يعوضنا عن الزكاة التي ندفعها بالتطهير والتزكية والصلاة علينا، وهذا فقدناه من

(١) أخرجه أحمد في المسند ج٢ ص٤٧١، والترمذي في كتاب الزكاة، باب ما جاء في فضل الصدقة، برقم (٦٦٢)، سنن الترمذي ج٣ ص٥٠ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب الصدقة من كسب طيب، برقم (١٤١٠)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٣ ص٣٢٦ .

غيره وقد أشكل أمرهم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين أشار على أبي بكر بقبول الصلاة منهم وترك الزكاة حتى يتعهد الأمر ويظهر أمر الله ويسكن الخلاف؛ فلم يكن ذلك مقبولاً من أبي بكر فقال: «والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه» فقال عمر: فوالله ماهو إلا أن شرح الله صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق[1]. ومن الأحكام: أن من تاب من ذنوبه عليه أن يعقب ذلك بأعمال الخير.

﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٠٥) وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٠٦)﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ هذا أمر الله لرسوله محمد ﷺ أن يقول لهؤلاء الذين تابوا وأخلصوا توبتهم وللعموم: اعملوا فإن عملكم لا يخفى على الله ولا على رسوله ولا على المؤمنين. ﴿وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ أي: سوف

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن النبي ﷺ، برقم (٧٢٨٤-٧٢٨٥)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١٣ ص٢٦٤ .

ترجعون إلى الله الذي يعلم الغيب ولاتخفى عليه خافية ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: سوف تجدون ما عملتم في صحائفكم.

﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ﴾ هم: كعب بن مالك وهلال بن أمية الواقفي ومرارة بن الربيع وقيل: ابن ربعي العمْري هؤلاء الثلاثة -كما سيأتي- قعدوا عن الجهاد من ضمن آخرين في غزوة تبوك لا كفراً ونفاقاً وإنما تهاوناً وتغليباً للراحة فقسم منهم ربطوا أنفسهم في سواري مسجد رسول الله ﷺ كما ذكر عما فعل أبولبابة حتى نزلت توبتهم. وهؤلاء الثلاثة لم يفعلوا ذلك فارجئت توبتهم. ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: أنهم تحت مشيئته فإن شاء عذبهم جزاء تخلفهم وإن شاء عفى عنهم. ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ أي: يعلم من هو مستحق للعقوبة، ومن هو مستحق للعفو وهو حكيم في تدبيره وتصرفه في خلقه جلت قدرته وتقدست أسماؤه.

أحكام ومسائل الآيتين:

يجب على العبد إذا تاب من ذنبه أن يستمر في عمل الصالحات كالبر والصدقة وبذل المعروف وكف الأذى. كما يجب عليه أن يجعل رجاءه في الله وخشيته منه، وأن يعرف أنه تحت مشيئته.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ

أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾

بيان الآيتين:

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا﴾ قيل: في سبب نزول هذه الآية إنه كان بالمدينة قبل قدوم رسول الله ﷺ إليها رجل من الخزرج يقال له أبوعامر الراهب وكان قد تنصر في الجاهلية وقرأ علم أهل الكتاب وله شرف في الخزرج، فلما قدم رسول الله ﷺ مهاجراً إلى المدينة اجتمع المسلمون عليه. ولما أظهر الله رسوله يوم بدر شرق المذكور بريقه وبارز بالعداوة وظاهر بها وخرج فاراً إلى كفار مكة يمالئهم على حرب رسول الله ﷺ فاجتمعوا بمن وافقهم من أحياء العرب. ولما كان عام أحد وكان من أمر المسلمين ماكان وحفر هذا الفاسق حفائر فيما بين الصفين فوقع في إحداهن رسول الله ﷺ، وأصيب ذلك اليوم وجرح وجهه وكسرت رباعيته اليمنى السفلى وشج رأسه صلوات الله وسلامه عليه، وتقدم أبو عامر هذا في أول المبارزة إلى قومه من الأنصار فخاطبهم واستمالهم إلى نصره وموافقته فلما عرفوا كلامه قالوا: لا أنعم الله بك عيناً يا فاسق ياعدو الله، ونالوا منه وسبوه فرجع وهو يقول: والله

لقد أصاب قومي بعدي شر. وكان رسول الله ﷺ قد دعاه إلى الله قبل فراره وقرأ عليه من القرآن فأبى أن يسلم وتمرد فدعا عليه رسول الله ﷺ أن يموت بعيداً طريداً فنالته هذه الدعوة. وذلك أنه لما فرغ الناس من أحد ورأى أمر الرسول ﷺ في ارتفاع وظهور ذهب إلى هرقل ملك الروم يستنصره على النبي ﷺ فوعده ومنَّاه وأقام عنده وكتب إلى جماعة من قومه من الأنصار من أهل النفاق والريب يعدهم ويمنِّيهم أنه سيقدم بجيش يقاتل به رسول الله ﷺ ويغلبه ويرده عما هو فيه وأمرهم أن يتخذوا لهم معقلاً يقدم عليهم فيه من يقدم من عنده لأداء كتبه ويكون مرصداً له إذا قدم عليهم بعد ذلك، فشرعوا في بناء مسجد مجاور لمسجد قباء فبنوه وأحكموه وفرغوا منه قبل خروج رسول الله ﷺ إلى تبوك. وجاؤوا فسألوا رسول الله أن يأتي إليهم فيصلي في مسجدهم ليحتجوا بصلاته فيه على تقريره وإثباته، وذكروا أنهم إنما بنوه للضعفاء منهم وأهل العلة في الليلة الشاتية فعصمه الله من الصلاة فيه فقال: **(إنا على سفر ولكن إذا رجعنا إن شاء الله)**. فلما قفل عليه السلام راجعاً إلى المدينة من تبوك ولم يبق بينه وبين المدينة إلا يوم أو بعض يوم نزل عليه جبريل يخبره عن مسجد الضرار وما اعتمده بانوه من الكفر، والتفريق بين جماعة المؤمنين في مسجدهم

مسجد قباء الذي أسس من أول يوم على التقوى فبعث رسول الله ﷺ إلى ذلك المسجد من هدمه قبل مقدمه إلى المدينة[١].

قوله ﴿ضِرَارًا﴾ المراد به الإضرار أي: ضراراً بالمسجد. أما المسجد فليس له ضرار ﴿وَكُفْرًا﴾ أي: يراد بالمسجد النفاق وليس المراد به وجه الله. ﴿وَتَفْرِيقًا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: المراد منه التفريق بين المؤمنين الذين كانوا مجتمعين في مسجد قباء. ﴿وَإِرْصَادًا﴾ أي: جعلوه مرصداً. ﴿لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ﴾ وهو أبوعامر الراهب حيث بنوه وهيؤوه ليصلي فيه بعدما يعود إلى المدينة مستنجداً بهرقل كما كان يعد أتباعه من المنافقين ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ﴾ المراد به قولهم ما أردنا به إلا الحسنى كما قالوا أنهم مابنوه إلا لأجل الضعفاء وأهل العلة في الليلة الشاتية ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ أي: يعلم أنهم كاذبون فيما قالوه وإنما كان مبتغاهم النفاق والتربص لما وعدهم به المنافق أبو عامر الراهب.

﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ أي: لا تُصلِّ يا محمد في هذا المسجد أنت ومنْ معك من المؤمنين؛ وكان عليه الصلاة والسلام لا يمر بالطريق التي فيها المسجد بل أمر بموضعه أن يتخذ مزبلة ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٢ ص٣٧٠-٣٧١، والبداية والنهاية لابن كثير ج٥ ص١٩-٢٤.

﴿عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ أي: أن المسجد الذي أسست قواعده وجدره وكل بنائه من أجل عبادة الله وطاعته من أول يوم أسس فيه ﴿أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾ أي: تصلي وتعبد الله فيه. وقيل: المراد به مسجد قباء فإنه من أول يوم بُنِيَ أسس على التقوى. وقيل: إن المراد هو مسجد رسول الله ﷺ ولعل القول الأول أصح حيث إن الآية نزلت في مسجد الضرار، وهو المسجد الذي بني بجانب مسجد قباء[١].

﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا﴾ في هذا ثناء من الله على أهل قباء في طهارتهم من النجاسة وقد قال لهم رسول الله ﷺ: (**يا أهل قباء إن الله سبحانه قد أحسن الثناء عليكم في التطهر فما تصنعون؟**) فقالوا: إنا نغسل أثر الغائط والبول بالماء[٢]. ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ أي: يحب الذين يحسنون طهارتهم فيتنزهون عن الأدران والنجاسات.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بهدم كل مسجد بني للضرار، وتفريق المسلمين، وكل صلاة فيه تعد باطلة. وهذا الحكم يقتضي ألا تصلى جماعتان في مسجد واحد، ولا بإمامين منفصلين هذا إذا كان على سبيل الاعتياد.

---

(١) تفسير البغوي ص٥٨٢-٥٨٣، وزاد المسير لابن الجوزي ص٦٠٦.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط، برقم (٩٤٢٣)، ج١٠ ص١٩٤، وأبو داود مختصراً في كتاب الطهارة، باب في الاستنجاء، برقم (٤٤) سنن أبي داود ج١ ص٣١، وتفسير مقاتل بن سليمان ج٢ ص٧١

أما إذا فاتت الصلاة قوماً بعد أن جاؤوا إلى المسجد للصلاة فيه فلا حرج عليهم في اجتماعهم جماعة يؤمهم أحدهم. ومن الأحكام: تقرير فضل التطهر من النجاسات والأدران كما قال تعالى ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾(١). وللطهارة أنواع كثيرة: منها طهارة البدن، وطهارة اللباس، وطهارة المكان الذي تقام فيه الصلاة، هذا بالنسبة للطهارة المادية. أما الطهارة الروحية فهي تطهير النفس من الرذائل بجميع صفاتها، ومن ذلك الكذب والنفاق والغش ونحو ذلك مما يتنافى مع أوامر الله، وأوامر رسوله ونواهيهما.

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠٩) لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١١٠)﴾.

بيان الآيتين:

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾ المراد أن من أسس دينه على تقوى الله وطاعته مخلصاً فيه كحال الذين أسسوا مسجد قباء خير من الذين أسسوا دينهم على قاعدة ضعيفة مثل شفا جرف ضعيف

---

(١) سورة المدثر الآية ٤ .

القوة كحال الذين أسسوا مسجد الضرار. ﴿فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾ أي: كان مصيرهم النار بسبب انهيار قاعدة دينهم التي هي النفاق والعمل الباطل. ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: لا يهدي الذين جاءتهم البراهين فكفروا فهم في بعد عن هداية الله لهم.

﴿لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟﴾ أي: مسجد الضرار ﴿رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ﴾ أي: شكاً ونفاقاً ازدادوا معه نفاقاً وكفراً لما هدمه رسول الله ﷺ. ﴿إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: لا تزال هذه الريبة والنفاق في قلوبهم إلا إذا قطعت إما بقتلهم أو بموتهم. أو يكون المراد أن تقطع قلوبهم مجازاً بعد توبتهم أسفاً وندماً على ما فعلوا من النفاق والضرار ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ أي: عليم بسرائر هؤلاء المنافقين حكيم فيما يفعله بهم.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن الذي يؤسس دينه على تقوى الله هو المؤمن الصادق، وهو في كل الأحوال خير من الذي يؤسس دينه على النفاق والكفر كحال أصحاب مسجد الضرار. ومن الأحكام: أن الظلمة الذين يستمرئون الظلم والنفاق يضلهم الله ويبعدهم عن هدايته. ومنها: أن المنافق يكون دائماً في شك وحيرة وريب من سوء فعله حتى يهلكه الله.

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ

لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ هذه الآية نزلت في بيعة العقبة الكبرى؛ وذلك حين اجتمع إلى رسول الله ﷺ سبعون رجلاً من الأنصار عند العقبة فقال عبدالله بن رواحة لرسول الله ﷺ: اشترط لربك ولنفسك ما شئت فقال عليه الصلاة والسلام: (**أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأشترط لنفسي أن تمنعوني بما تمنعون به أنفسكم وأموالكم**) قالوا: فإذا فعلنا ذلك فمالنا ؟ قال: (**الجنة**) قالوا: ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل فنزلت هذه الآية[1]. وهي وإن نزلت في أصحاب العقبة الكبرى فهي عامة في المجاهدين في كل زمان ومكان.

قوله ﴿يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: يجاهدون في سبيله.

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٤٣٥، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٧ ص٣٥، وتفسير البغوي ص٥٨٣-٥٨٤، وزاد المسير لابن الجوزي ص٦٠٧ .

﴿فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ﴾ المراد أن الجنة للذين يقاتلون في سبيل الله سواء قَتلُوا أو قُتِلُوا فهم في هذه المنزلة سواء. ﴿وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ﴾ هذا بيان من الله عن وعده الجنة للمقاتلين في سبيله، وقد فرضه على نفسه في الكتب التي نزلها على رسله وهي التوراة والإنجيل والقرآن وفي هذا قال رسول الله ﷺ: (**تكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرجه إلا الجهاد في سبيله وتصديق كلماته بأن يدخله الجنة أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من أجر أو غنيمة**)(١). ﴿وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ﴾ أي: لا أحد أوفى بالعهد من الله ﴿فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ﴾ أي: أبشروا ببيعكم الذي بايعتم به رسول الله ﷺ على نصرته ﴿وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ وهو النعيم الذي يحظى فيه المبايعون برضاء الله.

﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ﴾ ولأهل التأويل في هذه الآية قولان: القول الأول: أن قول الله عز وجل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ﴾ آية مستقلة يقع تحت هذه المبايعة كل من قاتل في سبيل الله وإن لم يتصف بالصفات التي ذكرها الله في قوله ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ﴾ القول الثاني: أن هذه الأوصاف

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قوله تعالى ﴿وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ برقم (٧٤٥٧)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١٣ ص٤٥٠ .

التي ذكرها عز وجل في هذه الآية جاءت على معنى الشرط؛ فالآيتان إحداهما مكملة للأخرى ولعل الأصح -والله أعلم- ما قاله الزجاج إن قول الله ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ﴾ رفع بالابتداء وخبره مضمر أي: إن للتائبين العابدين الجنة أيضاً وإن لم يجاهدوا إذا لم يكن منهم قصد إلى ترك الجهاد لأن بعض المسلمين يجزي عن بعض في الجهاد وقد اختار هذا القول أيضاً القشيري[1].

قوله: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾ أي: الذين تابوا مما نهى الله عنه من سائر المعاصي. ﴿ٱلۡعَٰبِدُونَ﴾ هم: الذين يداومون على عبادة الله وطاعته. ﴿ٱلۡحَٰمِدُونَ﴾ أي: الذين يحمدون الله فيما ينالهم من السراء والضراء ﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾ هم الصائمون والمجاهدون في سبيل الله كما قال رسول الله ﷺ **(إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله)**[2]. ﴿ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ﴾ أي: الذين يداومون على ركوعهم وسجودهم في صلاتهم. ﴿ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ أي: الذين يأمرون بعبادة الله وطاعته وينهون عن معاصيه لا تأخذهم في ذلك لومة لائم. ﴿وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ﴾ المراد بهم الذين يقومون طواعية على حفظ حدود الله فيحلون ما أحله ويحرمون ما حرمه قوله

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٢٧١ .

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب في النهي عن السياحة (٢٤٨٦)، سنن أبي داود ج٢ ص٣٣٩ .

﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: بشر يا محمد المؤمنين الذين آمنوا بالله وحكموا شرعه وصدقوا رسوله واتبعوه ونصروه.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير شراء الله لأرواح المؤمنين وأموالهم وقد تعهد في هذا الشراء بأن لهم الجنة اذا قاتلوا في سبيله سواء قَتَلوا أو قُتِلوا. ومن الأحكام: أن هذا الشراء وعد من الله أنزله في كتبه المنزلة، وليس هناك من هو أوفى منه عز وجل بوعده. ومنها: وجوب اتصاف المسلم بالصفات التسع التي ذكرها عز وجل في الآية؛ فهي في مجملها وتفصيلاتها أسس الدين وجماعها حفظ أوامر الله وحدوده. وفيها: تقرير البشرى للمؤمنين الذين يتصفون بهذه الصفات.

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ (١١٣) وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ (١١٤)﴾.

بيان الآيتين:

لما حضرت عم رسول الله ﷺ أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أمية بن المغيرة فقال عليه الصلاة والسلام: (**يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله**) فقال

أبوجهل وعبد الله بن أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبدالمطلب فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعيد له تلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: إنه على ملة عبدالمطلب وامتنع أن يقول لا إلَه إلا الله فقال رسول الله ﷺ: (**أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك**) فأنزل هذه الآية ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ﴾[1] وأنزل في أبي طالب قوله عز وجل ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾[2].

وروى سليمان بن بريدة عن أبيه أن رسول الله ﷺ لما فتح مكة زار قبر أمه آمنة بالأبواء فجلس إليه وجعل يخاطب ثم قام مستعبراً فقلنا يا رسول الله: إنا رأينا ما صنعت قال: (**سألت ربي أن يأذن لي في زيارة قبر أمي فأذن لي فسألته أن يأذن لي فأستغفر لها فأبى**) فما رئي باكياً أكثر من يومئذٍ[3]. ﴿وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ﴾ أي: ما كان للنبي ولا للمؤمنين أن يستغفروا للمشركين، ولو كانوا أهليهم، أو ذوي قربى لهم ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ أي: بعد أن يتبين لهم أنهم ماتوا على الشرك والضلال.

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٤٣٥-٤٣٦ .

(٢) تفسير البغوي ص٩٨٤، والآية في سورة القصص من الآية ٥٦.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ج٥ ص٣٥٩، بدون ذكر (فما رؤي باكياً أكثر من يومئذٍ)، وذكره الطبري في جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٧ ص٤٢ .

﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ ﴾ كان بعض المؤمنين من الصحابة يستغفر لمن مات من أبويه على الشرك ويحتجون بأن نبي الله إبراهيم استغفر لأبيه وهو عابد للأوثان فأنزل الله هذه الآية ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ ﴾ أي: لا حجة لكم أيها المستغفرون لآبائكم المشركين باستغفار إبراهيم لأبيه لأنه وعده أن يستغفر له وأصله قوله تعالى ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴾[١]. ﴿إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ ﴾ فلما مات على الشرك تبرأ منه فلم يستغفر له وقيل: إن أباه هو الذي وعده إن استغفر له آمن فلما تبين لإبراهيم عداوة أبيه لله بموته على الكفر ترك الدعاء له[٢]. ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ ﴾ أي: كثير الدعاء إلى الله ﴿حَلِيمٌ ﴾ أي: إن صفته الحلم ورد الغضب وترك الجدل.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن من مات مشركاً بالله يحرم الاستغفار له لأن أي عمل يعمله المشرك بنفسه يعد باطلاً، وهذا يقتضى أن أي عمل له من غيره يعد باطلاً من باب أولى. الحكم أيضاً بوجوب الوفاء بالعهد فإن إبراهيم عليه السلام استغفر لأبيه قبل أن يعلم عن حاله فلما علم تبرأ من الاستغفار له.

---

(١) سورة مريم من الآية ٤٧ .

(٢) زاد المسير ص٦٠٩، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٧ ص٤١ .

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾ ﴾

بيان الآيتين:

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ ﴾ الآية. المراد أن من حكمة الله وعدله ألا يظلم أحداً؛ فما كان عز وجل ليضل أقواماً بعد هداهم حتى يبيِّن لهم ما يجب عليهم من التقوى فإذا تركوا ما يجب عليهم استحقوا الاضلال عقوبة لهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾أي: لا يضل إلا من يستحق الاضلال لأنه يعلم سرائر عباده. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ﴾ أي: له كل ما في السموات والأرض يتصرف فيه فيهدي من يشاء من عباده ويضل من يشاء منهم، ويحييهم ويميتهم وذلك بعلمه وحكمته فهو أعلم بهم ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ أي: ليس لأحد ولي ولا نصير إذا تخلى الله عن ولايته ونصره.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن من عدل الله وحكمته أن يبيِّن لعباده طريق الهدى وطريق الضلال. تقرير أنه لا يضل أحداً إلا إذا بيَّن له ما يجب

عليه. ومن الأحكام: أنه ليس للعبد ولي يواليه أو نصير يناصره من دون الله، فاقتضى هذا وجوب موالاة الله وذلك بتوحيده وطاعته واجتناب معاصيه.

﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ﴾ المراد بالتوبة على النبي كانت من أجل إذنه للمنافقين في القعود عن غزوة تبوك كما قال تعالى ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾[1]. والتوبة على المهاجرين والأنصار قيل: إنها التوبة من ميل بعضهم إلى التخلف عن الغزوة. ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ ﴾ المراد به خروجهم

(١) سورة التوبة الآية ٤٣ .

إلى الغزوة في وقت كان شديد الحرارة، وصعوبة الزاد، وقلة الماء. وفي هذا قال عمر رضي الله عنه لما سئل عن ساعة العسرة: خرجنا في قيظ شديد فنزلنا منزلاً أصابنا فيه عطش شديد حتى ظننا أن رقابنا تنقطع من العطش، وحتى إن الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل مابقي على كبده فقال أبوبكر: يارسول الله إن الله قد عَوَّدَك في الدعاء خيراً فادع لنا قال: (**أتحب ذلك؟**) قال: نعم فرفع يديه فلم يرجعهما حتى مالت السماء فأظلت ثم سكبت فملؤوا مامعهم ثم رجعنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر[1].

كما روى أبوهريرة وأبوسعيد قالا: كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك فأصاب الناس مجاعة وقالوا: يا رسول الله لو أذنت لنا فنحرنا نواضحنا فأكلنا وادهنا فقال رسول الله ﷺ: (**افعلوا**) فجاء عمر فقال: يارسول الله إن فعلت قل الظهر ولكن ادعهم بفضل أزوادهم ثم ادع الله لهم عليها بالبركة لعل الله أن يجعل في ذلك البركة فقال: (**نعم**) قال: فدعا بنطع فبسطه ثم دعا بفضل أزوادهم قال: فجعل الرجل يجيء بكف ذرة قال: ويجيء الآخر بكف تمر قال: ويجيء الآخر بكسرة حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير فدعا رسول الله ﷺ بالبركة ثم قال: (**خذوا في أوعيتكم**) قال: فأخذوا في أوعيتهم حتى

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٨ ص٥٥، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٢ ص٣٧٨-٣٧٩.

ما تركوا في العسكر وعاء إلا ملؤوه قال: وأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة فقال رسول الله ﷺ: **(أشهد ألا إلَه إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاكّ فيحجب عن الجنة)**[(١)].

قوله ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنۡهُمۡ﴾ المراد من بعدما هَمَّ بعضهم بالتخلف عن دعوة رسول الله ﷺ لهم بالغزو لتبوك. ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ أي: هداهم للتوبة مما فعلوا فتابوا. ﴿إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ أي: إن من صفاته العلية الرأفة بعباده ورحمتهم .

﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ الذين تخلفوا عن غزوة تبوك كانوا ثلاث طوائف: طائفة لم تقبل توبتهم، وطائفة اعتذرت فقبل عذرهم -كما مر ذكره- وطائفة أرجئ الحكم فيهم حتى نزل فيهم القرآن وهم -كما سبق ذكره- ثلاثة كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية الواقفي.

وقد روى عبد الله بن كعب أنه سمع أباه كعب بن مالك وكان قائده حين عمي قال: سمعت كعب بن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك؟ قال كعب بن مالك: لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها قط إلا في غزوة تبوك

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، برقم (٢٧)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١ ص٥٤٩-٥٥٠ .

غير أني قد تخلفت في غزوة بدر ولم يُعاتب أحداً تخلف عنه. إنما خرج رسول الله ﷺ والمسلمون يريدون عير قريش. حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد. ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة حين تواثقنا على الإسلام، وما أُحِب أن لي بها مشهد بدر وإن كانت بدر أذكر في الناس منها. وكان من خبري، حين تخلفت عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة. والله ما جمعت قبلها راحلتين قط، حتى جمعتهما في تلك الغزوة فغزاها رسول الله ﷺ في حر شديد. واستقبل سفراً بعيداً ومفازاً واستقبل عدواً كثيراً فجلا للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم فأخبرهم بوجههم الذي يريد. والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير ولا يجمعهم كتاب حافظ (يريد بذلك الديوان). قال كعب: فَقَلَّ رجل يريد أن يتغيب، يظن أن ذلك سيخفى له، مالم ينزل فيه وحي من الله عز وجل. وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال فأنا إليها أصعر[1]. فتجهز رسول الله والمسلمون معه وطفقت أغدو لكي أتجهز معهم. فأرجع ولم أقض شيئا وأقول في نفسي: أنا قادر على ذلك، إذا أردت فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى استمر بالناس الجد فأصبح رسول الله ﷺ غادياً والمسلمون معه. ولم أقض من جهازي شيئاً ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيئاً. فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى أسرعوا

---

(١) أي: أميل.

وتفارط الغزو. فهممت أن أرتحل فأدركهم. فياليتني فعلت ثم لم يُقدَّر ذلك لي. فطفقت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ يحزنني أني لا أرى لي أسوة إلا رجلاً مغموصاً عليه في النفاق أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء. ولم يذكرني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوكاً فقال وهو جالس في القوم بـ«تبوك»: (**ما فعل كعب بن مالك؟**) قال رجل من بني سلمة: يا رسول الله! حبسه برداه والنظر في عطفيه. فقال له معاذ بن جبل: بئس ما قلت. والله يا رسول الله! ما علمنا عليه إلا خيراً. فسكت رسول الله ﷺ. فبينما هو على ذلك رأى رجلاً مبيضاً يزول به السراب فقال رسول الله ﷺ: (**كن أبا خيثمة**)، فإذا هو أبو خيثمة الأنصاري. وهو الذي تصدق بصاع التمر حين لمزه المنافقون.

فقال كعب بن مالك: فلما بلغني أن رسول الله ﷺ قد توجه قافلاً من تبوك، حضرني بثِّي فطفقت أتذكر الكذب وأقول: بم أخرج من سخطه غداً ؟ وأستعين على ذلك كل ذي رأي من أهلي. فلما قيل لي: إن رسول الله ﷺ قد أظل قادماً، زاح عني الباطل. حتى عرفت أني لن أنجو منه بشيء أبداً، فأجمعت صِدْقَهُ. وصبَّح رسول الله ﷺ قادماً. وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين. ثم جلس للناس فلما فعل ذلك جاءه المُخلَّفون فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له. وكانوا بضعة وثمانين رجلاً. فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم، ووكل

سرائرهم إلى الله. حتى جئت فلما سلمت تبسم تبسم المغضَب ثم قال: تعال. فجئت أمشي حتى جلست بين يديه فقال لي: (**ما خلفك؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟**) قال: قلت: يا رسول الله إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر. ولقد أعطيت جدلاً ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذِب ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخِطك عليّ. ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه إني لأرجو فيه عقبى الله والله ما كان لي عذر، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك. قال رسول الله ﷺ: (**أما هذا، فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك**). فقمت وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني فقالوا لي: والله ما علمناك أذنبت ذنبا قبل هذا لقد عجزت في أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر به إليه المخلفون، فقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله لك.

قال: فوالله ما زالوا يؤنبونني حتى أردت أن أرجع إلى رسول الله ﷺ فأكذب نفسي. قال: ثم قلت لهم: هل لقي هذا معي من أحد؟ قالوا: نعم لقيه معك رجلان قالا: مثل ما قلت، فقيل لهما: مثل ما قيل لك قال: قلت: من هما ؟ قالوا: مرارة بن الربيع العامري، وهلال بن أمية الواقفي. قال: فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرا، فيهما أسوة. قال: فمضيت حين ذكروهما لي.

قال: ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا، أيها الثلاثة، من بين من تخلف عنه.

قال: فاجتنبنا الناس وقال: تغيروا لنا حتى تنكرت لي في نفسي الأرض، فما هي بالأرض التي أعرف. فلبثنا على ذلك خمسين ليلة. فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان. وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم. فكنت أخرج فأشهد الصلاة وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد. وآتي رسول الله ﷺ فأسلم عليه، وهو في مجلسه بعد الصلاة فأقول في نفسي: هل حرك شفتيه بردّ السلام، أم لا ؟ ثم أصلي قريباً منه وأسارقه النظر. فإذا أقبلت على صلاتي نظر إلي، وإذا التفتُّ نحوه أعرض عني. حتى إذا طال ذلك علي من جفوة المسلمين، مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة - وهو ابن عمي، وأحب الناس إلي - فسلمت عليه. فوالله ما رد علي السلام. فقلت له: يا أبا قتادة أنشدك بالله هل تعلمن أني أحب الله ورسوله؟ قال: فسكت. فعدت فناشدته فسكت فعدت فناشدته فقال: الله ورسوله أعلم. ففاضت عيناي وتوليت حتى تسورت الجدار.

فبينما أنا أمشي في سوق المدينة، إذا نبطي من نبط أهل الشام، ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة. يقول: من يدل على كعب بن مالك. قال: فطفق الناس يشيرون له إلي، حتى جاءني فدفع إلي كتاباً من ملك غسَّان. وكنت كاتباً، فقرأته فإذا فيه: أما بعد. قد بلغنا أن

صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة، فالحق بنا نواسك. قال: فقلت حين قرأتها: وهذه أيضاً من البلاء. فتيامت بها التنور فسجرتها بها. حتى إذا مضت أربعون من الخمسين، واستلبث الوحي، إذا رسول رسول الله ﷺ يأتيني. فقال: إن رسول الله يأمرك أن تعتزل امرأتك. قال: فقلت: أطلقها أم ماذا أفعل ؟ قال: لا، بل اعتزلها فلا تقربنها. قال: فأرسل إلى صاحبي بمثل ذلك. قال: فقلت لامرأتي: الحقي بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر. قال: فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله ﷺ فقالت له: يا رسول الله ! إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم. فهل تكره أن أخدمه؟ قال: (**لا. ولكن لا يقربنك**) فقالت: إنه والله ما به حركة إلى شيء، ووالله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان. إلى يومه هذا.

قال: فقال لي بعض أهلي: لو استأذنت رسول الله ﷺ في امرأتك، فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه. قال: قلت: لا أستأذن فيها رسول الله ﷺ. وما يدريني ماذا يقول رسول الله ﷺ، إذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب. قال: فلبثت بذلك عشر ليال. فكمل لنا خمسون ليلة من حين نُهي عن كلامنا. قال: ثم صليت صلاة الفجر صباح خمسين ليلة، على ظهر بيت من بيوتنا. فبينا أنا جالس على الحالة التي ذكر الله عز وجل منا، قد ضاقت علي نفسي وضاقت علي الأرض بما رحبت، سمعت صوت صارخ أوفى على سلع يقول بأعلى صوته: ياكعب

ابن مالك أبشر. قال: فخررت ساجداً، وعرفت أن قد جاء فرج.

قال: فآذن رسول الله ﷺ الناس بتوبة الله علينا، حين صلى صلاة الفجر. فذهب الناس يبشروننا، فذهب قِبَلَ صاحبي مبشرون، وركض رجل إلي فرسا. وسعى ساع من أسلم قِبَلي، وأوفى الجبل، فكان الصوت أسرع من الفرس. فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني، فنزعت له ثوبي فكسوتهما إياه ببشارته، والله ما أملك غيرهما يومئذ. واستعرت ثوبين فلبستهما، فانطلقت أتأمم رسول الله ﷺ يتلقاني الناس فوجاً فوجاً يهنئوني بالتوبة ويقولون: لتهنئك توبة الله عليك، حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله ﷺ جالس في المسجد، وحوله الناس، فقام طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني والله، ما قام رجل من المهاجرين غيره. قال: فكان كعب لا ينساها لطلحة.

قال كعب: فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال، وهو يبرق وجهه من السرور ويقول: (**أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك**) قال: فقلت: أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله؟ فقال: (**لا، بل من عند الله**) وكان رسول الله ﷺ إذا سُرّ استنار وجهه، كأن وجهه قطعة قمر. قال: وكنا نعرف ذلك.

قال: فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ:

(**أمسك بعض مالك، فهو خير لك**) قال: فقلت: فإني أمسك سهمي الذي بـ«خيبر». قال: وقلت: يا رسول الله! إن الله إنما أنجاني بالصدق. وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقا ما بقيت. قال: فوالله ما علمت أن أحداً من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا، أحسن مما أبلاني الله به. والله! ما تعمدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا. وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي.

قال: فأنزل الله عز وجل ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1]. ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾[2] حتى بلغ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[3].

قال كعب: والله ما أنعم الله علي من نعمة قط بعد إذ هداني الله للإسلام، أعظم في نفسي من صدقي رسول الله ﷺ أن لا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوا. إن الله قال للذين كذبوا حين

---

(١) سورة التوبة الآية ١١٧ .

(٢) سورة التوبة من الآية ١١٨ .

(٣) سورة التوبة الآية ١١٩ .

أنزل الوحي شر ما قال لأحد وقال الله: ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾[1]. ﴿ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[2]،[3].

قال كعب: كنا خُلِّفنا، أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قَبِلَ منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم. وأرجأ رسول الله ﷺ أمرنا حتى قضى الله فيه. فبذلك قال الله عز وجل ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ ﴾ وليس الذي ذكر الله مما خَلَّفنا تخلُّفنا عن الغزو. وإنما هو تخليفه إيانا، وإرجاؤه أمرنا، عمّن حلف له، واعتذر إليه فقبل منه[4].

---

(١) سورة التوبة الآية ٩٥.

(٢) سورة التوبة الآية ٩٦.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي، ج١١ ص٦٩٠٠-٦٩٠٧، كتاب التوبة، حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه، برقم (٢٧٦٩).

(٤) أخرجه البخاري ج٥ ص٤٥٤، كتاب الوصايا، باب إذا تصدق أو وقف بعض رقيقه، برقم (٢٧٥٧)، وفي الجهاد وفي المناقب وفي المغازي وفي التفسير وفي الاستئذان وفي الأحكام وفي النذور والأيمان، وأطراف الحديث في الأحاديث (٢٩٤٧، ٢٩٤٨، ٢٩٤٩، ٢٩٥٠، ٣٠٨٨، ٣٥٥٦، ٣٨٨٩، ٣٩٥١، ٤٤١٨، ٤٦٧٣، ٤٦٧٧، ٤٦٧٨، ٦٢٥٥، ٦٦٩٠، ٧٢٢٥؛ مطولاً ومختصراً، وأبو داود ج٢ ص٢٦٢، كتاب الطلاق، باب فيما عنى به الطلاق والنيات برقم (٢٢٠٢)، والنسائي ج٦ ص١٥٢-١٥٣، كتاب الطلاق، باب الحقي بأهلك، برقم (٣٤٢٢)، وفي الكبرى ج١ ص٢٦٦، كتاب المساجد، باب الرخصة في الجلوس فيه والخروج منه بغير صلاة، برقم (٨١٠).

قلت: لقد تم نقل هذا الحديث بكامله لما فيه من العبر الكثيرة.

ومنها: وجوب طاعة رسول الله ﷺ وعدم الإعراض عن أوامره.

ومنها: وجوب طاعة ولي الأمر فيما يأمر به من طاعة الله كالجهاد.

ومنها: تقرير رحمة الله بعباده وتجاوزه عن سيئاتهم وخطيئاتهم إذا تابوا إليه واستغفروه.

قوله ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ هذا مجاز والمراد أن الأرض على سعتها ضاقت عليهم لما عانوه من وحدتهم ووحشتهم لأن الناس لا يكلمونهم ولا يعاملونهم. ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾ أي: ساءت نفوسهم بما أصابهم من الهم والحزن والكآبة وهم ينتظرون ماينزل من السماء مما يكون فيه عدم قبول توبتهم. ﴿وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ﴾ أي: أيقنوا أنه لاملاذ يلوذون به ولا ملجأ يلجؤون إليه إلا الله فتوجهوا إليه يرجونه قبول توبتهم فتاب عليهم بقوله عز ذكره ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ أي: هداهم للتوبة مما فعلوا فتابوا وهو التواب على من تاب من عباده الرحيم بهم من العذاب.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ بعد أن ذكر الله جل ذكره توبته على هؤلاء الثلاثة الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، وما حدث لهم من الهم والغم طيلة خمسين يوماً التجؤوا فيها

إلى الله حتى فرج عنهم بسبب صبرهم وصدقهم معه ومع رسول الله ﷺ كما قال كعب بن مالك: والله ما كان لي عذر وما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت. بعد هذا أمر الله عباده أن يتقوه ويصدقوا في أقوالهم وأفعالهم. وفي ذلك قال رسول الله ﷺ: (**عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صدّيقاً. وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً**)(١) .

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأنه يجوز لولي الأمر اتخاذ الأدب بحق شخص أو أشخاص لما يرى في ذلك من المصلحة كما فعل رسول الله ﷺ مع كعب بن مالك وأصحابه. ومن الأحكام: تقرير ما حدث للمؤمنين في غزوة تبوك وقد سميت غزوة العسرة لما حصل فيها من الضيق والشدة. وقد ثبَّت الله المؤمنين فصبروا على ما أصابهم وأنزل عليهم السكينة. ومنها: تقرير فضل رسول الله ﷺ حيث دعا الله فاستجاب له فأنزل المطر في ساحة الجيش كما استجاب لدعائه فأنزل البركة في طعام المؤمنين. ومنها: تقرير فضل كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية وذلك

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، برقم (٦٠٧)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١٠ ص٦٦٣٦-٦٦٣٧ .

بسبب صدقهم في توبتهم. ومنها: وجوب الصدق في القول والعمل، وتحريم الكذب سواء كان هزلاً أو جداً.

﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ ﴾ لما كان أهل المدينة ومن حولهم من البادية كجهينة وأسلم وغفار وأشجع هم أقرب الناس إلى رسول الله ﷺ من حيث المكان أمرهم الله بالاستجابة له إذا دعاهم للنفير. والمعنى أنه ليس لهم أن يتخلفوا عنه إذا دعاهم، وهذا أمر يقتضي في معناه التكليف وإن كان ظاهره الخبر ﴿ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ﴾ أي: ليس لهم أن يخلدوا إلى الراحة بينما هو في الشدة يجاهد من أجل دين الله، وفي هذا تعريض بالذين فضلوا القعود في المدينة بسبب فصل الصيف

الذي حصل فيه الغزو ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾ أي: عطش ﴿وَلَا نَصَبٌ﴾ أي: تعب ﴿وَلَا مَخْمَصَةٌ﴾ أي: مجاعة ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: في طريقهم إلى الجهاد. ﴿وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ﴾ أي: لا يطئون أرضاً من أجل إعزاز دين الله وإغاظة الكفار. ﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا﴾ أي: وما يصيبون به العدو من قتل أو جراح. ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ﴾ أي: كتب الله لهم بكل خطوة عمل صالح ينفعهم في آخرتهم. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ تقرير وتوكيد من الله لكون ما يعمله المؤمنون في سبيله محفوظاً لهم يجدونه عنده يوم القيامة. ﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ أي: ما ينفقونه من أموالهم في الجهاد من نفقة قليلة أو كثيرة -كما فعل عثمان رضي الله عنه في تجهيز جيش العسرة- إلا كتب لهم ذلك. ﴿وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾ أي: في ذهابهم للجهاد أو إيابهم منه. ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ﴾ أي: ادخر الله لهم به عمل صالح. ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ أي: ليجزيهم على أعمالهم تلك جزاء أحسن أعمالهم.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن على المسلم أن يؤثر رسول الله ﷺ على نفسه، وهذا يقتضى الدفاع عنه في حياته وعن سنته في مماته. وعلى المسلم أن يعادي من يعاديه ويبغض من يبغضه فإن قصر في ذلك حسب

استطاعته أثم إثماً كبيراً.

قلت: وفي هذا الزمان الذي كثر فيه العداء للإسلام والاستهزاء برسول الله ﷺ في بعض وسائل الإعلام يجب على المسلمين الدفاع عنه بما يقدرون عليه، وهذا الواجب لا يقتصر على بعضهم بل هو واجب عليهم كلهم تعبر عنه دولهم وحكوماتهم ومنظماتهم؛ فإن قصروا في ذلك أثموا إثما عظيماً.

ومن الأحكام: أن كل خطوة يخطوها المجاهد في سبيل الله يكتب له عمل صالح ينفعه يوم القيامة.

﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾.

بيان الآية:

﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً﴾ أي: ما كان للمؤمنين أن ينفروا كلهم للجهاد؛ ذلك أنهم لو نفروا كلهم لفقدوا كثيراً من المصالح التي تهمهم في دينهم ودنياهم؛ فاقتضى هذا أن الجهاد فرض كفاية ويرتب الخروج له ولي الأمر. ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾ المراد أن ينفر طائفة -أي: جماعة- من قبيلة أو بلد إلى الجهاد. قوله ﴿لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ﴾ المراد أن من يقعد بعد الذين خرجوا للجهاد عليه أن يتفقه في الدين لكي ينذر قومه إذا رجع إليهم

فيحذرهم من الشرك ويعلمهم أحكام دين الله، وبهذا تتوازن المصالح جماعات يخرجون للقتال في سبيل الله، وجماعات يتفقهون في دين الله؛ فيتحقق للمسلمين نصر في القتال، ونصر في محاربة الجهل.

أحكام ومسائل الآية:

الحكم بالتساوي بين الجهاد والعلم من حيث المنزلة والفضل. التقرير بأن حاجة الأمة إلى العلم لا تنفك عن حاجتها للجهاد، وهذا يقتضي شرف طلب العلم. والأصل فيه قول الله تعالى ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾[1]، وقوله ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2]، وكذا قول رسول الله ﷺ: **(طلب العلم فريضة على كل مسلم)**[3]، وقوله عليه الصلاة والسلام: **(من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظ وافر)**[4].

(١) سورة فاطر من الآية ٢٨ .

(٢) سورة الزمر من الآية ٩ .

(٣) أخرجه ابن ماجة في المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، برقم (٢٢٤)، سنن ابن ماجة ج١ ص٨١ .

(٤) أخرجه أبو داود في كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم، برقم (٣٦٤١)، سنن أبي داود ج٣ ص٣١٣، وابن ماجة في المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، برقم (٢٢٣)، سنن ابن ماجة ج١ ص٨١، وأحمد في المسند ج٥ ص١٩٦ .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٢٣﴾.

بيان الآية:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ﴾ هذا أمر من الله لرسوله محمد ﷺ والمؤمنين وتعليمهم لمراحل الجهاد ليكون البدء بمقاتلة الأقرب فالأقرب من الكفار كما قال تعالى ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾[1]. ولهذا بدأ رسول الله ﷺ بقتال المشركين في جزيرة العرب؛ ففتح الله له مكة والطائف وخيبر وهجر وأطراف الجزيرة. ثم توجه لقتال الروم في الشام إلى أن توفاه الله فأكمل المسيرة بعده خلفاؤه البررة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله تعالى عنهم ومن سار على نهجهم ممن لا تستهويه شهوة الملك والحكم؛ كما جرى من ملوك الطوائف الذين انكفؤوا على أنفسهم مخلدين للهو والراحة حتى فرطوا في الممالك التي فتحها الفاتحون المؤمنون. قوله ﴿وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ﴾ أي: يجب أن يجدوا فيكم بأساً وقوة. ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ في هذا بلاغ من الله جل وعلا أنه مع المتقين يؤيدهم بتأييده، وينصرهم بنصره، ويعزهم بعزه، ويظهرهم على غيرهم. وقد وعد بذلك وكان وعده الحق فقد أنزل الملائكة يجاهدون مع رسول الله ﷺ والمؤمنين فكانت العاقبة للمتقين.

---

(١) سورة الشعراء الآية ٢١٤ .

أحكام ومسائل الآية:

الحكم بأن الجهاد واجب لنشر دين الله، وأن هذا الوجوب مستمر إلى أن يسود دين الله في كل الأرض وأنه لا مناص للأمة من هذا الوجوب كما قال عز وجل ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[1]. ومن الأحكام: أن يكون البدء بالقتال مع الكفار الأقربين من بلاد المسلمين. ومنها: وعد الله بالنصر للمؤمنين.

﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ﴾ أي: إذا ما أنزلت سورة من كتاب الله يتحدث المنافقون بعضهم إلى بعض فيقول ﴿أَيُّكُمْ

(١) سورة البقرة من الآية ٢١٦ .

﴿زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا﴾ ومرادهم من ذلك الاستهزاء بالمؤمنين الذين يزدادون فرحاً وإيماناً بنزول آية أو سورة من كتاب الله. وقد رد الله عليهم بقوله ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ أي: زادتهم يقيناً وثباتاً على إيمانهم قال تعالى ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾[1]. قوله ﴿وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ أي: يفرحون بمنة الله وفضله عليهم أن هداهم للإيمان.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أي: إن الذين داخلهم الشك والريب والنفاق والكفر. ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ أي: زادهم نزول السورة نفاقاً إلى نفاقهم وكفراً إلى كفرهم. ﴿وَمَاتُواْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ وهذا كان أسوأ عاقبة لهم في مماتهم على الكفر والعياذ بالله.

﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾ المراد أفلا يتدبرون ويعلمون أنهم يختبرون في العام مرة أو مرتين بالأمراض والآلام أو بالسنين والشدة والقحط. ﴿ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ﴾ من نفاقهم وكفرهم. ﴿وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ فيما سيكون لهم في عاقبة أمرهم من العذاب.

﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ مازال السياق في المنافقين وسلوكهم وما في قلوبهم من المرض، والمراد أنهم حينما يسمعون القرآن ويعرفون ما أخبر الله عن سرائرهم وخفاياهم ينظر

---

(١) سورة فصلت من الآية ٤٤ .

بعضهم إلى بعض نظر التعجب. ﴿هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ أي: لما تكلمتم في الرسول وأصحابه بينكم هل سمعكم أحد فنقل له كلامكم وهم بهذا لا يدركون أن الله يكشفهم لرسوله كما قال تعالى ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾[1].

أو يكون المراد أنهم يضيقون عند سماع القرآن فينظر بعضهم إلى بعض علامة لتركهم سماع القرآن. ﴿هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ أي: من المسلمين ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُواْ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ أي: صرفها وأمالها عن الحق بسبب كفرهم ونفاقهم. ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ أي: بسبب أنهم قوم لا يفقهون ما فيه نفعهم وضرهم.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن إيمان المؤمن يزداد باستمراره في طاعته لله وتركه لمناهيه. كما أن كفر الكافر يزداد بمعاصيه وعدم توبته منها فيموت على كفره والعياذ بالله. ومن الأحكام: أن على العباد أن يتفكروا فيما يصيبهم من المآسي والمصائب، وأن أشر العباد من تنزل به النوازل والفتن ولا يتفكر في أمره ولا يتوب عن أفعاله التي كانت سبباً فيما أصابه. ومنها: تقرير سلوك المنافقين ومحاولتهم التخفي وستر نفاقهم.

---

(١) سورة التوبة الآية ٧٨ .

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ قد يكون المراد بالخطاب العرب لأن رسول الله ﷺ من العرب لقوله من أنفسكم وقد يكون المراد بالخطاب البشر لأن رسول الله ﷺ من آدم أرسله الله إلى الناس كافة كما قال تعالى ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾(١). ولعل القول الأول هو الأصح. وقوله ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾(٢). ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: يعز ويصعب عليه ما يشق عليكم وما يعنتكم ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ أي: يحرص على طاعتكم لله وطاعتكم له لما في ذلك من الخير لكم ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: بالمؤمنين كافة ﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: شفيق عليكم رحيم بكم يحب لكم خير الدنيا والآخرة.

﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ أي: أعرضوا عن الإيمان بك وعن اتباعك والمخاطب هنا رسول الله ﷺ. ﴿فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ﴾ أي: هو الكافي والمعين

---

(١) سورة الأعراف من الآية ١٥٨ .

(٢) سورة الأنبياء الآية ١٠٧ .

والمعز لك ولن تضرك معصيتهم ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: لارب ولا إلَه في الوجود إلا هو ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ أي: فوضت أمري إليه كما قال عز وجل ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾[1].

﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ أي: هو رب العرش العظيم لأنه أعظم المخلوقات ولا أعظم منه إلا الذي خلقه، وهو الله وفي حديث بريدة أن رسول الله ﷺ قال: **(من قال عشر كلمات عند دبر كل صلاة غداة وجد الله عندهن مَكْفياً مَجْزِياً خمس للدنيا وخمس للآخرة حسبي الله لديني حسبي الله لدنياي حسبي الله لما أهمني حسبي الله لمن بغى علي حسبي الله لمن حسدني حسبي الله لمن كادني بسوء حسبي الله عند الموت حسبي الله عند المساءلة في القبر حسبي الله عند الميزان حسبي الله عند الصراط حسبي الله لا إلَه إلا هو عليه توكلت وإليه أنيب)**[2].

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير فضل الله على العرب، وعلى البشر كافة بنبوة ورسالة رسول الله محمد ﷺ. ومن الأحكام: تقرير كريم قيمه، وحسن أخلاقه، وكمال آدابه، وحرصه على أمته، وخوفه عليهم. ومنها وجوب توكل العباد على الله لأن من توكل عليه كفاه أمر الدنيا وأمر الآخرة. ومن الأحكام: تقرير عظمة عرش الله عز وجل.

---

(١) سورة المزمل الآية ٩ .

(٢) أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال ج٢ ص١٥٥، برقم (٣٥٥٨)، وذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٣٠٣، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول ص٢١٧.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة يونس

مكية وآياتها تسع ومائة آية

﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾﴾

بيان الآيتين:

﴿الٓر﴾ الله أعلم بمراده ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ أي: ما تضمنته هذه السورة هي آيات من كتاب الله الحكيم والحكيم صفة للكتاب. ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا﴾ إنكار على من عجب ﴿أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾ وهذا الإنكار على الذين عجبوا من إرسال رجل منهم، وهو إشارة إلى أن المشركين لما بُعِثَ رسول الله ﷺ نبياً ورسولاً قالوا: إن الله أعظم من أن يكون له رسول من البشر كما قالوا: ما وجد الله من يرسله إلا يتيم أبي طالب، فنزل قول الله أكان للمشركين أو أهل مكة أن يعجبوا من إرسال محمد إليهم[1]. ﴿أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ﴾ أي: أنذرهم عما سوف يحيق بهم من العذاب إذا لم يوحدوا الله ويخلصوا في عبادته. ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ أي: بلِّغهم أن لهم ﴿قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٤٤١، والكشاف للزمخشري ج٣ ص١١٣ .

﴿رَبِّهِمْ﴾ أي: أن لهم حسنى البقاء والسعادة في الدار الآخرة ﴿قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ المراد بهم الذين كذبوا رسول الله ﷺ وعجبوا من إرساله إليهم ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ﴾ فعلى هذه القراءة يقصدون محمداً ﷺ وهم يعلمون أنه ليس كما يقولون وإنما يخدعون أنفسهم وأتباعهم بهذا الكذب وعلى قراءة (إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِين) يقولون: إن هذا الكتاب الذي جاء به محمد يتلوه علينا هو سحر مبين.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن القرآن كتاب الله الذي أنزله على نبيه ورسوله محمد ﷺ أنزله الله علماً وحكمة وهدى للعالمين. ومن الأحكام: الإنكار على من يعجب من إرسال نبي أو رسول من البشر. ومنها: الحكم بأن للمؤمنين قدم صدق عند ربهم وهي الحسنى والسعادة في الدارين الدنيا والآخرة. ومنها: بيان أنّ أهل الكفر لا يترددون في قول الباطل والكذب، واتهام الأنبياء والمؤمنين بشتى التهم والأباطيل.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟

يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِى ٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ هذا إخبار وتوكيد من الله عز ذكره أنه هو ربنا الذي خلق السموات، وما فيها، وخلق الأرض وما فيها، وأن خلقهما كان في ستة أيام. قيل: هي الأيام المعتادة وقيل: إن اليوم كألف سنة كما قال عز وجل ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾[١]. ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ ﴾ استواء يليق بعظمته على العرش وهو أعظم مخلوقاته ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ ﴾ أي: يصرفه بقدره هو من غير شريك له فيه كما قال عزوجل ﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴾[٢]. قوله ﴿ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ﴾ أي: لا يشفع عنده أحد لا ملك مقرب ولانبي مرسل إلا إذا أذن له كما قال عزوجل ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾[٣]. وقوله عز ذكره

(١) سورة الحج من الآية ٤٧ .

(٢) سورة سبأ من الآية ٣ .

(٣) سورة البقرة من الآية ٢٥٥ .

﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾[(١)]. ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ﴾ أي: هذا هو ربكم الذي خلق السموات والأرض ويدبر الأمر فوحدوه وأخلصوا العبادة له، ولا تجعلوا معه نداً ولا شريكاً. ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ المراد أيها المشركون ألا تعقلون وتعرفون أن ربكم الذي خلقكم هو الذي يستحق العبادة وحده.

﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴾ أي: سوف ترجعون إليه يوم القيامة لأنه وعد بذلك ووعده الحق كما قال عز وجل ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾[(٢)]. وقوله ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾[(٣)]. ﴿ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ﴾ أي: يجازيهم بالعدل فلا يبخسهم أعمالهم. ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴾ أي: يسقون في النار ماءً شديد الحرارة ﴿ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ ﴾ أي: شديد ﴿ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴾ أي: بسبب كفرهم.

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً ﴾ في هذا إخبار من الله تعالى أنه هو الذي جعل الشمس ضياء يستضيء بها خلقه أثناء طلبهم لمعاشهم وسير حياتهم، وأنه هو الذي جعل القمر نوراً يستنير به خلقه

(١) سورة سبأ من الآية ٢٣ .
(٢) سورة الروم من الآية ٢٧ .
(٣) سورة لقمان من الآية ٢٨ .

في مسارهم في ليلهم، وجعل للقمر منازل معلومة لكي يعرف العباد عدد سنواتهم وشهورهم وأيامهم. وكل ما خلقه الله من هذه الأجرام السماوية قام على نظام محكم كما قال عز وجل ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴾[1]. ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾[2].

قوله ﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ﴾ المراد أن الله لما خلق هذه المخلوقات لم يخلقها عبثاً فحاشاه من ذلك، بل خلقها لحكمة وسيَّرها لحكمة ﴿يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ أي: يبيِّن ويوضح الآيات والبراهين للذين يعلمون أن الله ما خلق الخلق إلا لحكمة، وأنه المعبود ولا يعبد بحق إلا هو.

﴿ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ أي: في تواليهما وتعاقبهما على الدوام كما قال تعالى ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ﴾[3]. ﴿وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ من الآيات التي تدل على عظمته وقدرته وحكمته ﴿لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴾ أي: فيها الدلالات والبراهين للذين يتقون ربهم فيوحدونه ولا يشركون معه أحداً.

---

(١) سورة يس الآية ٣٩ .

(٢) سورة يس الآية ٤٠ .

(٣) سورة الزمر من الآية ٥ .

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بتقرير ربوبية الله وألوهيته، وأنه لا رب إلا هو ولا إلَه إلا هو. تقرير خلق السموات والأرض في أيام معلومة. تقرير البعث والحساب. ومن الأحكام: الأمر بعبادة الله وحده، وهذا الأمر يقتضي حكماً التكليف. ومنها: تقرير حكمة الله في خلق الشمس والقمر والكواكب في عمومها. ومنها: وجوب التفكر في آيات الله.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ المراد بهم الذين كفروا بالله ورسوله فلا يرجون ثواباً ولا يخافون عقاباً بسبب الكفر الذي أصمهم وأعمى أبصارهم وطبع على قلوبهم ﴿وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: جعلوا الحياة الدنيا مطلبهم ومغنمهم وعوضهم عن الآخرة ﴿وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا﴾ أي: تلذذوا بها. ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ

ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴾ أي: ساهون عما أنزلناه لهم من الآيات والبينات ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ أي: أن النار هي المثوى والمأوى للذين لا يرجون لقاء الله واطمأنوا للحياة الدنيا وهي كذلك للذين غفلوا عن آيات الله.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ المراد بهم الذين آمنوا حقاً وصدقاً ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْۖ ﴾ أي: بسبب أعمالهم الصالحة زادهم ربهم هدى فكان هذا الهدى سبباً لدخولهم الجنة. ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ أي: تجري الأنهار تحت منازلهم ﴿فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾.

﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ ﴾ لما ذكر الله ما للذين آمنوا وعملوا الصالحات من الجنات بيَّن عز وجل أن دعاءهم فيها التسبيح بقولهم سبحانك اللهم ثم قال ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌۚ ﴾ قيل: هي تحية الله لهم. وقيل: تحية الملائكة لهم. وقيل: تحية بعضهم لبعض[1] كما قال عز وجل ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ﴾[2]. وقوله ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴾[3]. ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم ﴾[4]. قوله ﴿وَءَاخِرُ

---

(١) زاد المسير ص٦١٧-٦١٨، وتفسير البغوي ص٥٩٥-٥٩٦ .

(٢) سورة الأحزاب من الآية ٤٤ .

(٣) سورة الرعد من الآية ٢٣ .

(٤) سورة الرعد من الآية ٢٤ .

دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ أي: أن آخر دعواتهم حمدهم وشكرهم لله على ما أنعم وتفضل به عليهم من نعمه، وأولها رضاه عنهم ودخولهم الجنة وتجليه لهم.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن من خسارة العبد نسيانه الآخرة ولهوه في الحياة الدنيا. ومن خسارته أيضاً غفلته عن التفكر في آيات الله وهذا يقتضي وجوب التفكر في هذه الآيات. ومن الأحكام: أن الإيمان وعمل الصالحات هو الطريق إلى الجنة.

﴿ ۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾

بيان الآيتين:

يخبر تعالى أنه لو يعجل العقوبة للناس كحال استعجالهم الخير لهلكوا كما فعل أبو جهل ومن معه من المشركين في دعوتهم على أنفسهم حين قالوا ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ

عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ ﴾[١]. فلو استجاب الله دعوتهم لهلكوا. وقيل: إن الآية نزلت في الرجل يدعو على نفسه أو ماله أو ولده في حال غضبه فلو استجاب الله له لقضى أجله[٢] والمراد أن الله سبحانه وتعالى حليم على عباده لا يستجيب لهم حال غضبهم لأنه لو استجاب لهم لهلكوا ﴿فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ﴾أي: نتركهم فلا نعجل لهم العقوبة لأنهم ربما يرجعون إلى أنفسهم فيتوبون. قوله ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾أي: حائرون غير مهتدين.

﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ الضُّرُّ ﴾يخبر تعالى عن حال الإنسان وسلوكه خاصة الكافر إذا أصابه مرض أو مصيبة ﴿دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا ﴾أي: دعا الله وهو على فراشه من شدة المرض أو كان في حال قعوده أو قيامه. ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ ﴾أي: لما شفيناه ﴿مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُ ﴾أي: استمر على كفره أو جحوده كأنه لم يكن قد دعانا لكشف ضره ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾أي: زين الشيطان لهؤلاء سوء عملهم فيدعون الله عند الشدة ثم ينسونه في حال الرخاء كما قال تعالى ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾[٣].

---

(١) زاد المسير ص٦١٨، والآية في سورة الأنفال الآية ٣٢ .

(٢) تفسير البغوي ص٥٩٦، وزاد المسير ص٦١٨ .

(٣) سورة العنكبوت الآية ٦٥ .

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير رحمة الله لعباده ورأفته بهم، وأنه لا يعجل لهم العقاب بل يرجئهم لعلهم يتوبون إليه فيتوب عليهم. ومن المسائل: تقرير سوء سلوك الإنسان الكافر؛ فإذا مسه الضر تضرع إلى الله أن يكشف عنه ضره ويزيل بأسه، فإذا استجاب له أنكر نعمة ربه عليه وعاد إلى معصيته.

﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ ۙ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ ۙ ﴾ الخطاب لأهل

مكة وللمشركين والكافرين عموما يبين الله تعالى فيه أنه سبق أن أهلك الأمم البائدة لما أشركوا به وكفروا به. ﴿وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ تبين لهم طريق الهدى وتدعوهم إليه وكذلك تبيِّن طريق الضلال وتحذرهم منه ﴿وَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ﴾ أي: رغم ما جاءهم من البينات أصروا على كفرهم. ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ أي: إن هذا الهلاك الذي حصل لهم كان جزاء أعمالهم كما قال تعالى ﴿وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾[1]. قوله ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ أي: خلقناكم من بعد هلاك الأمم البائدة. ﴿لِنَنظُرَ﴾أي لنختبركم ونرى ﴿كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ﴾ فإما أن تهتدوا وحينئذٍ تنجوا من الهلاك أو تصروا على الكفر فتكون حالكم مثل حالهم.

﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا﴾ المراد بهم أهل مكة حال شركهم إذا تلا عليهم رسول الله ﷺ القرآن بما فيه من البشارة والنذارة لم يعجبهم ذلك فقالوا ﴿ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ﴾ يعني أن مرادهم من ذلك إتيانهم بقرآن غير ما تلاه عليهم أو تبديله بما يوافق أهواءهم كإقرار أوثانهم وأصنامهم

(١) سورة النحل من الآية ١١٨ .

ومعاملاتهم. ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِيَ أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ﴾ أي: قل لهم يا محمد: لا أستطيع أن أبدل أو أغير في كلام الله. ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ أي: لا أتبع إلا ما تلوته عليكم لأني مأمور بإبلاغه لكم بعد ما أوحي إلي به. ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ أي: إن بدلته أو غيرته أخاف ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ يصيبني يوم القيامة.

﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ﴾ أي: لو أراد الله ما أرسلني اليكم ولا تلوت عليكم هذا الكتاب ولا دريتم به؛ فإرسالي إليكم وتلاوتي للكتاب الذي أنزل إلي هو بمشيئة الله وإرادته ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ﴾ أي: لبثت فيكم عمراً لم أتلُ عليكم شيئاً فقد كنت لا أقرأ ولا أكتب وإنما كنت أميناً صادقاً مع نفسي ومعكم والمراد بقوله ﴿عُمُرًا﴾ أي: سنوات عمر رسول الله ﷺ قبل مبعثه ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أي: ألا تتفكرون وتعرفون بعقولكم أن هذا الذي أتلوه عليكم هو كتاب من الله، وليس من عندي ولا من عند غيري من الخلق.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير وعيد الله بالعذاب لأهل الشرك والضلال المعاندين لرسول الله ﷺ والمكذبين بنبوته ورسالته. تقرير سنة الله في إهلاك المجرمين بعد إمهالهم. ومن الأحكام: تقرير أن أهل الشرك والضلال

ينازعون في القرآن، ويريدون تبديله تبعاً لأهوائهم، وقد تعهد الله عز وجل بحفظ كتابه كما قال جل ذكره ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾(١).

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ أي: لا أحد أظلم ممن كذب على الله أو بدّل أو غيّر أو حرّف في كلامه. ﴿أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ﴾ أي: جحد ما أنزله، والمراد أنكم أيها المشركون ستكونون أظلم الخلق كلهم إذ كذبتم كتاب الله وما بيَّنه لكم من الآيات الدالة على توحيده وطاعته وإخلاص العبادة له. ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ أي: لن تفلحوا أيها المشركون إذا كذبتم بكتاب الله ولن يكون أحد أظلم منكم.

---

(١) سورة الحجر الآية ٩.

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ﴾ المراد بذلك المشركون يعبدون أصناماً من الحجارة لا تنفعهم ولا تضرهم ﴿ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ أي: يزعمون أنها تشفع لهم عند الله من ذنوبهم وخطيئاتهم وهذا غاية الحماقة والجهل؛ فأنى لهذه الأصنام الصماء التي لا تنفع ولا تضر أن تشفع عند الله ﴿ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ المراد أنتم أيها المشركون الجهلة تخبرون الله أن له شريكاً في ملكه أو شفيعاً بغير إذنه والله يعلم أن ليس له شريك لأنه الواحد الأحد. ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ أي: تقدس وتنزه عن الشريك فهو أجل وأعظم من أن يكون له شريك في ملكه.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأنه ليس أحد أظلم ممن يفتري على الله الكذب بتبديل كلامه أو تحريفه. كما أنه ليس أحد أظلم ممن يكذِّب بكلامه، أو يتنقص منه، أو يستهزئ به أو نحو ذلك من الأقوال أو الأفعال المنافية لقدسيته وشرفه. ومن الأحكام: تكذيب ادعاء المشركين بأن أصنامهم تشفع لهم عند الله.

﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾

﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟﴾ أي: ما كان الناس إلا أمة على دين واحد لا يعرفون الشرك منذ عهد آدم إلى زمن نوح، ثم حدث فيهم الشرك فبعث الله إليهم الرسل ليحذروهم منه فيكون عقابهم بعد قيام الحجة عليهم كما قال تعالى ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[1]. قوله ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ المراد أن حكمة الله اقتضت تأجيل الحكم بينهم في الدنيا لأنها مرحلة عبور، أما الفصل بينهم فيكون يوم القيامة فيجزى المحسن على إحسانه، والعاصي على عصيانه.

﴿وَيَقُولُونَ﴾ المراد أهل مكة قالوا: لماذا لا يأتي لنا محمد بآية نراها بأعيننا كما في قول الله تعالى عنهم ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾[2]. ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا﴾[3]. ﴿أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا

---

(١) سورة الإسراء من الآية ١٥.

(٢) سورة الإسراء الآية ٩٠.

(٣) سورة الإسراء الآية ٩١.

زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴾[١]. ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ﴾[٢]. ﴿فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ أي قل لهم يا محمد: إن نزول الآيات هو من غيب الله ﴿فَانتَظِرُوا﴾ أي: تربصوا إني معكم من المنتظرين أي: انتظروا ما يقضي الله بيننا.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن الشرك لم يحدث إلا من قوم نوح، وكان هذا هو السبب في اختلاف الناس بعد أن كانوا على التوحيد. ومن الأحكام: تقرير حكمة الله أن أهل الشرك والضلال يعيشون إلى أن تنتهي آجالهم. ومنها: تقرير أن نزول الآيات التي طلبها المشركون هو من غيب الله، وأن عليهم انتظار قضاء الله بينهم وبين رسوله وقد حدث هذا حين أهلك الله رؤساءهم في معركة بدر.

﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا ۚ قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ

---

(١) سورة الإسراء الآية ٩٢ .

(٢) سورة الإسراء من الآية ٩٣ .

وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

بيان الآيات:

مازال السياق في سلوك المشركين في مكة وتكذيبهم لرسول الله ﷺ. ﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُمۡ﴾ أي: إذا رحمناهم فأغنيناهم بعد الفقر وبدلنا شدتهم رخاء وجدبهم خصباً ﴿إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ فِيٓ ءَايَاتِنَاۚ﴾ أي: إنكار وجحود ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ﴾ أي قل لهم يا محمد: الله أسرع في العقوبة لكم جزاء مكركم وجحودكم لنعم الله ﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ﴾ أي: إن الحفظة عليكم يكتبون عليكم ما تقولون وما تفعلون كما قال تعالى ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ﴾[١]. ﴿كِرَامٗا كَٰتِبِينَ﴾[٢]. ﴿يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ﴾[٣].

﴿هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم﴾ ما زال السياق في إقامة الحجة على المشركين والمراد أن الله هو

---

(١) سورة الانفطار الآية ١٠.

(٢) سورة الانفطار الآية ١١.

(٣) سورة الانفطار الآية ١٢.

الذي يسيركم في البر أي: على الدواب كما قال تعالى ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا ﴾[1]. ويسيركم في البحر على السفن وأنتم آمنون. ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾ أي: جرت في سيرها في البحر والريح مناسبة لجريانها. ﴿وَفَرِحُواْ بِهَا ﴾ أي: استبشروا بذلك لما فيه من الأمان لهم. ﴿ جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ أي: ريح شديدة. ﴿وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ ﴾ أي: أحاط بها الموج من جوانبها وارتفع إلى ظهرها. ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ﴾ أي: تيقنوا أنهم معرضون لخطر الغرق ﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ أي: وحدوا الله وأخلصوا له الدعاء ونسوا ماكانوا يعبدون من الأصنام. ﴿لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ أي: لئن أنجيتنا من هذه الكارثة المحيطة بنا لنشكرن لك ونعبدنّك وحدك لا شريك لك.

﴿ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ ﴾ أي: أنقذهم مما هم فيه من الفزع والخوف ﴿إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ أي: يفسدون في الأرض وينشرون المعاصي والظلم والطغيان، وهذا دليل على فسادهم فلم يقابلوا إحسان الله لهم بالطاعة بل نكثوا ما وعدوا به من إخلاص الدين لله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ﴾ أي: إن سوء بغيكم

(١) سورة النحل من الآية ٨ .

دائماً يعود عليكم فالله غني عنكم وعن طاعتكم ﴿مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ أي: ليس لكم إلا متاع الحياة الدنيا ﴿ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ﴾ أي: سترجعون إلينا بعد موتكم. ﴿فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ أي: سوف نخبركم بأعمالكم التي أحصيت عليكم فتجزون عليها.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن الكافرين يمكرون بآيات الله أي: يجحدونها ويكفرون بها، ولكن الله أسرع في عقوبتهم جزاء مكرهم. ومن الأحكام: تقرير فساد المشركين والكفار؛ فهم يلجؤون إلى الله عندما تنزل بهم مصيبة في البر أو البحر، وإذا نجاهم عادوا إلى طغيانهم وفجورهم. ومنها: تقرير أن من بغى وظلم يرتد بغيه وظلمه إليه. ومنها: تقرير البعث والجزاء على العمل في الدنيا.

﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارًا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ في هذا تشبيه الحياة الدنيا في توقيتها ونهايتها بالماء الذي أنزل من السماء ﴿فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾ أي: امتزج بالنبات الذي وصفه الله بقوله ﴿مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ﴾ أي: ما يأكلون من الثمار ومن نبات الأرض وما تأكله الأنعام من الكلأ ونحوه. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ أي: إذا بدا في الأرض جمالها من جراء النبات الذي اختلطت ألوانه. ﴿وَٱزَّيَّنَتْ﴾ أي: ازدهرت ونضرت بما فيها من الحبوب والثمار والأزهار ومختلف النبات. ﴿وَظَنَّ أَهْلُهَآ﴾ أي: تيقن أهلها أنها جاهزة للحصاد والاستغلال والانتفاع منها ﴿أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا﴾ أي: جاءها أمرنا بهلاكها في الليل أو النهار. ﴿فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا﴾ أي: محصودة مجتثة من أصلها. ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾ أي: كأنها لم تكن قائمة مزدهرة. ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ﴾ أي: نبينها. ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ أي: يتدبرون في أمر الله وحكمته وتصريفه لخلقه.

﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ لما ضرب الله مثلاً للحياة الدنيا وأنها فانية زائلة حث عباده على العمل من أجل الدار الباقية التي لا تفنى فقال عز ذكره ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ أي: يدعوكم إلى العمل من أجل الجنة التي هي دار سلام وأمن وخلود. ﴿وَيَهْدِى

﴿مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٍ﴾ أي: يوفق برحمته ولطفه من يشاء من عباده الذين استجابوا لدعوته لهم وصدقوا رسوله وما جاءهم به من البينات فيدخلهم دار السلام.

وفي هذا روى جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ يوماً فقال: (**رأيت في المنام كأن جبريل عند رأسي وميكائيل عند رجلي فقال أحدهما لصاحبه اضرب له مثلاً فقال له اسمع سمعت أذنك واعقل عقل قلبك: إنما مثلك ومثل أمتك كمثل ملك اتخذ داراً ثم بنى فيها بيتاً ثم جعل فيها مأدبة ثم بعث رسولاً يدعو الناس إلى طعامه فمنهم من أجاب الرسول ومنهم من تركه فالله الملِكُ والدار الإسلام والبيت الجنة وأنت يا محمد رسولٌ فمن أجابك دخل الإسلام ومن دخل الإسلام دخل الجنة ومن دخل الجنة أكل مما فيها**)[1] ثم تلا رسول الله ﷺ ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٍ﴾.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن الحياة الدنيا مجرد وقت سرعان ما ينتهي، وأن على العباد أن يعملوا للحياة الآخرة ولا يغتروا بالحياة الدنيا. ومن الأحكام: أن الله عز وجل فصَّل الآيات لعباده وأن عليهم أن يتفكروا

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الأمثال، باب ما جاء في مَثَلِ الله لعباده، برقم (٢٨٦٠)، سنن الترمذي ج٥ ص١٣٤، والبخاري بلفظ قريب منه في كتاب الاعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، برقم (٧٢٨١)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١٣ ص٢٦٣ .

فيها. ومنها: أنه عز وجل دعا عباده إلى العمل من أجل الجنة لكونها دار بقاء وأمن ونعيم.

﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَـٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ﴾ المراد أن المحسن في عمله يجزى بالحسنى، ويجزى زيادة على الحسنى كما قال تعالى ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[1]. وهذه الزيادة تفضل من الله على من أحسن من عباده فيجازيه أكثر من جزائه. وفي حديث صهيب أن رسول الله ﷺ قال: (**إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك**

(١) سورة الأنعام من الآية ١٦٠ .

وتعالى تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل)[١].

﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ﴾ أي: لا يغشى وجوههم غبار كما قال عز وجل عن وجوه أهل الكفر ﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾[٢]. ﴿وَلَا ذِلَّةٌ﴾ أي: لا يغشى وجوههم ذل أو هوان. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ هذا بيان وتوكيد أنّ الذين أحسنوا الحسنى هم أصحاب الجنة الذين يخلدون فيها.

﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ لما ذكر الله عز وجل أهل الحسنى وما يستحقونه من الفضل والإحسان ذكر حال أهل السيئات أي: الذين عصوا أوامر الله وارتكبوا محارمه وما يستحقونه. قوله ﴿جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا﴾ أي: يجازيهم كل سيئة بمثلها فلا يزيدهم عليها وهذا من رحمته بهم، فلم يزد في عذابهم بل جعل السيئة بمثلها. ﴿وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ أي: تغشاهم الذلة والهوان. ﴿مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ أي: لا أحد يعصمهم من عذاب الله لا ولي ولا شفيع. ﴿كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا﴾ أي: كأنما كسيت وجوههم أجزاء من

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى، برقم (١٨١)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١ ص٩٩٦ .

(٢) سورة عبس الآية ٤١ .

الليل المظلم من السواد. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ هذا بيان أنّ الذين كسبوا السيئات هم أصحاب النار الذين يخلدون فيها.

﴿وَيَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا﴾ أي: يوم نحشر جميع الخلائق ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ﴾ أي: الذين كانوا يجعلون شركاء لله ﴿مَكَانَكُمۡ أَنتُمۡ وَشُرَكَآؤُكُمۡۚ﴾ أي: اجتمعوا أنتم وشركاؤكم في مكان لوحدكم بعيداً من المؤمنين. ﴿فَزَيَّلۡنَا بَيۡنَهُمۡۖ﴾ أي: فرقنا ما كان بينهم وبين شركائهم من العلاقة والمودة. ﴿وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمۡ إِيَّانَا تَعۡبُدُونَ﴾ أي: تبرؤوا منهم وقالوا: إنما كنتم تعبدون الشياطين الذين أضلوكم وأغووكم عن عبادة الله فأطعتموهم.

﴿فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ﴾ المراد يقول الذين عبدهم المشركون من الملائكة أو الأصنام وغيرها: الله يشهد وكفى به شهيداً بيننا أننا لم نأمركم بعبادتنا أو أنا رضينا بفعلكم. ﴿إِن كُنَّا عَنۡ عِبَادَتِكُمۡ لَغَٰفِلِينَ﴾ أي: إننا كنّا غافلين عن عبادتكم لنا ولا نعلم عنها.

﴿هُنَالِكَ﴾ أي: في يوم القيامة. ﴿تَبۡلُواْ كُلُّ نَفۡسٖ مَّآ أَسۡلَفَتۡۚ﴾ أي: تمتحن كل نفس ما عملت من خير وشر وتجزى عليه كما قال عز وجل ﴿يُنَبَّؤُاْ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذِۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾[١]. وقوله ﴿وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا﴾[٢]. ﴿ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ

(١) سورة القيامة الآية ١٣ .
(٢) سورة الإسراء الآية ١٣ .

ﭐلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ﴾[(١)]. قوله ﴿وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۖ﴾ أي: ردت الأمور يوم القيامة إلى الله الحق ليقضي فيها بالقسط فيجزي المحسن بإحسانه، والمسيء بسيئاته.﴿وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾ أي: زال وبطل عن المشركين والكافرين ما كانوا يفترونه من الكذب على الله.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أنّ من كسب حسنة كانت له العاقبة في زيادة حسناته وأَمِنَ من أهوال يوم القيامة، ومن كسب سيئة جازاه الله بمثلها دون زيادة؛ وهذا من رحمته وفضله على عباده. ومن مسائل الآيات بيان أن من عُبِدَ من دون الله من الأصنام وغيرها يتبرأ يوم القيامة ممن عبده. ومنها: أن كل نفس تمتحن يوم القيامة بما عملته في الحياة الدنيا من الخير أو الشر.

﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣١) فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ (٣٢) كَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ (٣٣)﴾.

(١) سورة الإسراء الآية ١٤.

بيان الآيات:

﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ في هذا أمر من الله لنبيه ورسوله محمد ﷺ أن يحاج المشركين فيقول لهم ﴿مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ أي: من هو الذي ينزل المطر من السماء، وينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب وسائر الثمرات.

﴿أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ ﴾ أي: من خلق السمع لتسمعوا به والبصر لتبصروا به. ﴿وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ ﴾ أي: المؤمن من الكافر ﴿وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ﴾ أي: الكافر من المؤمن ﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ﴾ أي: يقضي به بين عباده ويقدره بينهم. ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ﴾ أي: يقرون بربوبيته وأنه الخالق والرازق والمدبر ﴿فَقُلْ ﴾ لهم يا محمد: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ المراد أنكم إذا كنتم تقرون بربوبية الله لكم فلماذا تشركون معه غيره أفلا تخشون أن يعاقبكم في الدنيا والآخرة؟

﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ أي: هذا الذي يخلق ويدبر هذه الأمور التي اعترفتم بقدرته عليها هو ربكم الحق الذي لا رب غيره ولا إلَه غيره ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَـٰلُ ﴾ أي: فما بعد هذا الحق الذي بان لكم إلا الضلال. ﴿فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ أي: كيف تصرفون أفهامكم عن الهدى إلى الضلال، وعن الحق إلى الباطل، وعن السعادة إلى الشقاوة. ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ﴾ أي: حكم بحكمه وقضائه. ﴿عَلَى

﴿ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ﴾ أي: على أهل المعاصي الذين كابروا وكذبوا. ﴿أَنَّهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ أي: خارجون عن طاعة الله.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أنّ المشركين من العرب كانوا يقرون بتوحيد الربوبية لإخبار الله عنهم بقوله عز وجل ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾، ولكنهم كانوا يشركون في توحيد الألوهية فلم يك ينفعهم إيمانهم. ومن الأحكام: أن الله عز وجل هو الحق، وأن على العباد أن يوحدوه في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، ومن لم يفعل فهو ضال لا محالة. ومنها: أن من كذب بالحق يصبح هذا التكذيب أساساً في سلوكه فيكون من الضالين الذين لا يهتدون بهدي الله لعباده.

﴿قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهۡدِي لِلۡحَقِّۗ أَفَمَن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ فَمَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَتَّبِعُ أَكۡثَرُهُمۡ إِلَّا ظَنًّاۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم﴾ المراد قل يا محمد لهؤلاء المشركين

﴿هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم﴾ أي: أصنامكم ممن تعبدون من دون الله ﴿مَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ أي: هل منهم من يخلق خلقاً كالإنسان والحيوان ثم يعيده ميتاً ثم يحييه؛ وهذا على وجه التعجيز والتوبيخ لهم وسوف يجيبون أنهم لا يستطيعون ذلك لأنه من المستحيل عليهم وعندئذٍ ﴿قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ أي: هو الفاعل لذلك وحده ولا أحد غيره يستطيعه ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ أي: تتركون الحق إلى الباطل.

﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾ أي: هل من أصنامكم ومن تعبدونهم من يدل الضال على الحق والعاصي على الطاعة فسيقولون لا، لأن ذلك مستحيل عليهم وحينئذٍ قل لهم ﴿قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ﴾ ثم قل لهم وأنت توبخهم وتؤنبهم ﴿أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾ أي: يدل ويرشد إليه وهو الله عز وجل ﴿أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ﴾ أي: هو الأحق بالاتباع من الأصنام التي لا تدل أحداً ولا ترشده، بل هي أحجار وأخشاب صم فلا يعبدها إلا الذين غشاهم الجهل وانطبعت قلوبهم بالكفر.

﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا﴾ أي: إن أكثر هؤلاء المشركين وخاصة رؤساءهم يعبدون هذه الأصنام جهلاً وضلالاً في زعمهم أنها تشفع لهم. أما البقية منهم فهم رعاع يقلدونهم ويتبعونهم. ﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ

﴿لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ إن الظن لا يسقط الحق ولا ينفع صاحبه فالأصل في العبادة العلم واليقين، وهذا لا يكون إلا باتباع ما جاء به الرسول ﷺ مبلغاً به عن ربه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ هذا وعيد لهم وتوكيد أن الله عز وجل يعلم كفرهم وجحودهم.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير عجز أصنام المشركين وكل ما يعبدونه من دون الله عن بدء الخلق أو إعادته؛ لأن كل ما عدا الله عز وجل فهو مخلوق لا يقدر على جلب نفع أو دفع ضر. ومن الأحكام: أن العبادة لا تبنى على الظن بل يجب أن تبنى على اليقين المتمثل في كتاب الله عز وجل، وفي سنة رسوله محمد ﷺ.

﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ هذا بيان وتوكيد من الله أن هذا القرآن هو كلامه المنزل على نبيه ورسوله محمد ﷺ، وما كان لأحد أن يفتريه فهو معجز في آياته وحروفه وأحكامه لا يستطيع البشر لو اجتمعوا كلهم أن يأتوا بمثله كما قال عزوجل ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[١]. وقوله ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[٢].
﴿وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ أي: جاء مصدقاً للتوراة والإنجيل، وفيهما الخير والبشارة به فهو مصدق لهذا الخير والبشارة ﴿وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ أي: بيان ما في الكتب السماوية السابقة. ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ أي: لا ريب في هذا القرآن ونزوله من عند الله.

﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾ ما زال السياق في توبيخ المشركين والمراد أنهم يقولون: وضعه محمد من عنده أو ساعده أحد على وضعه. ﴿قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ ﴾ المعنى إذا كنتم أيها المشركون تزعمون أن محمداً وضع القرآن من نفسه فأتوا بسورة مثله. ﴿وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ﴾ أي: استدعوا من تشاؤون يعينكم على وضع سورة واحدة. ﴿إِن كُنتُمْ

(١) سورة الإسراء الآية ٨٨ .
(٢) سورة يونس الآية ٣٨ .

صَٰدِقِينَ ﴾ في زعمكم أن محمداً وضع القرآن من نفسه.

﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ﴾ المراد أنهم كذبوا بالقرآن وهم لم يعرفوا معانيه أو أحكامه أو مقاصده ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ أي: أنهم كذبوا به وهم لم يفهموا ما فيه من دعوة الله لهم إلى الهدى وفهم ما جاءهم به رسوله ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: مَثَلُهم في ذلك مَثَلُ المشركين في عدم فهمهم وزيفهم مثل الأمم البائده الذين كذبوا ماجاءهم به أنبياؤهم من الكتب. ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: عليهم أن يتذكروا كيف أهلك الله هذه الأمم من قوم نوح وصالح ولوط وشعيب وغيرهم من الأمم البائدة.

﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ أي: ومن الذين أرسلت إليهم قوم آمنوا بالقرآن وصدقوه وهم الذين اتبعوك كبلال وصهيب وسلمان. ﴿وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ أي: لم يصدقه بل كذبه وعانده كحال أبي لهب وأبي جهل وغيرهما من رؤساء المشركين. ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾ أي: إن الله هو أعلم بمن تنفعه المواعظ فيؤمن بالقرآن وبما جاء به وأعلم بمن يستمر على كفره وكل سيجازي بعمله.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن القرآن كلام الله المنزل على نبيه ورسوله محمد ﷺ، وما كان لأحد أن يفتريه لأنه إعجاز لا يقدر البشر أن يأتوا بسورة

مثله. الحكم بأنه مصدق للكتب السابقة المنزلة من الله عز وجل على عدد من أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام. ومن الأحكام: أن تكذيب المشركين بالقرآن كان نتيجة جهل وضلال حيث إنهم لم يفهموا أحكامه مَثَلُهم في جهلهم وضلالهم مَثَلُ الأمم البائدة الذين كذبوا ما جاءتهم به رسلهم فأهلكهم الله بسبب ظلمهم. ومنها: ثناء الله على الذين آمنوا بالقرآن وصدقوه، ووعيده للذين كذبوه.

﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾

بيان الآيات:

﴿وَإِن كَذَّبُوكَ﴾ أي: كفروا بما جئت به يا محمد فقل لهم ﴿لِّي عَمَلِي﴾ أي: لي أجر عملي ﴿وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾ أي: وزر عملكم ﴿أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ المعنى إني أبرأ إلى الله من شرككم وكفركم ولن يؤاخذ أحد بذنب الآخر. وهذه الآية نسختها آية السيف كما قاله جمع من المفسرين(١).

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٨ ص١١٩، وتفسير البغوي ص٦٠١، والجامع لأحكام القرآن ج٩ ص٣٤٦ .

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ المراد أنهم يسمعون كلام الله بأسماعهم ولكن لا يعونه بقلوبهم لما ران عليها من الكفر ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ﴾ هذا استفهام تقريري بمعنى إنك لاتسطيع يا محمد أن تُسْمِعَ الصم لأن الكفر انطبع على قلوبهم فأنت لاتقدر على هدايتهم لأن الهادي هو الله ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ﴾ أي: يبصر ما أنت عليه من علامات الرسالة والتأييد من الله ولكنه لا يريد الهداية. ﴿أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ﴾ هذا استفهام أيضاً تقريري المراد أنك لا تستطيع أن تهدي من أعمى الله قلبه وأعمى بصره وقلبه بسبب كفره فالهادي هو الله.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا﴾ المراد أن الله لا يظلم أحداً من عباده لأنه حرم الظلم على نفسه كما قال عز وجل في الحديث القدسى (**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي**)[1]. بل يدعوهم إلى الهداية وإلى اتباع ما أنزل عليهم لما فيه صلاحهم في دينهم ودنياهم ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ لمَّا كان الله لا يظلم أحداً من عباده كما اقتضت حكمته ذلك؛ دل على أن الناس يظلمون أنفسهم بسبب عصيانهم لما أمرهم الله والعدل أن المأمور إذا عصى من له حق الأمر عليه كان لهذا معاقبته.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم برقم (٢٥٧٧)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١٠ ص٦٥٩٢.

أحكام ومسائل الآيات:

توجيه الله تعالى لنبيه ورسوله محمد ﷺ أن يحاج المشركين إذا كذبوه بأن عليهم وزر تكذيبهم، وأنه يبرأ إلى الله من شركهم. ومن الأحكام: أن الكفر إذا انطبع على قلب العبد لم يعد يعقل أو يفهم معنى الهدى. ومنها: الحكم بأن الله لا يظلم أحداً من خلقه ولكن العباد هم الذين يظلمون أنفسهم بسبب انتهاكهم لمحارم الله.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ أي: يوم يحشر الله الخلائق يوم القيامة. ﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾ أي: كأن لم يلبثوا في الدنيا أو في قبورهم إلا ساعة من النهار كما قال عز وجل في آيات أخرى ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾[1]. وقوله ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾[2]. قوله

---

(١) سورة النازعات الآية ٤٦ .

(٢) سورة طه الآية ١٠٤ .

﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: يعرف بعضهم بعضا إذا اتجهوا إلى الحشر فيعرف الأبناء آباءهم، ويعرف الأقارب والأصدقاء بعضُهم بعضاً وكل مشغول بنفسه كما قال عز وجل ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾[1]. ﴿وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ﴾[2]. ﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾[3]. ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾[4].

﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ﴾ لما ذكر الله حال الحشر وما فيه بيَّن حال الذين كذبوا بالبعث وهو الخسران بفقدهم الجنة. ﴿وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾ أي: كانوا ضالين معرضين عن الهدى.

﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾ أي: قد نريك بعض مانعدهم به من العذاب جزاء تكذيبهم لك أو نتوفّاك قبل ذلك؛ ففي كل الأحوال سيرجعون إلينا وحينئذٍ سنجازيهم الحسنى بالحسنى والسيئة بالعذاب وهذا هو معنى قوله تعالى ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾. قوله ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ أي: هو الشهيد على أفعالهم بعد مماتك.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ﴾ أي: أُرسِلَ لكل أمة من الأمم السابقة رسول كنوح وإبراهيم وصالح وغيرهم ﴿فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ

---

(١) سورة عبس الآية ٣٤ .

(٢) سورة عبس الآية ٣٥ .

(٣) سورة عبس الآية ٣٦ .

(٤) سورة عبس الآية ٣٧

بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ﴾ أي: يحكم بينهم بالعدل، أو ينكر الكفار من هذه الأمم ما جاءهم من البلاغ من رسولهم فحينئذٍ يشهد رسول الله محمد ﷺ عليهم كما قال عز وجل ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾[1]. ﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ أي: لا يبخسون شيئاً من أعمالهم فلا يعذبهم الله إلا بما كسبت أيديهم.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن الناس يوم المعاد كأنهم لم يمكثوا في الدنيا إلا ساعة من النهار. تقرير أنهم في ذلك الموعد يتعارفون بينهم فيعرف الأب ولده، ويعرف الولد والديه، ويتعارف الأصدقاء ولكنهم مشغولون بأنفسهم. تقرير أن الخاسرين في ذلك اليوم هم الذين أنكروا البعث وكذبوا به. ومن الأحكام: إخبار الله لنبيه ورسوله محمد ﷺ بأنه شاهد على الذين كذبوه وسوف يحاسبهم على ذلك يوم يرجعون إليه. ومنها: أن كل رسول سوف يأتي يوم المعاد مع أمته فيحكم الله بينهم بالعدل، ولن يبخس أحداً حقه ولو كان مثقال حبة من خردل وحاشاه أن يظلم وهو الرحيم بعباده - فجل ثناؤه وتقدست أسماؤه.

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٤٨) قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ

(١) سورة النساء الآية ٤١ .

سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي: يقول الكافرون المنكرون للبعث وهم مشركو مكة ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أي: العذاب أو يوم القيامة الذي تذكره لنا يا محمد فإن كنت صادقاً فأتنا به. ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ في هذا رد على استهزاء الكفار وسؤالهم عن العذاب فأرشد الله نبيه محمداً ﷺ أن يقول لهم: لا أملك لنفسي ضراً ولانفعاً وكذلك غيري من المخلوقين ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أي: إلا إذا أراد الله ذلك ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ وسؤالكم عن العذاب مرهون بأجل لا يعلمه إلا الله كما قال عز وجل ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾[1]. ﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ﴾ أي: انقضى وانتهت مدته. ﴿فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ أي: لا يتأخرون ساعة في الدنيا ولا يتقدمون للآخرة قبل أجلهم.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا﴾ أي: في الليل أو

---

(١) سورة الرعد من الآية ٣٨ .

النهار. ﴿مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ المعنى كيف تستعجلون العذاب وإذا حل بكم لم ينفعكم إيمان ولا عمل كما قال تعالى ﴿فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ﴾[١]. ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[٢].

﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ۚ ءَآلْـَٰٔنَ﴾ أي: هل إذا وقع العذاب آمنتم وهل ينفعكم إيمانكم حينئذٍ ؟ وسوف تقول لكم ملائكة العذاب: أتؤمنون الآن وقد كنتم تستعجلون العذاب ؟

﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ أي: يقال للذين كذبوا واستكبروا عن عبادة الله ﴿ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ﴾ أي: أقيموا فيه إلى الأبد. ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ أي: هذا هو جزاء كفركم.

﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ﴾ أي: يستخبرك المشركون يا محمد على سبيل الإنكار والسخرية فيقولون عن قيام الساعة أحق هو ﴿قُلْ إِى﴾ أي: نعم ﴿وَرَبِّىٓ﴾ أقسم بربي. ﴿إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ أي: واقع لا محالة ولن تنجوا من العذاب ونظيره قول الله عز وجل ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾[٣].

---

(١) سورة غافر الآية ٨٤ .

(٢) سورة غافر الآية ٨٥ .

(٣) سورة التغابن الآية ٧ .

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير جهل المشركين في سؤالهم لرسول الله ﷺ عن موعد العذاب، وتعليم الله لرسوله أن يقول لهم، بأن سؤالهم هذا مرهون بأجل قدَّره الله ولا يعلمه إلا هو. تقرير أن الآجال محددة ومن بلغ أجله فلن يتقدم عليه أو يتأخر عنه. ومن الأحكام: أن الأجل إذا حل سواء بالعذاب أو بالموت فلن ينفع حينئذٍ الإيمان ولا التوبة. ومنها: أن قيام الساعة واقع لا محالة.

﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِۦ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ﴾ أي: أشركت وكفرت. ﴿مَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: ما فيها من الكنوز وغيرها. ﴿لَافْتَدَتْ بِهِۦ﴾ أي: لقدمته فدية من عذاب الله. ﴿وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ﴾ قد يكون المراد أن رؤساء المشركين أسروا الندامة من أتباعهم الذين أضلوهم عن الهدى وذلك خشية من تأنيبهم لهم كما قال عز وجل عنهم ﴿رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ

﴿أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾[١]. وقد يكون المراد أسروا الندامة أظهروها والكلمة من الأضداد. ﴿لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ أي: أسروا الندامة قبل دخولهم النار. أما إذا دخلوها فهم في شغل عن الكلام مما يصيبهم من العذاب ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾ أي: يقضي الله بعدله بين الظلمة والمظلومين والمؤمنين والمشركين. ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ أي: لا يُظْلَم أحد بل كل يجزى بما عمل.

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ هذا بيان وتوكيد لكون كل ما في السموات والأرض ملكاً لله يتصرف فيه كيف يشاء لا يشركه فيه أحد لا ملك مقرب ولا نبي مرسل. ﴿أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ أي: كل ما يعد الله به المؤمنين من الثواب وما يعد به المشركين من العذاب حق وواقع لا ريب فيه. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: إن الكثير من هؤلاء المشركين لا يعلمون ذلك حق العلم ﴿هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ أي: هو خالق الحياة وخالق الموت ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أي: إليه المآل والمآب فيرجع الخلق كلهم إليه ليجزيهم بما عملوا.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أنه لو كان للظالم كل ما في الأرض لتمنى أن يفتدي به نفسه يوم القيامة لما يراه من شدة هوله، مع أن من المحال أن يكون هناك

---

(١) سورة الأعراف من الآية ٣٨ .

فداء يوم القيامة، وإنما هي الأعمال توفى لأصحابها. ومن الأحكام: أن كل ما في السموات والأرض وما بينهما ملك لله عز وجل يتصرف فيه بحكمته ومشيئته.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٥٨ قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزۡقٖ فَجَعَلۡتُم مِّنۡهُ حَرَامٗا وَحَلَٰلٗا قُلۡ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمۡۖ أَمۡ عَلَى ٱللَّهِ تَفۡتَرُونَ ٥٩ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُونَ ٦٠ وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ٦١﴾

بيان الآيات:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ المخاطب هنا جميع الناس بما فيهم كفار قريش. ﴿قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ أي: جاءكم القرآن فيه وعظ من ربكم وفيه بشارة ونذارة لكم. ﴿وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾ أي: شفاء من أمراض القلوب والأنفس كالكفر، والنفاق، والوسواس كما

قال تعالى ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1].

﴿ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ﴾ أي: خير وبركة ﴿ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الذين آمنوا بالله واتبعوا ما أمرهم به وانتهوا عما نهاهم عنه.

﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ ﴾ أي: بفضل القرآن وبرحمة الإسلام ونبيه محمد ﷺ. ﴿ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ ﴾ أي: يكون فرحهم واستبشارهم بهذه النعم التي أنزلها الله عليهم. ﴿ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ أي: إن فضل الله هذا خير لهم ﴿ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ في الدنيا .

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم ﴾ المخاطب هنا المشركون في مكة ﴿ مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ ﴾ أي: ما أنزل الله من المطر وما أنبت به النبات وما خلق في الأرض من الأنعام ﴿ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا ﴾ المراد ما كانوا يحرمونه ويحلونه من البحائر والسوائب والوصائل والحام. ﴿ قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ﴾ أي: في تحليل ما تحلون، وتحريم ما تحرمونه ﴿ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ أي: إنكم تكذبون عليه وتقولون إنه أمركم بهذا.

﴿ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ أي: هل يظنون أن الله لن يحاسبهم ويجازيهم على كذبهم عليه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ أي: في تأخير العذاب لهم وإمهالهم لعلهم يتوبون من ضلالهم. وقيل: المراد أهل مكة حيث جعل لهم الأمن ورغد

---

(١) سورة الإسراء من الآية ٨٢ .

العيش ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ أي: المشركون ﴿لَا يَشْكُرُونَ﴾ أي: لا يشكرون الله على ما أنعم عليهم فيوحدوه ويتبرؤوا من الشرك به.

﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾ المخاطب رسول الله ﷺ والمعنى أن ما تكون فيه من العبادة كالصلاة وغيرها من العبادات ﴿وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ﴾ أي: ما تتلوه من كتاب الله. ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾ أي: ما تعمله أنت يا محمد وأمتك من عمل. ﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾ أي: نشهده ونعلمه كما قال تعالى ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾[١]. وقوله ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[٢].

﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ﴾ أي: تأخذون في قولكم وعملكم. ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ﴾ أي: ما يغيب عنه ﴿مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾ أي: وزن نملة صغيرة ﴿فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ أي: كل هذه الأشياء مدونة في اللوح المحفوظ كما قال تعالى ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[٣]. فتعالى الله في ملكه

---

(١) سورة غافر الآية ١٩ .

(٢) سورة المجادلة من الآية ٧ .

(٣) سورة الأنعام من الآية ٥٩ .

وتقدست أسماؤه وصفاته وتنزه عن الند والمثيل والنظير.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن في القرآن موعظة للمؤمنين وبشارة لهم, ونذارة للمعرضين, وأنه شفاء للقلوب من الأمراض والوساوس. ومن الأحكام: أن من الخير للعباد أن يفرحوا بنزول القرآن لأنه خير لهم مما يجمعونه من حطام الدنيا. ومنها: توبيخ المشركين ووعيدهم بالعذاب عندما تنكروا لنعم الله عليهم فحرَّموا ما لم يحله لهم, وأحلوا ما حرمه عليهم. ومنها: تحريم الكذب على الله ووعيد الله بالعذاب للمكذبين. ومنها: أن الله عز وجل شهيد على أعمال الخلق جلائلها ودقائقها سرها وعلانيتها.

﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ المراد بهم المتقون فلا هم يخافون في الآخرة كما قال تعالى ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾[1].

﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ لفقد الدنيا وفي وصفهم روى عمر بن الخطاب

(١) سورة الأنبياء من الآية ١٠٣ .

رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(إن من عباد الله عباداً ماهم بأنبياء ولا شهداء تغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله تعالى)** قيل: يارسول الله خبرنا من هم وما أعمالهم فلعلنا نحبهم قال: **(هم قوم تحابوا في الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطون بها فوالله إن وجوههم نور وإنهم على منابر من نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس)** ثم قرأ ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1].

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ هذا وصف وتعريف لأولياء الله. ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي: الرؤيا الصالحة, وفي هذا روى عبادة بن الصامت أنه قال لرسول الله ﷺ: لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة فقد عرفنا بشرى الآخرة الجنة فما بشرى الدنيا؟ قال: **(الرؤيا الصالحة يراها العبد أو ترى له وهي جزء من ستة وأربعين جزءًا أو سبعين جزءاً من النبوة)**[2]. وقيل: إن

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده مطولاً ج٥ ص٣٤٣، بألفاظ مختلفة وأبو داود في كتاب الإجارة، باب في الرهن برقم (٣٥٢٧)، سنن أبي داود ج٣ ص٢٧٤، مختصراً، والترمذي في كتاب الزهد، باب ما جاء في الحب في الله، برقم (٢٣٩٠)، سنن الترمذي ج٤ ص٥١٥، والزمخشري في الكشاف ج٣ ص١٥٤، وأبو نعيم في حلية الأولياء ج١ ص٥، والهيثمي في مجمع الزوائد ج١٠ ص٢٧٩ .

(٢) أخرجه ابن ماجة في كتاب تعبير الرؤيا، بالأرقام من (٣٨٩٣-٣٨٩٨)، والترمذي في كتاب الرؤيا قوله تعالى ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ برقم (٢٢٧٣)، سنن الترمذي ج٤ ص٤٦٣، وأحمد في مسنده ج٥ ص٣١٥، والدارمي في كتاب الرؤيا، باب في قوله تعالى ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ برقم (٢١٣٦)، سنن الدارمي ج٢ ص١٦٥ .

المراد بالبشرى في الدنيا بشرى الملائكة للمؤمن عند احتضاره بالجنة كما قال الله عزوجل ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[1]. ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾[2].

﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي: إن هذا وعده وأنه لا يخلف الميعاد. ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ أي: إن ما ينال أولياؤه من البشرى في الدنيا وفي الآخرة هو الفوز العظيم الذي يفوزون به.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن من آمن بالله إيماناً صادقاً واتقاه بفعل أوامره, وترك نواهيه أصبح من أوليائه فلا يحزن على ما فاته من الدنيا, ولا يخاف من هول الآخرة. ومن الأحكام: أن البشرى في الدنيا هي الرؤيا الصالحة يراها العبد أو ترى له. ومنها: أن ولاية الله للمؤمنين وبشراهم في الدنيا والآخرة وعد منه عز وجل لا يتبدل ولا يتغير.

﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ

(١) سورة فصلت الآية ٣٠ .

(٢) سورة فصلت الآية ٣١ .

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾﴾

بيان الآيات:

﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ المخاطب رسول الله ﷺ والمراد تسليته عليه الصلاة والسلام عما لقيه من المشركين, والمعنى لا يحزنك تكذيبهم لك وافتراؤهم عليك ﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ﴾ أي: له القوة الغالبة والعظمة القاهرة فهو الذي يعينك وينصرك على أعدائك ﴿هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ أي: هو السامع لأقوال المشركين العليم بأفعالهم.

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِۗ﴾ أي: إن الكون علوه وسفله وما فيه هو لله وحده يتصرف فيه كيف يشاء لاراد لقضائه ولا معجز لحكمه. ﴿وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَۚ﴾ المراد أن الذين يدعون من دون الله شركاء لا يدعون شركاء حقيقيين لأن الله ليس له شريك في ربوبيته وألوهيته أو أسمائه أو صفاته ومحال أن يكون له ذلك ﴿إِن يَتَّبِعُونَ

﴿إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ أي: إن هؤلاء يظنون كذباً أن لله شركاء يشفعون لهم ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ أي: يخمنون تخميناً باطلاً.

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾ هذا إخبار من الله عزوجل بما امتن به على عباده بأن جعل لهم الليل سكناً وراحة لهم مع أزواجهم وذرياتهم, وجعل النهار مبصراً لهم يبتغون فيه من فضله لمعاشهم وحياتهم﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ﴾ أي: علامات ودلالات بينات. ﴿لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ أي: يعلمون أنه المستحق وحده للعبادة.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن على الدعاة إلى دين الله ألا يحزنوا أو يتأثروا من أقوال أهل الضلال أو تكذيبهم لهم؛ لأن سنة الله قد مضت في إظهار دينه ونصرة أوليائه على أعدائهم. ومن الأحكام: أن الذين يدعون مع الله غيره ليس لهم برهان أو دليل، وإنما يظنون كذباً أن من يعبدونهم يشفعون لهم عند الله. ومنها: أن قدرة الله المتجلية في الآيات الكونية كافية للعقلاء في الإيمان بأنه الإلَه الواحد المستحق وحده للعبادة.

﴿قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ ۚ أَتَقُولُونَ

عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٌ فِي ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾.

بيان الآيات:

قوله ﴿قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ المراد بهم الكفار كقول النصارى إن المسيح ابن الله ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ أي: تعظَّم وتنزَّه عن الصاحبة والولد ﴿هُوَ ٱلْغَنِيُّ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: غَنِيٌّ في ذاته العلية وَغَنِيٌّ عن خلقه كما قال عز وجل ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾(١). ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: كل من فيهن خلقه وعباده وتحت مشيئته كما قال عز ذكره ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾(٢). ﴿إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ﴾ أي: ما عندكم من برهان ولادليل إشارة إلى قولهم ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾. ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ استفهام إنكاري وتوبيخ لهم على ما قالوه.

﴿قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ أي: إن الذين يكذبون على الله ﴿لَا يُفْلِحُونَ﴾ أي: لا فلاح ولا أمن لهم. ﴿مَتَٰعٌ فِي ٱلدُّنْيَا﴾

---

(١) سورة الأنعام من الآية ١٤ .

(٢) سورة مريم الآية ٩٣ .

أي: يكون مكثهم في الدنيا مدة قليلة. ﴿ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ﴾ أي: يرجعون إلينا. ﴿ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلۡعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ﴾ أي: الأليم. ﴿بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ﴾ أي: نذيقهم هذا العذاب بسبب كفرهم.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بتحريم نسبة الولد إلى الله، فهو جل ثناؤه منزه عن الصاحبة والولد، وأن كل من في السموات والأرض ومن فيهن وما بينهما ملكه وعبيده وتحت تصرفه. ومن الأحكام: كذب من ينسب الولد إلى الله لأنه يقول ذلك بلا علم ولا برهان. ومنها: أن من يفتري الكذب على الله لن يفلح أبداً وأن بقاءه في الدنيا مجرد متاع زائل ثم يرجع إليه ليذيقه العذاب جزاء كفره.

﴿۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ (٧١) فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ (٧٢) فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ خَلَٰٓئِفَ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ (٧٣)﴾.

بيان الآيات:

﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ﴾ المخاطب رسول الله ﷺ فقد أمره الله أن يقص على المشركين خبر قوم نوح وتكذيبهم لنبيهم وما حل بهم من العذاب جزاء كفرهم ﴿إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي﴾ أي: صعب عليكم ﴿مَّقَامِي﴾ أي: مكثي بينكم. ﴿وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي: قيامي بموعظتكم وبيان آيات الله لكم. ﴿فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ﴾ أي: استعنت واستعذت فلا يضرني حينئذٍ عداؤكم لي ﴿فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ﴾ أي: اعزموا أنتم وشركاءكم من الأصنام الذين تعبدونهم ﴿ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةً﴾ أي: لا تستهزئوا وتستخفوا فيما أجمعتم عليه ﴿ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ أي: لا تتأخروا فيما أنتم متفقون عليه ضدي فإني متوكل على الله وهو حسبي وكافٍ فلا تضرني عداوتكم. وما كان نوح عليه السلام ليقول هذا لقومه إلا وهو يعلم أن الله سيحميه لأنه يبلغ رسالته، ومن يحميه الله وينصره فلا يخشى أحداً من خلقه.

﴿فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍ﴾ أي: إن أعرضتم عن دعوتي لكم فهذا شأنكم فلم أسالكم عن أجر لي على دعوتي لكم. ﴿إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي: إنما انتظر الأجر من الله على إبلاغ رسالته. ﴿وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ أي: إن الله أمرني أن أكون

من عباده الموحدين المخلصين في عبادته المحاربين لمن يشرك به.

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ أي: كذبه قومه. ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ﴾ أي: أنقذناه والمؤمنين معه في السفينة من الغرق ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ﴾ أي: بقي هؤلاء المؤمنون الذين هم الخلف بعد الذين غرقوا. ﴿وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ أمر لرسول الله ﷺ وأتباعه أن يعرفوا أن عاقبة الذين يكذبون رسل الله هي الهلاك.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير شجاعة نبي الله نوح عليه السلام وهو يدعو قومه إلى توحيد الله وطاعته. ومن الأحكام: فضل التوكل على الله وما يتحلى به صاحبه من الإيمان والشجاعة والقوة لعلمه أن الله يكفيه ويؤيده كما قال عزوجل ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾(١). ومنها: أن من دعا إلى الله لا يكون له أخذ أجر على دعوته خاصة الأنبياء والرسل عليهم السلام. أما من عداهم فالأصل -كما سبق ذكره- عدم أخذ الأجرة على الدعوة ما لم يكن الداعي محتاجاً إليها بسبب انقطاع رزقه. ومنها: أن مآل المكذبين لرسل الله الهلاك والعذاب.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾﴾

---

(١) سورة الطلاق من الآية ٣ .

ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾

بيان الآيات:

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي: من بعد نوح ﴿رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ﴾ ومنهم صالح وهود وإبراهيم ولوط وشعيب. ﴿فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أي: بالبراهين والمعجزات. ﴿فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ﴾ أي: ما كانوا ليؤمنوا بالذي كذب به من كان قبلهم من الأمم كقوم نوح والمراد تكذيبهم بما جاءتهم به رسلهم من وجوب توحيد الله وترك الشرك ﴿كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ أي: نختم على قلوب المعتدين بسبب تكذيبهم لرسلهم وكفرهم بما جاؤوهم به.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم﴾ أي: بعثنا من بعد الرسل المشار إليهم ﴿مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ﴾ أي: خاصته. ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾ وهي الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم. ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ أي: أعرضوا عن الحق والهدى. ﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ أي: ضالين.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا﴾ أي: لما جاء موسى إلى فرعون

وقومه بالحق من عند الله ﴿قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾ أي: وصفوا المعجزات التي جاء بها موسى بأنها سحر من عند موسى ﴿قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمۡۖ أَسِحۡرٌ هَٰذَا﴾ استفهام إنكاري عليهم حين وصفوا رسالة الله ومعجزاته بالسحر ﴿وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ﴾ أي: قولهم لا يفلح موسى الذي أتى به.

﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا﴾ أي: قال فرعون وقومه: أجئتنا بما تقوله لكي تصدنا وتثنينا. ﴿عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا﴾ أي: العبادة التي تعبد بها آباؤنا. ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: العزة والسيادة وملك مصر. ﴿وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ﴾ أي: لن نؤمن بما قلت أنت وأخوك.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن الأمم التي كذبت رسلها واستمرت على فسادها انطبعت قلوبها بالضلال فحرمها الله الهداية، وهذا يقتضي أن كل أمة أو قوم يكفرون بالله سوف يتعرضون لمثل ما تعرضت له الأمم البائدة. ومن الأحكام: في الآيات: تحريم الكبر والطغيان. ومنها: أن السحر كفر - كما سبق ذكره - وأن الساحر لا يفلح في سحره كما قال عزوجل ﴿وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ﴾(١).

﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ٱئۡتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٖ ٧٩ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ

(١) سورة طه من الآية ٦٩.

لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ﴾ أي: أمر فرعون خاصته أن يأتوه بالمهرة من السحرة في مصر ظنا منه أن المعجزات التي جاء بها موسى هي سحر من عنده.

﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ﴾ أي: بعد ما جمعوهم من أقاليم مصر. ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ﴾ أي: ابدؤوا سحركم بإلقاء حبالكم وعصيكم لنرى كيف تكون. ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ﴾ أي: ما جئتم به سحر. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ﴾ أي: سوف يزيله بقدرته ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ أي: يفسد عمل المفسدين لأن السحر فساد، والفساد لا يدوم. ﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ﴾ أي: يبينه. ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ أي: ببراهينه. ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ المراد بهم فرعون وقومه.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير جهل فرعون وغبائه حين ظن أن الآيات التي جاء بها موسى سحر. تقرير أن السحر عمل فاسد، وأن الله لا يحب الفساد. ومن الأحكام: أن الحق لابد أن يعلو ولو فعل المجرمون ما فعلوا لصده.

﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ﴾ قيل: إنه لم يؤمن به إلا طائفة من ذرية بني إسرائيل لأنه كما قيل: دعا آباءهم فلم يستجيبوا له خوفاً من فرعون وإن الذي أجابته طائفة من ذرياتهم[1] ﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ﴾ أي: كانوا مع إيمانهم على خوف ووجل من فرعون وقومه. ﴿أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ أي: يعاقبهم. ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: متكبر ظالم. ﴿وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ أي: من المتجاوزين الحد في الظلم والفساد.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ﴾ أي: إن كنتم صدقتم به وبوعده لكم ﴿فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟﴾ أي: استعينوا به واعتمدوا عليه ﴿إِن

(١) تفسير البغوي ص٦٠٧، وزاد المسير لابن الجوزي ص٦٣٣.

كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾ أي: مستسلمين له بالطاعة مجتنبين للمعصية. والمراد أنه عليه السلام قال لهم: إذا كنتم صادقين في إسلامكم فلا تخافوا من فرعون وقومه لأن الله سوف يحميكم من ظلمه وينصركم عليه.

﴿ فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ﴾ أي: استجبنا لما قلت وأسلمنا أنفسنا وحاجاتنا إلى الله ورضينا بما يحكمه فينا, وفي فرعون وقومه.﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ أي: لا تعذبنا بأيدي أعدائنا فيكون في ذلك شماتة بنا ﴿ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ ﴾ أي: أنقذنا برحمتك ﴿ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ أي: من فرعون وقومه.

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا ﴾ أي: أمرنا موسى وأخاه أن يجعلا لقومهما بيوتاً في مصر يعبدون الله فيها خاصة وكانوا يخشون من الجهر بصلاتهم ﴿ وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً ﴾ أي: اجعلوا هذه البيوت شطر القبلة ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ أي: حافظوا عليها ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي: بشر المؤمنين بأن الله سينصرهم.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أنه رغم تكذيب الأمم لرسلهم فإن طوائف منهم تؤمن بهم وتصدقهم كما آمنت طائفة من بني إسرائيل, وكما فعلت طائفة من العرب مع رسول الله محمد ﷺ في بداية دعوته. ومن الأحكام: تحريم

الطغيان والاستكبار على الضعفاء. ومنها: وجوب توكل الداعي على الله، وأن يتوسل إليه أن يوفقه في دعوته وينجيه من أعدائه. ومن الأحكام: وجوب إقامة الصلاة في المساجد تجاه القبلة؛ فإن تعذرت إقامتها في حال الخوف وجب إقامتها في البيوت[1].

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ (٨٨) قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٨٩) ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾أي: وهبتهم أموالاً من كل صنف ﴿رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ ﴾أي: إنهم مع ما أعطيتهم من نعمك وفضائلك فإنهم كفروا بذلك وليس ذلك منهم فحسب، بل إنهم يصدون عن سبيلك بالظلم والطغيان. ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾أي: أهلك أموالهم ﴿وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾أي: اطبع عليها. ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾ في هذا معنى الدعاء على فرعون وقومه؛ ذلك أن موسى لما يئس من قبول فرعون لرسالة الله دعا عليه وعلى قومه بهلاك أموالهم والطبع

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٣٧١-٣٧٣ .

على قلوبهم وإنزال العذاب بهم فكان يدعو وأخوه هارون يؤمِّن.

﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ المراد أن الله استجاب دعاءهما لإهلاك فرعون وقومه ﴿فَٱسْتَقِيمَا﴾ أي: اثبتا على ما أمرتكم به ﴿وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: تجنّبا طريق الذين لايعلمون ما وعدتهم به من الثواب إذا اهتدوا, وما حذرتهم من الوعيد إذا ضلوا.

أحكام ومسائل الآيتين:

مشروعية الدعاء على الكافرين في شرع من قبلنا. أما في شرعنا فكان رسول الله ﷺ يدعو على قوم من العرب فأنزل الله تعالى قوله ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾[١]. وقال عليه الصلاة والسلام (**لم أبعث لعاناً ولكني بعثت رحمة**)[٢]. وكان عليه الصلاة والسلام يقول (**رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**)[٣].

قلت: وإذا تمادى الظلمة في ظلمهم, وانتهكوا حرمات الله, وعتوا في الأرض فساداً فالدعاء عليهم مستحب, بل ومشروع لما فيه من طلب نصر الله للمؤمنين وكف أذى الظالمين.

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٢٨ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها، برقم (٢٥٩٩)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١٠ ص٦٦١٨ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، باب (٥٤)، برقم (٣٤٧٧)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٦ ص٥٩٣ .

ومن الأحكام: تقرير أن اتباع الشهوات والملذات واللهو عن ذكر الله وسيلة إلى الفساد. ومنها: تحريم اتباع سبيل أهل الضلال.

﴿ ۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ ﴾أي: دخلوا البحر وهو بحر القلزم -البحر الأحمر- حتى خرجوا منه ﴿ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ ﴾أي: أن مراده كان البغي والعدوان على موسى وأخيه. ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ ﴾أي: إن فرعون لما عرف أنه سيغرق لا محالة. ﴿قَالَ ءَامَنتُ ﴾أي: صدقت وأخلصت الإيمان لله. ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ لما آمن فرعون عند معرفته بغرقه لم يك ينفعه إيمانه لأنه عصى وظلم في الوقت الذي كان له فسحة من عمره ونظيره قول الله تعالى ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[١].

---

(١) سورة غافر الآية ٨٥ .

﴿ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ ﴾ والمعنى أفي هذا الوقت تقول آمنت وقد ظلمت واستكبرت وطغيت وكذبت بما جاءك به موسى ﴿ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ أي: من الطغاة والظلمة في الأرض.

﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ﴾ المراد أن الله طرحه على نجوة الأرض أي: مكان مرتفع بعد غرقه؛ ذلك أن بني إسرائيل من شدة رهبتهم وخوفهم من فرعون ما كانوا ليصدقوا أنه غرق في البحر فألقاه الله على الأرض حتى يروه ﴿ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ﴾ أي: عبرة لبني إسرائيل ومن لم يدركه الغرق من القبط لعدم وجوده مع فرعون وجنوده ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴾ أي: ساهون عن التفكير والتدبر في آياتنا.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير غرق فرعون وجنده جزاء بغيه وظلمه، وعدم قبول توبته لأن التوبة لا تنفع عند مشاهدة الهلاك كما قال تعالى ﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ ﴾(١). ومن الأحكام: أن الاستمرار على الفساد والظلم يحول بين الظالم وبين الهداية. ومنها: وجوب الاعتبار بما يحدث للظالمين من العذاب وأن من خطأ الناس غفلتهم عن التفكر والتدبر في آيات الله، وما يمن به من الفضل على المؤمنين منهم، وما ينزله من العذاب على الظالمين.

---

(١) سورة النساء من الآية ١٨ .

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٖ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُواْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾﴾.

بيان الآية:

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٖ﴾ لعل المراد أن الله بعد أن أهلك فرعون وقومه بالغرق جعل لبني إسرائيل منزلاً طيباً في مصر حيث سادت ديانتهم هناك على يد موسى عليه السلام ثم دأبوا يطلبون الرحيل إلى بلاد الشام فقادهم موسى ولكنهم نكلوا عن قتال الكنعانيين الوثنيين كما قال الله عزوجل عنهم ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ﴾[1]. فلهذا غضب الله عليهم فتشردوا في التيه أربعين سنة وقد سبقت الإشارة إلى ذلك.

﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ أي: مامَّن الله به عليهم من طيبات الأرض من ثمار وغيرها ﴿فَمَا ٱخْتَلَفُواْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُۚ﴾ المراد أن بني إسرائيل كانوا على دينهم ولم يختلفوا فيه، وكانوا ينتظرون مبعث النبي الذي بشّر الله به في التوراة لينقذهم من التشرد ومن العذاب الذي ينزل بهم في أي مكان يكونون فيه كما حدث لهم من

(١) سورة المائدة الآية ٢٢ .

قِبَلِ الرومان. فلما جاءهم العلم وهو القرآن المنزل على رسول الله ﷺ اختلفوا فآمن منهم قوم كعبد الله بن سلام، وكفر منهم قوم وهم الأكثرون ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ﴾ أي: يحكم ويفصل بينهم ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ أي: يفصل في عملهم فيجازي المحسن بالثواب والمسيء بالعقاب.

أحكام ومسائل الآية:

تقرير فضل الله على المؤمنين من بني إسرائيل بنجاتهم من فرعون، وإنعام الله عليهم بالطيبات من الرزق مما كانت الأرض تنتج لهم من الثمرات المختلفة. تقرير أنهم حين أنكروا نعم الله عليهم فلم يشكروها غضب عليهم فتشردوا في التيه. ومن الأحكام: أن من أسباب الهلاك الاختلاف في الدين، وهذا ما حدث لبني إسرائيل حين أنكر بعضهم رسالة رسول الله ﷺ وكذبوها رغم علمهم بها في كتابهم.

﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (٩٤) وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٩٥) إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ (٩٦) وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٩٧)﴾.

بيان الآيات:

﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ الخطاب لرسول الله ﷺ والمراد غيره لأن رسول الله ﷺ لايشك فيما أنزل الله إليه, وحاشاه أن يكون كذلك. وقيل: إن المراد قل يامحمد للكافر فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك[1]. ﴿فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾أي: إن كنت في شك من القرآن فاسأل الذين يعرفون الكتاب ويعلمونه ﴿لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾أي: جاء القرآن بالهدى ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾أي: الشاكين فيه.

﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ الخطاب لرسول الله ﷺ والمراد به غيره كذلك ومعنى كذبوا بآيات الله أي: جحدوها واستكبروا عن التصديق بها ﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ أي: الهالكين الذين خسروا دنياهم وأخراهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾أي: لا يؤمنون إيمانا صحيحاً يكون لهم عليه أجر وثواب لأنهم كفروا بآيات الله واستكبروا عنها فطبع الله على قلوبهم فهم لايؤمنون ﴿وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ﴾أي: لو جاءتهم كل الآيات فلن يؤمنوا لأن الله غضب عليهم بسبب إصرارهم على الكفر ﴿حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾أي: لن

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٣٨٢، وتفسير البغوي ص٦٠٩، وزاد المسير لابن الجوزي ص٦٣٧ .

يؤمنوا حتى يحل بهم العذاب - كما فعل فرعون عندما حل به الموت - وحينئذٍ لا ينفعهم إيمانهم كما قال عز وجل ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا﴾[1].

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير نبوة ورسالة رسول الله محمد ﷺ ونفي الشك عنه. ومن الأحكام: أن من كذب بآيات الله سيكون حتماً من الخاسرين. ومنها: أن من لا يؤمن بآيات الله أو يكذب بها يطبع الله على قلبه فلا يؤمن حتى يرى العذاب وحينئذٍ لا ينفعه إيمانه.

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

بيان الآيات:

﴿فَلَوْلَا﴾ أي: هلاّ، وهي هنا لتوبيخ المشركين في مكة على شركهم وإصرارهم على عدم التوبة كما تاب الله على قوم يونس ﴿كَانَتْ قَرْيَةٌ

(١) سورة غافر من الآية ٨٥.

﴿ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾ أي: أن القرى التي أهلكها الله ما كانت آمنت إلا قوم يونس؛ ذلك أن قومه عليه السلام كانوا يسكنون في (نينوى) في العراق وكانوا عبدة للأوثان فأرسل الله إليهم يونس يدعوهم إلى توحيد الله وطاعته، وترك ماهم عليه من عبادة الأوثان فأبوا عليه وهو يدعوهم تسع سنين. فلما يئس من هدايتهم قيل له: أخبرهم أن العذاب سوف يصبحهم ففعل فقالوا: إنه لرجل لا يكذب فراقبوه فإن أقام معكم فلا عليكم، وإن ارتحل عنكم فهذا دليل على نزول العذاب.

فلما كان من الليل خرج عنهم فلما أجمعوا لم يجدوه فتجردوا للتوبة، وأظهروا الإيمان، ولبسوا مسوحهم، وضجوا بالدعاء وفرقوا بين الأمهات والأولاد من الناس والبهائم، وردوا المظالم وكان الرجل يأتي الحجر قد وضع عليه أساس بنيانه فيقتلعه ويرده. فلما علم الله صدق توبتهم تاب عليهم ورد عنهم العذاب الذي كان يحيق بهم[1] وأساس هذا قوله عز وجل ﴿لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ وهو العذاب الذي وعدهم به يونس وحذرهم منه ﴿وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ أي: منعنا عنهم الهلاك إلى أجلهم المسمى.

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ المراد أن الله عز ذكره لو أراد لجعل الناس كلهم مؤمنين؛ فهو القادر على ذلك

(١) الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٣٨٤ . سيرد الحديث عن يونس وقومه في موضعه.

كما قال تعالى ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾[١]. ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ في هذا جواب لرسول الله ﷺ على حرصه على إيمان الناس فأرشده الله إلى أن الناس لن يؤمنوا كلهم؛ فلن يؤمن إلا من علم الله إيمانه فكتب له الإيمان كما قال تعالى ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾[٢].

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي: لا تستطيع نفس أن تؤمن إلا بعدما قدر الله لها أن تؤمن. ﴿وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ أي: يجعل العذاب على الذين يصرون على الكفر.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن الله لطيف بعباده يحب توبتهم وإنابتهم إليه حتى يرحمهم ولا يعذبهم. ومن مسائل الآيات وأحكامها: أن العباد إذا أذنبوا ثم تفكروا في علامات الهلاك - كما فعل قوم يونس - ثم تابوا تاب الله عليهم وكشف عنهم ما كان سيصيبهم لو استمروا على ذنوبهم. ومنها: أن الإيمان بيد الله فهو يعلم المهتدين فيهديهم إلى الإيمان كما قال عز وجل ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾[٣]. ومنها: أن العذاب يصيب الذين يصرون على الكفر.

---

(١) سورة هود من الآية ١١٨ .

(٢) سورة القصص من الآية ٥٦ .

(٣) سورة الكهف من الآية ١٧ .

﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِهِمْ ۚ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ المراد الأمر للكفار أن يتدبروا ما في السموات والأرض من الآيات والبراهين الدالة على صنع الله وعظمته وتدبيره لهذا الكون، وما يستحقه من عبادته وتوحيده وطاعته ونفي الشرك عنه ﴿ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ ﴾ أي: الدلالات ﴿ وَٱلنُّذُرُ ﴾ أي: المرسلون. ﴿ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ أي: أن هذه الدلالات والنذر لا تغني شيئاً عمن أصر على الكفر واستكبر عن دعوة الله وفضل الكفر على الإيمان والضلال على الهدى.

﴿ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِهِمْ ۚ ﴾ أي: هل ينتظر هؤلاء الكفار إلا أن يأتيهم العذاب والهلاك الذي أتى من كان قبلهم من الأمم كحال قوم نوح وصالح ولوط. ﴿ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓاْ ﴾ أي: قل يا محمد لهؤلاء المشركين ﴿ فَٱنتَظِرُوٓاْ ﴾ أي: تربصوا وفي هذا تهديد ووعيد لهم. ﴿ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴾ أي: المتربصين لما وعدني ربي.

﴿ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا ﴾ لما ذكر الله ما ينتظر الكافرين من العذاب بيّن عز وجل أنه إذا أحل العذاب بقوم نجّى رسولهم الذي أرسل إليهم كما نجّى المؤمنين منهم. ﴿كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: لازم علينا.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن الذكرى والموعظة لا تنفع من صد عن ذكر الله واستمرأ الكفر والضلال لأن المواعظ والذكر لا ينفع إلا المؤمنين كما قال عزوجل ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1]. ومن الأحكام: تهديد الظالمين بما يصيبهم من العذاب إذا استمروا على ظلمهم لأن حالهم في ذلك حال الأمم التي أهلكها الله بسبب ظلمها. ومنها: أن الله عز وجل ينجي المؤمنين من الهلاك والعذاب.

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ ﴾.

(١) سورة الذاريات الآية ٥٥ .

بيان الآيات:

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ المخاطب رسول الله ﷺ والمراد قل يا محمد لكفار مكة: ﴿إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي﴾ أي: إن كان قد ارتابكم ريب من دين الإسلام الذي أمركم الله به. ﴿فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: لا أعبد أبداً الأوثان التي تعبدونها لأن عبادتكم لها شرك وضلال. ﴿وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ﴾ أي: أعبد الذي نفسي وأنفسكم بيده؛ فهو الذي خلقكم ثم يتوفاكم ثم يحييكم فهو المستحق للعبادة ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: من الذين آمنوا بالله وصدقوه وامتثلوا لأمره واجتنبوا نهيه.

﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ هذا عطف على قوله ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ والمراد أن أستقيم على ما أمرني به ربي وهو دين الإسلام وترك كل دين سواه ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ عطف كذلك على قوله ﴿وَأُمِرْتُ﴾ والمراد أن الله أمرني أن أعبده وحده ولا أشرك معه غيره. ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ﴾ المخاطب رسول الله وأمته والمعنى لا تعبد من دون الله ما لا ينفعك إن عبدته ولا يضرك إن عصيته فإن عبدت غير الله كنت من الظالمين.

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ أي: إن أصابك بضرّ فلن يمنعه ولا يزيله إلا هو فهو القادر على ذلك ولا أحد يقدر عليه غيره. ﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ﴾ أي: ينعم عليك بنعمة ﴿فَلَا

رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ﴾ أي: لايقدر أحد على منعها. ﴿يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾ أي: يصيب من يشاء من عباده بالسراء والضراء. ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ أي: الغافر لسيئات عباده وذنوبهم، الرحيم بهم في الدنيا والآخرة.

أحكام ومسائل الآيات:

وجوب الثبات على الدين والاستقامة عليه مهما كان المشككون فيه، ومهما تعاظمت الفتن نتيجة هذا التشكيك لأن المؤمن إذا ثبت على دينه ثبته الله عليه كما قال عز وجل ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾(١). ومن الأحكام: أن دعاء المخلوقين مع الله يعد شركاً لأن الدعاء عبادة، وهذه لا تكون إلا لله وحده. ومنها: أنه يجب على العبد أن يؤمن إيماناً صادقاً بأن ما يصيبه من السراء والضراء إنما هو من الله وأن أي مخلوق لا يستطيع رده عنه.

﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ (١٠٨) وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَـٰكِمِينَ (١٠٩) ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ أي: قل يا محمد

(١) سورة إبراهيم من الآية ٢٧ .

لكفار مكة وغيرهم: قد جاءكم كتاب الله المنزل علي من ربكم. ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ أي: صدّق ما جئت به ﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ﴾ أي: إن نفع هذا الهدى عائد له. ﴿وَمَن ضَلَّ﴾ أي: كفر بما جئت به واتبع هواه واستمر على الشرك. ﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ أي: إن ضرر ذلك على نفسه. ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ أي: لست عليكم بحفيظ أحفظ لكم أعمالكم وإنما تحفظها الملائكة الموكلون بكم.

﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ﴾ أي: اعمل بما أوحي إليك واصبر عليهم وقد ذكر ابن عباس رضي الله عنه أن هذه الآية لما نزلت جمع رسول الله ﷺ الأنصار وحدهم وقال لهم: (**إنكم ستجدون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض**). ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ أي: انتظروا حتى يوم المعاد ليحكم بين خلقه بالميزان والقسط.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن القرآن قد أنزل على رسول الله ﷺ هدى للناس، وأنه حق، وأن رسالة رسول الله ﷺ حق. الحكم بأن من اهتدى فإن نفع ذلك يعود عليه وحده ومن ضل فضلاله على نفسه كما قال عز وجل ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾(١). وقوله جل ثناؤه ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾(٢).

---

(١) سورة فصلت من الآية ٤٦ .

(٢) سورة البقرة من الآية ٢٨٦ .

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة هود

مكية وآياتها مائة وثلاث وعشرون آية[(١)]

﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ٢ وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ ٣ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٤ أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٥﴾

بيان الآيات:

﴿الٓر﴾ سبق القول فيها. ﴿كِتَٰبٌ﴾ المراد به القرآن ﴿أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ أي: جعلها الله محكمة متقنة لا خلل ولا تناقض فيها. ﴿ثُمَّ فُصِّلَتۡ﴾ أي: بينت بياناً شافياً أحكام الله في الحلال والحرام والثواب والعقاب. ﴿مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ أي: جاء هذا التفصيل من عند الله الحكيم لما يفعله، الخبير بما يكون وما لا يكون.

---

(١) لما قيل لرسول الله ﷺ يا رسول الله قد شبت قال: (شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت). جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٧ ص١٧٩، وتفسير البغوي ص٦١٢ .

﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ المراد أن الله أحكم آياته وفصلها للعباد بألايعبدوا إلا إياه مخلصين له الدين كما قال تعالى ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾[١]. ﴿إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ﴾ أي: من الله. ﴿نَذِيرٌ﴾ أي: منذر بالعذاب لمن أعرض عنه بعد أن جاءته هذه الآيات المحكمات. ﴿وَبَشِيرٌ﴾ بالثواب لمن أطاعه واتبع ما جاءت به هذه الآيات. ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ﴾ أي: اطلبوا مغفرته وتجاوزه عن سيئاتكم. ﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ﴾ أي: تخلوا عن معصيتكم له وذلك بالرجوع إليه ليتوب عليكم. ﴿يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا﴾ المراد أنكم إذا استغفرتموه وتبتم إليه هيأ لكم أسباب الرزق والعيش الحسن كما قال تعالى على لسان نبيه نوح لقومه ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾[٢]. ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾[٣]. ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾[٤]. ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: إلى نهاية حياتكم في الدنيا. ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾ أي: يحاسب كل صاحب عمل على عمله فمن تاب وعمل صالحاً استحق ثواب الله. ﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ أي: إن أعرضوا عن التوبة وعن الاستغفار وعن عبادة الله وحده فإني أخاف عليهم

(١) سورة الأنبياء الآية ٢٥ .
(٢) سورة نوح الآية ١٠ .
(٣) سورة نوح الآية ١١ .
(٤) سورة نوح الآية ١٢ .

من عذاب يوم القيامة. ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡۖ﴾ أي: معادكم ومآلكم يوم القيامة. ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ أي: قادر على جزاء كل عامل بعمله.

﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ﴾ المراد به المعادون لرسول الله ﷺ من المشركين والمنافقين. قال ابن عباس: المعنى يخفون ما في صدورهم من العداوة والشحناء ويظهرون خلافه ومنهم الأخنس بن شريق؛ فقد كان هذا حلو اللسان يلقى رسول الله ﷺ بما يحب وقلبه ينطوي على العداوة له[1]. وقيل: إن المراد أن أحد المنافقين إذا مر برسول الله ﷺ ثنى صدره وطأطأ رأسه وغطى وجهه لكيلا يراه فيدعوه إلى الإيمان[2]. وقيل: إن المراد قوم من المسلمين كانوا يسترون أجسامهم ولا يكشفونها تحت السماء[3] فبيَّن الله تعالى أن المهم ما في قلوبهم من الاخلاص له. ﴿لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ﴾ أي: يتخفوا من رسول الله ﷺ. ﴿أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ﴾ أي: يضعون ثيابهم على رؤوسهم ليغطوها. ﴿يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾ أي: ما يخفونه في أنفسهم. ﴿وَمَا يُعۡلِنُونَۚ﴾ أي: مايقولونه علانية لرسول الله ﷺ خلاف ما في قلوبهم. ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ أي: يعلم ما في قلوبهم كما قال تعالى ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ﴾[4].

(١) تفسير ابن وهب ج١ ص٣٥٥، وزاد المسير لابن الجوزي ص٦٤٢ .

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٧ ص١٨٣، وتفسير البغوي ص٦١٣ .

(٣) تفسير البغوي ص٦١٣، وزاد المسير لابن الجوزي ص٦٤٢ ،

(٤) سورة غافر الآية ١٩ .

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير ثناء الله على القرآن وأنه أحكم آياته وفصَّلها ليعلم العباد علم يقين أن عليهم عبادة الله وحده، وأن رسوله جاءهم بالنذارة إذا عصوه، وبالبشارة إذا أطاعوه؛ وليعلموا كذلك أن عليهم أن يستغفروه ويتوبوا إليه لكي يهيأ لهم أسباب الرزق إلى حين بلوغ آجالهم المسماة. ومن الأحكام: أن من أقام على المعصية وأعرض عن التوبة والاستغفار من ذنوبه معرض لعذاب الله بعد رجوعه إليه. ومنها: تقرير جهل المشركين والمنافقين وغبائهم في التخفي عن رسول الله ﷺ لكيلا يراهم فيدعوهم إلى عبادة الله. ومنها: الحكم بأن الله يعلم أسرار خلقه وعلانيتهم لا تخفى عليه منهم خافية.

﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ۝٦ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۗ وَلَئِن قُلۡتَ إِنَّكُم مَّبۡعُوثُونَ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡمَوۡتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ۝٧ وَلَئِنۡ أَخَّرۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٖ مَّعۡدُودَةٖ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحۡبِسُهُۥٓۗ أَلَا يَوۡمَ يَأۡتِيهِمۡ لَيۡسَ مَصۡرُوفًا عَنۡهُمۡ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ۝٨﴾.

بيان الآيات:

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ المراد بالدابة كل شيء حي يمشي على الأرض من الإنسان والحيوان والحشرات. ﴿إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ أي: إن الله تكفل برزقها تكفل فضل لاوجوب كما قال تعالى ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ﴾(١). والمراد أن الله قد بسط الرزق لعباده فعليهم السعي إليه لأن ذلك هو ما تقتضيه الحكمة الإلَهية؛ فالنملة الصغيرة تسعى لرزقها، والطير والحيوان وكل حي ألهمه الله أن يبحث عن رزقه الذي تفضل به عليه. ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا﴾ أي: يعلم مستقر كل دابة في الأرض. ﴿وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ أي: مستقرها في الرحم أو المراد القبر الذي تؤول إليه بعد موتها. ﴿كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ أي: كل هذا الذي رتّبه الله ونظّمه مدون في اللوح المحفوظ.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ هذا بيان من الله وتقرير أنه خلق السموات والأرض في ستة أيام وأن عرشه كان على الماء. وفي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: (**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء**)(٢). ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ

(١) سورة الملك من الآية ١٥.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، برقم (٢٦٥٣)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١٠ ص٦٧٠٧.

﴿أَحۡسَنُ عَمَلٗاۗ﴾ أي: أنه خلق عباده ليبتليهم بالعمل في الدنيا لأجل الآخرة، وليعلم من هو الأحسن منهم في إخلاصه العبادة لله وتوحيده وطاعته والبعد عن محارمه. ﴿وَلَئِن قُلۡتَ إِنَّكُم مَّبۡعُوثُونَ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡمَوۡتِ﴾ أي: لو قلت يا محمد للمشركين أنكم ستبعثون بعد الموت وتعودون إلى الله ليجزيكم على أعمالكم. ﴿لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾ أي: لن يصدقوك بل سيقولون إن ما قلته سحر وليس حقيقة.

﴿وَلَئِنۡ أَخَّرۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٖ مَّعۡدُودَةٖ﴾ المراد بالأمة هنا المدة والمراد أننا لو أخرنا العذاب لهؤلاء المشركين إلى أجل معين ﴿لَّيَقُولُنَّ مَا يَحۡبِسُهُۥٓۗ﴾ أي: ما يؤخره عنا ؟ وقصدهم من هذا إما التكذيب بأنه لن يأتيهم من الله عذاب أو أنهم يستهزئون بما قاله رسول الله ﷺ لهم عن البعث والجزاء. ﴿أَلَا يَوۡمَ يَأۡتِيهِمۡ لَيۡسَ مَصۡرُوفًا عَنۡهُمۡ﴾ قيل: المراد بذلك ما حدث للمشركين من قتل يوم بدر[1].

﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ أي: حاق بهم القتل جزاء استهزائهم وتكذيبهم بما أنزل الله إليهم من الآيات.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن الله جل ثناؤه قد تكفل بأرزاق خلقه من الإنس والجن

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ج٩ ص١٠ .

والحيوان والطير. الحكم بأنه عز وجل خلق الكون علوه وسفليه، وأن عرشه كان على الماء. ومن الأحكام: تقرير جهل المشركين وكذبهم في اتهامهم لرسول الله ﷺ بالسحر. ومنها: أن العذاب قد حل بالمشركين جزاء كذبهم بآيات الله واستهزائهم برسوله والمراد به ما حدث لهم يوم بدر.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَـٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾.

بيان الآيات:

في هذا إخبار من الله تعالى عن سلوك الإنسان وجحوده لنعم الله عليه إلا من هداه الله منه فعرف هذه النعم وشكر الله عليها قوله ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً﴾ أي: إذا رزقناه وأنعمنا عليه ﴿ثُمَّ نَزَعْنَـٰهَا مِنْهُ﴾ بسبب عدم شكره لها. ﴿إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ﴾ أي: ييئس من الرحمة ويجحدها، قيل: إن هذه الآية نزلت في عبد الله بن أمية المخزومي أو الوليد بن المغيرة[١].

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ نَعْمَآءَ﴾ أي: أسبغنا عليه الصحة وبسطنا له في

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ج٩ ص١٠ - ١١.

الرزق. ﴿بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ﴾ أي: بعد ما تعرض له من البؤس والفقر ﴿لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓ﴾ أي يقول: ذهب ما عانيته من الشدة. ﴿إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ أي: بجلاء الشدة والفقر عنه، ولكنه لا يتذكر نعمة الله التي أنعم بها عليه، ولا يشكره على ما تفضل به عليه من زوال الشدة. ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ استثنى الله من ذلك المؤمنين الصالحين الذين يصبرون على ما ينالهم من الله فيحمدونه ويشكرونه في السراء والضراء. وفي هذا قال رسول الله ﷺ: **(عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له)**[١]. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ أي: سيحظى أولئك المؤمنون الصالحون بالمغفرة لذنوبهم والأجر الكبير على أعمالهم.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن من سلوك الإنسان وصفاته كونه ييأس من رحمة الله، ويجحد نعمه ولا يتذكرها. ويستثنى من ذلك المؤمنون الصالحون في أقوالهم وأعمالهم، وكونهم يصبرون في السراء والضراء؛ وهذا يقتضي عدم القنوط أو اليأس من رحمة الله.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير، برقم (٢٩٩٩)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١١ ص٧١٧٨ .

﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ ﴾ المخاطب رسول الله ﷺ والمراد ألا تترك ما يوحى إليك رغبة في إيمان المشركين؛ ذلك أنهم قالوا لرسول الله ﷺ: سوف نتبعك لكن اترك سب آلهتنا فنزلت هذه الآية[1]، والمعنى أن عليك أن تبلغهم بما أنزل الله إليك. ﴿ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ ﴾ أي: لا يَضِقْ صدرك. ﴿ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ ﴾ أي: هلا ﴿ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ ﴾ أي: مال. ﴿ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ﴾ أي: نزل عليه ملك يؤيد ما يقوله لنا والقائل بذلك عبد الله بن أبي أمية المخزومي[2]. ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ﴾ أي: يامحمد إنما أنت مبلغ عن الله رسالته وتنذرهم بها، ولا تهتم ولا يضِقْ صدرك بما يطلبونه منك من الآيات. ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴾ أي: هو الحافظ والشاهد على ما يقولون.

---

(١) تفسير البغوي ص٦١٤، وزاد المسير لابن الجوزي ص٦٤٤ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج٩ ص٩ .

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ أي: سيقولون لك إنك أتيت بهذا القرآن من عندك فقل لهم ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ﴾ أي: فليفتروا عشر سور مثله إن كانوا يستطيعون. ﴿وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أي: استعينوا بمن ترونه من البلغاء والفصحاء والكهان إن كنتم صادقين أن محمداً قد افتراه.

﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ﴾ أي: إن لم يأتوا بما دعوتهم إليه يا محمد من الإتيان بعشر سور مثل القرآن - وهم لن يأتوا بها أو أقل منها-. ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾ أي: بإرادته وحكمته وأن محمداً صادق في قوله. ﴿وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: إن الذي أنزل هذا القرآن هو الإلَه الذي لا إلَه غيره. ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ أي: فهل تسلمون بعدما جاءتكم هذه البراهين.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أنّ المشركين وسائر الكفار يجحدون الحق ويجادلون بالباطل، وهذا يقتضي عدم قبول جدلهم وأن على الداعي إلى الله ألا يضيق صدره منهم بل يصبر على دعوته وهو غير معني بهدايتهم؛ لأن الهادي هو الله. ومن الأحكام: تكذيب الله للمشركين في اتهامهم لرسول الله ﷺ بأنه افترى القرآن ثم تحداهم بأن يأتوا بعشر سور مثله فعجزوا فقامت الحجة عليهم.

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْأَخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ﴾ المراد بهم الذين يراؤون بأعمالهم فيصلون ويصومون ويزكون ويتصدقون ليقال ذلك عنهم. ﴿ نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴾ أي: يجزون على أعمالهم هذه ولا ينقصون منها شيئا ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْأَخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ﴾ أي: لاحظ لهم في الآخرة إلا النار جزاء ريائهم. ﴿ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا ﴾ أي: خسروا ما كانوا يعملونه في الدنيا. ﴿ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ أي: بطل كل ما كانوا يعملونه لأنه ليس لوجه الله وطاعته. ونظير هذا قوله تعالى ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾[1].

---

(١) سورة الشورى الآية ٢٠.

﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ نحو عبد الله بن سلام وهو على دليل من ربه، وذلك باتباعه القرآن وليس مثل من يريد الحياة الدنيا وزينتها. ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾ أي: يتبعه شاهد يؤكد صحته، وهو الفطرة التي فطر الله الناس عليها وهي الاعتراف بربوبيته وألوهيته كما قال رسول الله ﷺ: (**ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه**)[1]. ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ﴾ أي: جاءه شاهد آخر قبل القرآن وهي رسالات الأنبياء، ومنها التوراة التي تشهد جميعها لهذا القرآن بالحق كما تشهد بنبوة ورسالة رسول الله محمد ﷺ. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ﴾ أي: طوائف من بني إسرائيل تؤمن بصدق القرآن ونبوة محمد كعبد الله بن سلام. ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴾ أي: من بني إسرائيل ومن الطوائف الأخرى. ﴿فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ﴾ أي: مآله. ﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ﴾ أي: في شك والمخاطب رسول الله ﷺ والمراد غيره. ﴿إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾ أي: إن القرآن هو الحق والقول الصدق الذي نزل من عند الله. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ أي: رغم أنه الحق والصدق إلا أن كثيراً من الناس كحال المشركين

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، برقم (٢٦٥٨)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١٠ ص٦٧١٦ .

وكثير من اليهود والنصارى لا يؤمنون به وسيجزون على كفرهم به كما قال رسول الله ﷺ: **(والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولا يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار)**(١).

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن النية أساس العمل كما قال رسول الله ﷺ: **(إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه)**(٢). والمراد أن من عمل عملاً ابتغاء عرض من عروض الدنيا أعطي نصيبه منها، وخسر آخرته. ومن الأحكام: أن المسلم على بينة من دينه وشاهده فطرته التي فطره الله عليها واتباعه لكتابه ولرسوله محمد ﷺ فمن لم يكن على هذا المنهج فليس له بينة يأتي بها يوم القيامة.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته، برقم (١٥٣)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١ ص٨٨٤.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، برقم (١)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١ ص١٥.

عِوَجًا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ﴾ أي: لا أحد أظلم ممن يفترون على الله الكذب فيقولون كلاماً لم يقله، أو يحرفون ما قاله كما قال تعالى ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ﴾[١]. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُعۡرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ﴾ أي: سوف يعرضون عليه يوم القيامة فيجازيهم بما عملوا ﴿وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾ أي: الملائكة الحفظة ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ﴾ أي: هؤلاء هم الذين كانوا يفترون على الله الكذب وفي حديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: (**وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على الله**)[٢]. ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي:

---

(١) سورة النحل الآية ١١٦.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله، برقم (٢٧٦٨)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١١ ص٦٨٩٥.

طرده لهم وسخطه عليهم وحرمانهم من رحمته. ﴿ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ هذا وصف للذين يفترون على الله الكذب بأنهم بفعلهم هذا يبتعدون بأنفسهم وبغيرهم عن توحيد الله وطاعته. ﴿ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾ أي: يعدلون بالفطرة التي فطر الله الناس عليها - وهي الإيمان - إلى الشرك والكفر. ﴿وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ أي: مكذبون بالبعث والنشور.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: ليسوا بمعجزين لله إذا أراد أن يعذبهم ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ﴾ أي: أنصاراً يحمونهم من عذابه. ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ ﴾ أي: يجزون حسب كفرهم فكلما كانوا أشدّ كفراً كانوا أكثر عذاباً ﴿مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ ﴾ أي: أن يسمعوا كلام الله ﴿وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ ﴾ أي: لم يستعملوا سمعهم وأبصارهم في قبول الحق واتباعه.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ﴾ أي: بما ضيعوها في الدنيا حين اتبعوا الباطل وتركوا الحق ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾ أي: ذهب افتراؤهم وكذبهم على الله فلم يعد لهم إلا الحسرة والندامة والخسران. ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْأَخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴾ أي: لابد ولا محالة أنهم أخسر الناس يوم القيامة، وذلك بما سيؤولون إليه من العذاب المقيم.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن من أشد الذنوب الكذب على الله إما بنسبة قول إليه لم يقله، أو تحريف كلامه أو نحو ذلك من الأقوال الباطلة. تقرير أن من يفعل ذلك سوف يعرض على الله يوم القيامة وتشهد عليه الملائكة ثم يطرد من رحمة الله. كما أن من أشد الذنوب صد العباد عن سبيل الله وإضلالهم عن الفطرة التي فطرهم عليها. ومن الأحكام: أن الظلمة كلما يشتد ظلمهم يشتد عذابهم.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ لما ذكر الله حال الذين خسروا أنفسهم في الدنيا والآخرة بيَّن حال المؤمنين ومالهم من الأجر والثواب ﴿وَأَخْبَتُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ أي: أطاعوه ووحدوه وخشعوا له ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ﴾ أي: هؤلاء هم ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ أي: أهل الجنة المخلدون فيها.

﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ ﴾ ضرب الله مثلاً للمؤمنين والكافرين فمثل

الكافر مثل الأعمى الذي لا يبصر والأصم الذي لا يسمع؛ فهو لا يبصر الحق ولا يسمعه. ومثل المؤمن كمثل البصير الذي يبصر الحق والسميع الذي يسمعه ويتبعه. ونظير ذلك قول الله تعالى ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾[1] ﴿وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ﴾[2]. ﴿وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ﴾[3]. ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ﴾[4]. ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ وجوابه أنهما لا يستويان. ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أي: أفلا تتفكرون وتعقلون فتميزوا بين هؤلاء وهؤلاء.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن المؤمنين الذين يعملون الصالحات من صلاة وزكاة وصيام، ويتبعون أحكام الله سوف يجزون بالخلود في الجنة. ومن الأحكام: تقرير ضرب الأمثال للناس لتقريب المعاني إلى عقولهم. ومنها: تشبيه الكافر بالميت حيث إنه لا يسمع ولا يبصر، وتشبيه المؤمن بالحي الذي يبصر ويسمع.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ

(١) سورة فاطر الآية ١٩ .
(٢) سورة فاطر الآية ٢٠ .
(٣) سورة فاطر الآية ٢١ .
(٤) سورة فاطر الآية ٢٢ .

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ﴾ في هذا بيان من الله لرسوله محمد ﷺ تسلية له أنه كما أرسله إلى الناس فقد سبق أن أرسل نوحاً من قبله، وكان هذا أول رسول أرسله إلى المشركين يحذرهم عن عبادة الأصنام. ﴿إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ﴾ أي: أحذركم من العذاب الأليم الذي سينزل بكم إذا استمررتم على الشرك بالله. ﴿أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ﴾ أي: إفراده وحده بالعبادة. ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ﴾ أي: إني أشفق عليكم من العذاب الشديد إذا لم تتركوا عبادة الأصنام.

﴿فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ﴾ المراد بهم سادتهم ورؤساؤهم. ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا﴾ أي: ما نراك إلا إنساناً عادياً مثلنا فكيف يوحى إليك. والمراد أنه ليست لك ميزة حتى نقبل منك ما تقول. ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا﴾ توكيد لما قالوه عن عدم مزيته، والمعنى مارأينا الذين اتبعوك إلا من هم أحقر الناس عندنا ولم يتبعك الأشراف والسادة. ﴿بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ﴾

أي: أنهم لما اتبعوك لم يكن بعد روية ومعرفة بل قبلوا ما قلته بمجرد دعوتك لهم ولو أنهم ترووا في أمرك لما اتبعوك. ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ المراد بهم نوح ومن آمن معه، والمعنى أننا لانرى لكم علينا مزية. ﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ أي: أن ما قلتموه هو كذب وافتراء وهذا إمعان في جحودهم لنبوة ورسالة نوح عليه السلام.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن نوحاً عليه السلام أول من أرسل إلى أهل الأرض، وأن قومه أول قوم أشركوا مع الله غيره حين عبدوا الأصنام. ومن الأحكام: أن الأصل في دعوة الأنبياء والرسل توحيد الله وطاعته وحده. ومنها: أن المتبعين لنوح عليه السلام وغيره من الأنبياء هم المستضعفون في الأرض، وأن أصحاب الضلال المنكرين للحق هم السادة والمستكبرون.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَا قَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ

تَزْدَرِيٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًاۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمْۖ إِنِّيٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾ أي: على ثقة ويقين. ﴿وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ﴾ المراد بها النبوة والرسالة ﴿فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ﴾ أي: خفيت عليكم هذه النبوة والرسالة. ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾ أي: أنلزمكم أن تقبلوها وهذا استفهام إنكاري، والمعنى أني لا أستطيع إلزامكم بها. ﴿وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾ أي: لا يمكن إلزامكم بها مع كرهكم لها لأن الإيمان يكون نتيجة قناعة وهدى من الله.

﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًاۖ﴾ أي: لست بسائلكم مالاً عن تبليغي لكم رسالة الله فيكون ذلك صعباً عليكم. ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ أي: أني أطلب أجري ومثوبتي من الله على إبلاغ رسالته. ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ﴾ لما طلبوا من نوح عليه السلام طرد الذين آمنوا معه بوصفهم من الأراذل كما قالوا أجابهم: بأنه لا يمكنه ذلك. ﴿إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾ أي: سيلقاهم فيجازيهم على إيمانهم ويعاقبني إذا طردتهم كما طلبتم. ﴿وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ أي: إنكم جهلة ضالون في تحقيركم لهم وطلبكم مني طردهم.

﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ ﴾ أي: لا أملك شيئاً من خزائن الله فأنا عبد من عبيده، ولا أدعي شيئاً لا أملكه أو أقدر عليه. ﴿وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ ﴾ لأنه لايعلم الغيب إلا الله عز وجل ﴿وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ ﴾ أي: لست أحد الملائكة إنما أنا رسول من عند الله أبلغ رسالته إليكم. ﴿وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ ﴾ أي: لا أقول للذين تحتقرونهم ممن آمن بما جئت به ﴿لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ﴾ أي: لن يثيبهم الله ويؤجرهم على إيمانهم لأنكم تحتقرونهم. ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ ﴾ أي: هو الذي يعلم سرائرهم فيجازيهم عليها. ﴿إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ أي: لو قلت: إنّ عندي خزائن الله أو أعلم الغيب، أو إني ملك، أو قلت للذين آمنوا بي: ليس لكم أجر عند الله بسبب احتقاركم لهم؛ لو قلت ذلك لكنت من الظالمين الذين يعاقبهم الله.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن الداعي إلى الله لا يستطيع إلزام المدعوين بدعوته إذا كانوا لها كارهين. ومن الأحكام: أن الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام لا يأخذون أجراً على دعوتهم كما أن الدعاة لا ينبغي لهم أخذ أجر على دعوتهم ما لم تكن أمور معاشهم تقتضي ذلك -كما سبق ذكره- . ومنها: تحريم طرد المؤمنين بسبب ضعفهم كما يريد ذلك الطغاة والمستكبرون. وفي هذا قال عز وجل لنبيه ورسوله محمد ﷺ ﴿ وَلَا

﴿تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾[1]. ومنها: أن علم الغيب عند الله وحده وأن خزائن الله عنده وحده.

﴿قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾﴾

بيان الآيات:

﴿قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا﴾ في هذا بيان من الله تعالى عن استخفاف قوم نوح بالرسالة التي جاء بها إليهم، والمراد من قولهم جادلتنا أي: نازعتنا وأكثرت علينا الخصام والنزاع وما كان ليجادلهم إلا لإظهار دين الله. ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ أي: هات الذي تذكره لنا إن كنت صادقاً فيما تقول. ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ﴾ أي: إن الذي يأتيكم به الله إن أراد عذابكم ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ أي: ما أنتم بمستصعبين عليه لا بأموالكم ولا بكثرتكم. ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ﴾ أي: تحذيري

---

(١) سورة الأنعام من الآية ٥٢ .

لكم ومحبتي قبولكم لها. ﴿إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ﴾ أي: أحذركم. ﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ أي: يضلكم. ﴿هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أي: هو خالقكم الذي ترجعون إليه فيحاسبكم وفي هذا معنى التهديد والوعيد لهم.

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ أي: قال قوم نوح: افترى أي: اختلق ما ذكره عن الوحي ﴿قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ﴾ أي: إن كنت اختلقته من عندي ﴿فَعَلَيَّ إِجْرَامِى﴾ أي: عليَّ عقاب ما افتعلته. ﴿وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾ أي: أتبرأ من تكذيبكم لرسالة الله وكفركم بها، وقيل: إن المراد بالآية محمد ﷺ وتكذيب المشركين له. والأول أقوى لأن السياق في قصة نوح وقومه كما ذكر ذلك ابن عباس رضي الله عنه لأنه ليس قبله ولا بعده إلا ذكر نوح وقومه وهو قول أكثر المفسرين(١).

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير شرعية الجدال إذا كان المراد منه بيان الحق وإيصاله لمن يريده. وشاهده قول الله تعالى ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾(٢). وقوله عز ذكره ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾(٣). ومن الأحكام: وجوب النصح لمن يريد

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج٩ ص٢٩ .

(٢) سورة النحل من الآية ١٢٥ .

(٣) سورة العنكبوت من الآية ٤٦ .

الهداية. أما من أضله الله بسبب عدم اتباعه للحق فهذا لا ينفع فيه النصح. ومنها: وجوب البراءة من الإجرام وأهله.

﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ فيه بيان من الله أنه أوحى إلى نبيه نوح أن قومه لن يؤمنوا وأن تكذيبهم له سوف يستمر رغم دعوته المتكررة لهم فلهذا دعا عليهم كما حكى الله عنه بقوله ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾[1]. ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾[2]. وسيأتي إن شاء الله سياق قصتهم في سورة نوح.

قوله ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ أي: لا تحزن بهلاكهم وما

---

(١) سورة نوح الآية ٢٦ .

(٢) سورة نوح الآية ٢٧ .

سوف يصيبهم من العذاب. ﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ﴾ أي: اصنع السفينة التي سوف تركبها أنت ومن آمن معك ﴿بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا﴾ أي: اصنعها بمرأى منا وبتعليمنا لك عن كيفية صناعتها. ﴿وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ﴾ أي: لا تطلب انتظارهم وإمهالهم فإنهم لا محالة مغرقون، والمعنى اقطع علاقتك معهم فلم تك تنفعهم الدعوة ولا النصح.

﴿وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ﴾ أي: بدأ يصنع السفينة. ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ﴾ أي: من أشرافهم. ﴿سَخِرُواْ مِنۡهُۚ﴾ أي: كانوا يستهزئون به كلما رأوه ويقولون كنت تدعي أنك نبي واليوم نراك نجاراً تعبث بالخشب فيرد عليهم. ﴿قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا﴾ أي: من صنعنا السفينة. ﴿فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ﴾ أي: سوف نستهزئ بكم عندما تغرقون. ﴿فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ﴾ هذا تهديد ووعيد لهم ﴿وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ مُّقِيمٌ﴾ أي: ينزل به في الآخرة عذاب دائم.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير عدم الحزن على هلاك أهل الضلال والفساد. تقرير أنّ نوحاً عليه السلام أول من صنع السفن بعد تعليم الله له كيفية صناعتها، وأن قومه كانوا يستهزئون به وهو يصنعها؛ ذلك أن أهل الضلال في أي زمان ومكان يستهزئون ويسخرون بمن يدعوهم إلى الله.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ (٤٠) ۞ وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ (٤١) وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ (٤٢) قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ (٤٣) وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ (٤٤) ﴾.

بيان الآيات:

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا ﴾ أي: إذا جاء الأمر بهلاك المشركين من قوم نوح ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ﴾أي: فارت الأرض بالماء كما قال تعالى ﴿ فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ﴾(١). ﴿ وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ ﴾(٢). والمراد أنه لما صارت الأرض عيوناً تفور أمره الله أن يحمل معه في السفينة زوجين اثنين من المخلوقات وهو معنى قوله ﴿قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ ﴾ أي: ذكراً وأنثى لكي يبقى النسل بعد الطوفان. ﴿وَأَهۡلَكَ ﴾أي: واحمل معك أهلك.

(١) سورة القمر الآية ١١.

(٢) سورة القمر الآية ١٢.

﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ﴾ منهم بهلاكه وهما ابنه وزوجته وكانا كافرين. ﴿وَمَنْ ءَامَنَ﴾ أي: واحمل معك في السفينة من آمن بي وصدق ما جِئْتَ به. ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ قيل: إن من آمن من قومه كانوا ثمانين(١).

﴿وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا﴾ أي: أمر نوح من كان معه بركوب السفينة وقال ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ أي: باسم الله يكون سير السفينة وباسم الله يكون رسوها ﴿إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: غفور للمؤمنين رحيم بهم، ولكنه شديد العقاب للظالمين الذين لا يأتمرون بما أمر ولا ينتهون عما نهى.

﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ﴾ أي: تسير بنوح ومن معه وسط الأمواج الشبيهة بالجبال كما قال تعالى ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ﴾(٢). ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾(٣). ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾(٤). ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ﴾ أي: دعاه عندما هم بركوب السفينة بأن يركب معه ولا يكن مع الكافرين. ﴿وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ﴾ أي: في دينه أو كان في مكان غير قريب من

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان ج٢ ص١١٨، وتفسير ابن وهب المسمى الواضح في تفسير القرآن الكريم ج١ ص٣٦١، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٧ ص٤٣ .

(٢) سورة القمر الآية ١٣ .

(٣) سورة القمر الآية ١٤ .

(٤) سورة القمر الآية ١٥ .

السفينة. ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ وذلك لأنه عليه السلام لم يعلم أن ابنه كافر فلهذا أمره بالركوب معه إشفاقا عليه ﴿قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ﴾ أي: سوف أذهب إلى جبل يمنعني من الماء فلا أغرق فيه فأجابه أبوه ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ﴾ أي: لامانع من أمر الله وهو الغرق إلا من رحمه. ﴿وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ﴾ أي: عزل الموج نوحاً وابنه عن بعضهما. ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ﴾ أي: صار الابن في عداد الهالكين بالغرق.

﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي﴾ المراد أن الله تعالى لما أغرق أهل الأرض بالطوفان أمر الأرض أن تبتلع ما عليها من الماء، وأن تقف السماء من إنزال المطر. ﴿وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ﴾ أي: نقص. ﴿وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ أي: هلك كل كافر كان على الأرض. ﴿وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ﴾ قيل: إن الجودي جبل قرب الموصل[1]. ﴿وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: طرداً لهم من رحمة الله.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن الأزواج التي حملها نوح معه في السفينة بعد أمر الله له بذلك أبقت النسل على الأرض بعد الطوفان الذي أغرقها. ومن الأحكام: أن الإيمان بالله والاعتصام به سبب للنجاة من عذابه.

---

(١) تفسير البغوي ص٦١٢، وزادا لمسير لابن الجوزي ص٦٥٦.

ومنها: أنه يشرع لمن يركب طائرة أو سفينة أو دابة أن يسمي الله.
ومنها: عدم استثناء الكافر من العذاب لأي سبب؛ فلم ينج ابن نوح ولا زوجته من الهلاك مع قربهما منه. ومنها: تقرير عظمة الله في إهلاك الكافرين ونجاة المؤمنين.

﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ ﴾ النداء هنا الدعاء. ﴿ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى ﴾ أي: من أهلي الذين وعدتني بنجاتهم من الغرق. ﴿ وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ ﴾ أي: إن وعدك حق وصدق ولا تخلف الوعد. ﴿ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ وأنت العدل بما حكمت به على الكافرين. ﴿ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ ﴾ أي: ليس من أهل دينك وإن كان ابنك من جهة النسب لأن الأصل هنا الدين. ﴿ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ ﴾ أي: إنه كافر وأنت لا تعلمه، وفي هذا دلالة على أن نبي الله نوحاً لم يكن يعلم حقيقة ابنه،

فقد كان منافقاً يسر الكفر ونوح لا يعلم عنه إلا ما ظهر منه. ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ أي: لا تطلب مني نجاة ابنك وأنت لا تعرف عن كفره. ﴿إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ أي: أنهاك وأحذرك أن تكون من الغافلين القليلي المعرفة.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ﴾ أي: أستجير بك من سؤال ما ليس لي به علم فأنت العليم وأنا عبدك الذي أستمد العلم منك. ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى﴾ أي: تغفر ما بدر من سؤالي غير المناسب. ﴿وَتَرْحَمْنِىٓ﴾ أي: تغمرني برحمتك. ﴿أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ أي: أكون من الذين خسروا أعمالهم.

أحكام ومسائل الآيات:

الأصل - كما سبق ذكره - أن الدين هو الأساس في العلاقة بين الأب وابنه كما قال تعالى ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ الآية[1]. الحكم بأن على المرء ألا يقول على الله بغير علم، وأن عليه أن يتحرى حكم الله قبل أن يقول ما لا يعلم. الحكم أيضاً بذم الجهل ووجوب الاستغفار من الذنب الذي يعلمه المرء والذي لا يعلمه.

(١) سورة المجادلة من الآية ٢٢ .

﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾﴾.

بيان الآية:

﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا﴾ أي: انزل من السفينة إلى الأرض بعد أن جفت ويبست وأنت في نزولك محاط بسلام منا أي بأمن. ﴿وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ﴾ أي: ومع نجاتك وأهلك ومن معك من المؤمنين تمتع أنت والمؤمنون معك وذرياتهم بنعمتنا ﴿وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ المراد بهم أمم لم يؤمنوا ويستمتعون في الحياة الدنيا ثم يمسهم العذاب يوم تقوم الساعة.

أحكام ومسائل الآية:

الحكم بأن المؤمنين من الأمم سينالون نعم الله وبركاته في الدنيا، وفي الآخرة سيكون حظهم الثواب المقيم. ومن الأحكام: أن الأمم الفاسدة ستمتع في الدنيا ثم يكون مآلهم العذاب كما قال تعالى ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾[1].

﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾.

---

(١) سورة لقمان الآية ٢٤ .

بيان الآية:

﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ ﴾ المخاطب هنا رسول الله ﷺ أي: هذه الأنباء عمن كان قبلك من الأمم. ﴿ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ﴾ أي: نخبرك بها لتكون على علم بها. ﴿ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ ﴾ أي: لم يكن لك ولا لقومك علم بها. ﴿ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ ﴾ أي: من قبل ما أنزل إليك من العلم بخبر الطوفان. ﴿ فَٱصْبِرْ ۖ ﴾ أي: تحمَّلْ ما ستلقى من العنت بسبب حملك الرسالة. ﴿ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ أي: النصر في الدنيا والفوز بالجنة في الآخرة.

أحكام ومسائل الآية:

بيَّن الله لنبيه حال من كان قبله وأمته من الأمم وما حل بالظالمين منهم من العذاب، وفي هذا تقرير وتوكيد لنبوته عليه الصلاة والسلام وأمره بالصبر وتحمل المشاق في سبيل إبلاغ الرسالة كما فعل نوح؛ وكما صبر الرسل الآخرون كما قال تعالى ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾(١). ثم حكم جلّ وعلا بأن العاقبة للمتقين.

﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ

(١) سورة الأحقاف من الآية ٣٥ .

إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ أي: أرسلنا هوداً إلى عاد وسماه أخاهم لكونه من قبيلتهم يتحدث لغتهم كما قال تعالى ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾[1]. وعاد كانوا من عبدة الأوثان ويسكنون في الرمال الواقعة بين الشام واليمن[2]. ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ أي: اعبدوه ووحدوه ولا تشركوا معه أحداً فمالكم من إلَه إلا هو. ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ أي: إنكم باتخاذكم إلَها غير الله كاذبون. ﴿يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ﴾ أي: إني حين أدعوكم إلى عبادة الله وحده لا أطلب منكم مثوبة لأن أجري الذي أتطلع إليه عند ربي الذي خلقني. ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أي: ألا تتفكرون وتتذكرون ما جرى لمن قبلكم من المكذبين لرسلهم كقوم نوح. ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾ أي: استغفروا الله وتوبوا إليه من فعلكم

---

(١) سورة إبراهيم من الآية ٤ .

(٢) تفسير الفخر الرازي ج٩ ص١٠، من سورة هود ويقول الرازي: «هذه القبيلة كانت قبيلة من العرب وكانوا بناحية اليمن»، والجامع لأحكام القرآن ج٩ ص٥٠ .

وشرككم حتى يغفر لكم ويتوب عليكم. ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ أي: سوف يرسل لكم المطر متتابعاً وكان هؤلاء أهل زروع وثمار. ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾ أي: يضاعف لكم أموالكم وما أنتم فيه من الرخاء. ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ﴾ أي: لا تعرضوا عن دعوة الحق وتبقوا على شرككم.

أحكام ومسائل الآيات:

بيان أنّ دعوة الرسل إلى أقوامهم هي عبادة الله وحده وأن الذين يعبدون إلَهاً غير الله كذبة مجرمون. تقرير أنّ الدعاة إلى الله لا يأخذون أجراً على دعوتهم وقد سبق ذكر ذلك. ومن الأحكام: تقرير أنّ الاستغفار والتوبة إلى الله من الذنوب والخطايا سبب في إنزال المطر ونظيره قول نوح لقومه ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾[1]. ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾[2]. ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾[3].

﴿قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ

(١) سورة نوح الآية ١٠.
(٢) سورة نوح الآية ١١.
(٣) سورة نوح الآية ١٢.

ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَيَسۡتَخۡلِفُ رَبِّي قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ ﴿٥٧﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ﴾ أي: قال قوم هود له: يا هود لم تأتنا بحجة وبرهان على أنك رسول. ﴿وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾ أي: لهذا السبب لن نترك آلهتنا ولن نؤمن بما قلت لنا. ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖۗ﴾ أي: نرى أن بعض آلهتنا أصابتك بسوء لكونك تسبها وتعاديها ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ﴾ أي: أُشهد الله عليّ واشهدوا أنتم ﴿أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾ أي: متبرئ منكم ومن أصنامكم. ﴿مِن دُونِهِۦۖ﴾ أي: من دون الله من سائر الأصنام. ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعٗا﴾ أي: ضروني أنتم وأوثانكم بما ترون. ﴿ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾ أي: لا تتأخروا في ضري. ﴿إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ﴾ أي: فوضت أمري إلى الله لأنه ربي وربكم وهو النافع الضار وليست أصنامكم. ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ﴾ أي: ما من نفس في الأرض

ولا في السماء إلا وهي تحت تصرفه وقدرته. ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ أي: يدبر الأمور بحكمة وبصيرة.

﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ أي: إن تتولوا. ﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ﴾ أي: أوضحت لكم ما أرسلني الله به إليكم وهي عبادته وحده لا شريك له. ﴿وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ أي: يأتي بآخرين غيركم ليعبدوه ويوحدوه. ﴿وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا﴾ أي: لن يضار من معصيتكم وشرككم. ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ أي: إن ربي هو المتولي لأوليائه ويحفظ أعمال عباده ويجازيهم عليها فمن عمل منهم صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير سوء صنيع المشركين ومجادلتهم لأنبيائهم بالباطل وصلابة الرسل في دعوة قومهم، وتبرئهم من عبادتهم للأصنام وتوكلهم على الله لعلمهم أنه وليهم والقادر على حمايتهم ونصرهم. ومن الأحكام: اتفاق الأنبياء والرسل في دعوتهم أقوامهم على أن يدعوهم بالحسنى والحكمة فإن أجابوهم فذاك خير لهم وإن عصوهم أبلغوهم أن مهمتهم هي إبلاغ رسالة الله إليهم وتحذيرهم من سوء ما قد يصيبهم نتيجة عصيانهم.

﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ

وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا ﴾ أي: لما أمرنا بعذاب عاد وإهلاكهم بالريح العقيم ﴿ نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا ﴾ أي: أنقذناه ومن تبعه من المؤمنين لأن النجاة من الهلاك والعذاب لا تكون إلا برحمة من الله، وهذه الرحمة لا تكون إلا لمن حسن عملهم وأخلصوا عبادتهم لله وحده كما قال عز وجل ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾(١). قوله ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ أي: أن ما حصل من نجاة هود والمؤمنين معه كان من عذاب شديد هو هلاك قومه بالريح .

﴿ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْاْ رُسُلَهُۥ ﴾ المراد أن عاداً جحدوا ماجاءهم من البينات والمعجزات وكذبوا نبيهم هوداً وعصوا رسله أي: هوداً وكافة الرسل لأن من كذب رسولاً واحداً فقد كذب كل الرسل. ﴿ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ أي: إنهم لما عصوا نبيهم وجحدوا رسالته اتبعوا رؤساءهم الذين أضلوهم وزينوا لهم المعصية.

﴿ وَأُتْبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ﴾ أي: ألحقهم الله في الدنيا سخطه

---

(١) سورة الأعراف من الآية ٥٦ .

﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾ أي: وأتبعوا يوم القيامة طردهم من رحمته ﴿أَلَآ إِنَّ عَادٗا كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ﴾ أي: جحدوا ما أنعم الله به عليهم من الخيرات كالأمطار التي كانت تنزل عليهم لسقي زروعهم وثمارهم. ﴿أَلَا بُعۡدٗا لِّعَادٖ قَوۡمِ هُودٖ﴾ أي: وسخطاً لهم وإبعاداً لهم عن رحمة الله.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن الله ينجي برحمته المؤمنين من العذاب الذي ينزل بالظالمين. الحكم بأن كل من يجحد آيات الله وما جاء به رسله من البينات يطرد من رحمته.

﴿۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ (٦١) قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا قَبۡلَ هَٰذَآۖ أَتَنۡهَىٰنَآ أَن نَّعۡبُدَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ (٦٢) قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنۡهُ رَحۡمَةٗ فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنۡ عَصَيۡتُهُۥۖ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيۡرَ تَخۡسِيرٖ (٦٣) وَيَٰقَوۡمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٞ قَرِيبٞ (٦٤) فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖۖ ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ (٦٥)﴾

بيان الآيات:

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾ أي: أرسلنا نبينا صالحاً إلى ثمود وهم قبيلة كانت تسكن وادي الحجر المعروف الآن باسمه. ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ المراد أن الله أرسل إلى ثمود واحداً منهم هو نبيه صالح يدعوهم إلى عبادة الله وحده لأنه لا إلَه في الوجود إلا هو. ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ أي: بدأ خلقكم منها كما قال تعالى ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾[١]. ﴿وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ المراد أنه لما خلقكم من الأرض جعلكم تعمرونها وتستمتعون فيها. ﴿فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾ أي: توجهوا إليه بطلب المغفرة عن خطيئاتكم من عبادة الأوثان ثم بعد ذلك توبوا إليه من عبادتها واجعلوا عبادتكم له وحده. ﴿إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ أي: قريب لمن يدعوه مجيب له في دعوته كما قال تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[٢].

ولما بيَّن الله ما كان من حديث بين صالح وقومه يدعوهم فيه إلى توحيد الله ويردون عليه بالسفه من القول. ﴿قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ

---

(١) سورة طه الآية ٥٥ .

(٢) سورة البقرة ١٨٦ .

فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ﴾ أي: كنا نرجو أن تتبعنا فيما نعبده أما الآن فقد يئسنا منك. ﴿أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ هذا استفهام إنكاري عليه بمعنى كيف تطلب منا أن نترك دين آبائنا ونتبعك. ﴿وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ ومرادهم أننا في ريبة وحيرة مما تدعونا إليه خلافاً لدين آبائنا.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً﴾ أي: أجابهم صالح عليه السلام أنه على بينة أي: هدى وبرهان من ربه وقد آتاه الله رحمة من عنده وهي الرسالة. ﴿فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ﴾ أي: فمن ينصرني إن عصيت الله وحاشا أن أعصيه. ﴿فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ أي: إنكم بدعوتكم لي تريدون خسراني وضلالي عن الحق.

﴿وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ أي: معجزة حين أخرجها من صخرة صماء. ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ﴾ أي: اتركوها تسرح وترعى في أرض الله وتستفيدون منها. ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾ أي: لا تتعرضوا لها بأذى. ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ أي: تتعرضون إلى عذاب يحيق بكم بمجرد ما ينالها منكم من الأذى ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ أي: ضربوها بالسيف في قوائمها والذي عقرها بعضهم وليسوا كلهم كما سبق

ذكره في سورة الأعراف فقال لهم صالح لما رأى ما فعلوه: تمتعوا في داركم وهذا على سبيل التهديد والوعيد لهم، وقوله ثلاثة أيام أي: لن يأتيهم العذاب إلا بعد ثلاثة أيام من عقر الناقة، فقد اصفرت ألوانهم في اليوم الأول، ثم احمرت في اليوم الثاني، ثم اسودت في اليوم الثالث، وهلكوا في اليوم الرابع[1]. ﴿ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ أي: هذا الوعد الذي وعدوا به وهو الهلاك وقع بلا شك أو ريب.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن الله هو المنشئ للخلق من الأرض وجعلهم يعمرونها بالسكن فيها إلى آجالهم المسماة. وإعمار الأرض يقتضي عدم الفساد فيها لأنها خلقت صالحة كما قال تعالى على لسان نبيه شعيب ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾[2]. وكما يقتضي الحكم إعمار الأرض بعدم الفساد فيها يقتضي استمرار الإصلاح فيها، وهذا لا يكون إلا بعبادة الله وحده وشكره على نعمه وما هيأه في الأرض لخلقه من السكن وعمارتها.

ومن مسائل الآية: تقرير طبيعة المشركين في الجدال، وعدم قبولهم ماجاءهم من البراهين والأدلة المعجزة كحال الناقة وتمسكهم بما كان

---

(١) تفسير ابن وهب ج١ ص٣٦٥، وزاد المسير لابن الجوزي ص٦٦٠، والجامع لأحكام القرآن ج٩ ص٦٠.

(٢) سورة الأعراف من الآية ٥٦.

عليه آباؤهم من عبادة الأصنام مما يدل على جهلهم وعدم تفكيرهم وسوء إرادتهم، وقد حكم الله عليهم بالهلاك لما كذبوا رسوله وعقروا الناقة التي كانت فائدتها لهم.

وقد أخذ العلماء من إرجاء عذاب الله لقوم صالح ثلاثة أيام حكماً بأن المسافر إذا لم يجمع على إقامة أربع ليال قصر الصلاة لأن الثلاثة الأيام خارجة عن حكم الإقامة.

﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا صَٰلِحٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَمِنۡ خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا ﴾ أي: أمرنا بالعذاب لهم. ﴿ نَجَّيۡنَا صَٰلِحٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا ﴾ أي: أنقذنا صالحاً ومن معه من المؤمنين وذلك برحمة من الله ولطف لأنه لا أحد ينجو من عذاب الله إلا برحمته. ﴿ وَمِنۡ خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍۚ ﴾ أي: وأنقذناهم من خزي ذلك اليوم ومهانته. ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴾ أي: إن ربك يا محمد هو القوي في ملكوته العزيز في أمره.

﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ﴾ أي: وتعرض أولئك الظالمون للصيحة التي جاءتهم من السماء حتى تقطعت قلوبهم فماتوا منها. ﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ﴾ أي: منكبين على وجوههم من أثر الصيحة. ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ﴾ أي: كأنهم لم يكونوا ساكنين فيها. ﴿أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾ المعنى أن ثمود كفروا بما جاءهم من ربهم فبعداً لهم عن رحمة الله.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن الله ينجي رسله ومن آمن معهم من قومهم مما يحيق بالكافرين من العذاب. أما الظالمون فيهلكهم الله بأي من أنواع العذاب كالرجفة، أو الصيحة، أو حبس المطر عنهم، أو إغراقهم في البحر.

﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ۖ قَالَ سَلَـٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَـٰهَا بِإِسْحَـٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَـٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾﴾

بيان الآيات:

﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ﴾ المراد بالرسل هنا

الملائكة والبشرى قيل: إنهم أتوه ليبشروه بالولد[١] وقيل: يبشروه بهلاك قوم لوط[٢] ولعلهم أتوه وهم في طريقهم إلى إهلاك قوم لوط فبشروه بغلام يولد له ﴿قَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ﴾ أي: بدؤوه بالسلام فأجابهم بالسلام. ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ أي: لما رآهم وسلموا عليه وسلم عليهم أسرع لإكرامهم. ﴿أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ أي: العجل صغير أو نضيج البقر والحنيذ المشوي على الحجارة ونظيره قوله تعالى﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴾[٣]. ﴿ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ أي: لما رأى عدم رغبتهم في الطعام استغرب ذلك وأحس بالخوف منهم كما قال تعالى في الآية الأخرى﴿ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾[٤]. وقيل: إنه لما قال ذلك قالوا: يا إبراهيم إنا لا نأكل طعاماً إلا بثمن قال: فإن لهذا ثمناً قالوا: وما ثمنه ؟ قال: تذكرون اسم الله على أوله، وتحمدونه على آخره فنظر جبريل إلى ميكائيل فقال: حق لهذا أن يتخذه الله خليلاً[٥]. ﴿قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾ أي: قالوا له: لا تخف منا ﴿إِنَّآ﴾ ملائكة أرسلنا الله إلى قوم لوط لعذابهم. ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان ج٢ ص١٢٥، وتفسير ابن وهب ج١ ص٣٦٦ .
(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٧ ص٦٨، وتفسير البغوي ٦٢٤ .
(٣) سورة الذاريات الآية ٢٦ .
(٤) سورة الذاريات الآية ٢٧ .
(٥) تفسير البغوي ص٦٢٥، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٢ ص٤٣٣ .

﴿فَضَحِكَتْ﴾ أي: كانت قائمة على خدمتهم فحينئذٍ ضحكت تعجباً من حال الملائكة الذين لم يأكلوا الطعام الذي قدمه لهم مضيفهم إبراهيم عليه السلام. وقد يكون ضحكها تعجباً من البشرى لها ولإبراهيم بالولد وهما مسنان وقيل: معنى ضحكت حاضت، وكانت ابنة بضع وتسعين سنة. ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ﴾ أي: بولد اسمه إسحاق قيل: إنه لما ولد لإبراهيم إسماعيل من زوجته هاجر تمنت زوجته سارة أن يكون لها ابن بعدما يئست فجاءتها البشرى أن يكون لها ولد وولد ولد تراه[1] كما قال ﴿وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾.

أحكام ومسائل الآيات:

النّدب إلى تبشير المسلم بما يكون له فيه خير من أمور الدنيا كولد الولد له وخير الآخرة كالرؤيا الصالحة يراها له غيره. ومن الأحكام: في الآية: أهمية إفشاء المرء السلام إذا رأى غيره كما قال رسول الله ﷺ: **(أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم)**[2]. ومنها: وجوب إكرام الضيف خاصة عندما يكون المرء في حاجة إلى الطعام كحال ابن السبيل الذي ينقطع في الطريق وليس له مأوى.

﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ

(١) الجامع لأحكام القرآن ج٩ ص٦٩ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون .. وأن إفشاء السلام سبب لحصولها، برقم (٥٤)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١ ص٦٤٩ .

عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَإِنَّهُمۡ ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ غَيۡرُ مَرۡدُودٖ ﴿٧٦﴾

بيان الآيات:

﴿قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ﴾ أي: قالت سارة: يا ويلتى وهذا استغراب منها لما رأت خلاف المعهود وهو حملها كما قالت ﴿ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ﴾ أي: كيف ألد وأنا بهذه السن واليأس من الولد وهذا زوجي طاعن في السن ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ﴾ أي: إن ما بشرتموني به من الولد وولد الولد أمر عجيب. ﴿قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ﴾ هذا جواب من الملائكة لسارة، وفيه إنكار على عجبها أي: كيف تعجبين من الحمل بهذا الولد وهو من قدر الله وحكمته في أن يرزقكما هذا الولد واسمه إسحاق. ﴿رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ﴾ أي: أن ما حصل هو من رحمة الله وبركاته عليكم يا آل إبراهيم. ﴿إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ﴾ أي: محمود في ذاته وصفاته كريم في عطائه وإحسانه.

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ﴾ أي: لما ذهب عنه الخوف من الملائكة. ﴿وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ﴾ أي: بأن إسحاق سوف يولد له وأن إسحاق سوف يولد له يعقوب. ﴿يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ﴾ أخذ يجادل

الملائكة رسل الله، وفي هذه المجادلة روى حذيفة أنهم لما قالوا ﴿إِنَّا مُهۡلِكُوٓاْ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِۖ﴾[1]. قال لهم: أرأيتم إن كان فيها خمسون من المسلمين أتهلكونهم؟ قالوا: لا، قال: فأربعون ؟ قالوا: لا، قال: فثلاثون؟ قالوا: لا، قال: فعشرون؟ قالوا: لا، قال: فإن كان فيها عشرة - أو خمسة - قالوا: لا، قال: ارأيتم إن كان فيها رجل مسلم أتهلكونها؟ قالوا: لا، فقال إبراهيم عند ذلك ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطٗاۚ قَالُواْ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَن فِيهَاۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾[2].

﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ﴾ الأواه المتأوه أسفاً على فعل قوم لوط، وكفرهم برسالة الله، وإصرارهم على فعل الفاحشة، والمنيب الراجع إلى الله.

﴿يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ﴾ هذا أمر لإبراهيم أن يترك الجدال في قوم لوط لأن أمر الله نزل بهلاكهم على أفعالهم ﴿إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ﴾ أي: حق عليهم عذابه ﴿وَإِنَّهُمۡ ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ غَيۡرُ مَرۡدُودٖ﴾ أي: سوف ينزل بهم عذاب خاص بهم لا مدفع منه عنهم.

أحكام ومسائل الآيات:

الدلالة على أن المرأة قد تلد بعد طعنها في السن ويأسها من الولد

---

(١) سورة العنكبوت من الآية ٣١ .

(٢) ذكره الطبري في جامع البيان عن تأويل آي القرآن بألفاظ مختلفة ج٧ ص٧٩-٨٠، وذكره القرطبي في تفسيره ج٩ ص٧٢، وذكره الزمخشري في الكشاف ج٣ ص٢١٨، والآية في سورة العنكبوت الآية ٣٢ .

وذلك بقدرة الله عز وجل. والدلالة على أن الذبيح هو إسماعيل ابن إبراهيم وليس إسحاق لكون البشارة حصلت به وأنه سيولد له ولد اسمه يعقوب فلا يمكن أن يؤمر إبراهيم بذبحه وهو طفل ولم يولد له بعد يعقوب. ومن الأحكام: عدم مشروعية الجدال في الأحوال التي يكون الحكم فيها مبنيّاً على الشرع ومشروعيته في الأحوال التي ليس فيها مثل هذا الحكم. ومنها: الحكم بأن الله لا يرد بأسه عن القوم المجرمين الذين يعرضون عن الحق ويصرون على المعصية. وهذا يقتضي وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذ لا تبرأ ذمة أحد يرى آخر على المعصية ولا ينكر عليه كما قال تعالى ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾(١).

﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ ﴾.

(١) سورة الأنفال الآية ٢٥ .

بيان الآيات:

﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ في هذا بيان من الله تعالى أن الملائكة لما خرجوا من عند إبراهيم جاؤوا إلى لوط وهو ابن عم إبراهيم، وكان يحرث في أرضه فلما رآهم ساءه مجيئهم وضاق صدره بهم خوفاً عليهم من قومه؛ ذلك أنه لم يعلم أنهم ملائكة ولم يعلم غرضهم من المجيء. ﴿وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ أي: هذا يوم صعب وعسير علي. وقيل: إنه لما صحبهم في طريقه إلى البيت أشار أو عرض لهم أن يتركوه فكان يقول: يا هؤلاء والله ما أعلم على وجه الأرض أهل بلد أشرّ وأخبث من هؤلاء وكان يمشي ويكرر عليهم هذه الكلمات أربع مرات. وقيل: إن الملائكة لم يؤمروا بعذابهم إلا بعد أن يشهد عليهم نبيهم[1].

﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾ أي: أتوه مسرعين. ﴿وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ المراد أنهم كانوا على فعلتهم الشنيعة من ارتكاب الفحشاء. ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ وقصده من هذا عليه السلام إرشادهم إلى نسائهم، وهم بناته بوصفه النبي الذي أرسل إليهم ذكورهم وإناثهم. ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ﴾ أي: اخشوا الله واستحيوا منه ولا تجعلوني في ضيق وعنت أمام ضيوفي

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٧ ص٨١، وتفسير البغوي ص٦٢٦.

﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ أي: أليس فيكم رجل عاقل يطيعني فيما أمرتكم به من غشيان نسائكم.

﴿قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ والمراد أن جدال لوط عليه السلام ونصحه لهم لم يزدهم إلا طغياناً وكفراً فأجابوه ليس لنا رغبة في زوجاتنا. ﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ أي: أنت تعلم رغبتنا في غشيان الرجال وعدم رغبتنا في غشيان النساء.

أحكام ومسائل الآيات:

إكرام الضيف يقتضي حمايته والمحافظة عليه. تقرير أن المعصية تجعل صاحبها عبداً لهواه فلا يردعه عن فعلها دين ولا عقل.

﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ (٨٠) قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (٨١) فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ (٨٢) مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ (٨٣)﴾.

بيان الآيات:

﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ في هذا بيان من

الله أن لوطاً كان يتوعد قومه بالعذاب لو كانت له قوة يلجأ إليها أو عشيرة يركن إليها. وفي حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (**يرحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد**[١] **فما بعث الله بعده نبياً إلا في ثروة من قومه**)[٢]. ﴿قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ﴾ لما رأت الملائكة ضيق صدر لوط، وتحسره من سوء قومه وكفرهم، وبشاعة سلوكهم أخبروه أنهم رسل من عند الله، وأن قومه لن يصلوا إليه، وكان هؤلاء وقوفاً عند الباب وهو يدفعهم وكانوا يهددونه فعند ذلك خرج جبريل عليه السلام فضربهم بجناحه فانطمست أعينهم كما قال عز وجل ﴿وَلَقَدۡ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيۡفِهِۦ فَطَمَسۡنَآ أَعۡيُنَهُمۡ فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾[٣]. ثم أمروه أن يسري بأهله في آخر الليل كما قال عز وجل ﴿فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ﴾ وقوله ﴿وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ﴾ أي: استمر أنت وأهلك في السير كما أمرت ولا تلتفت عندما تسمع أصواتاً أو غيرها. ﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ﴾ أي: استثنيت من السير معه لكفرها وإقرارها بالفحشاء فقيل: إنه أمر أن تبقى ولا تخرج معه. وقيل: خرجت ولكن التفتت

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة، برقم (١٥١)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١ ص٨٧٩ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج٩ ص٧٨، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٢ ص٤٣٥ .

(٣) سورة القمر الآية ٣٧ .

فنزل عليها حجر من السماء فأهلكها[١] ثم أخبرته الملائكة بقرب هلاك قومه، فاستعجله من شدة ما يجد في نفسه عليهم فقالوا ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ أي: إن موعدهم هو الصبح وهذا الموعد قريب فانتظره.

﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ أي: لما حق العذاب على قوم لوط ﴿جَعَلْنَا عَـٰلِيَهَا سَافِلَهَا﴾ قيل: إن جبريل جعل جناحه في أسفل قراهم ثم رفعها إلى السماء ثم قلبها عليهم ثم أنزلت عليهم الحجارة[٢] كما قال تعالى ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾ ومعنى السجيل أي: الكثير في عدده الشديد في قوته والمنضود أي: المنظم. ﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ﴾ معلَّمة أي: عليها علامات ﴿وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ أي: إن هذه الحجارة ليست ببعيدة عن الظالمين أي: ليست بعيدة عن المشركين من قومك حيث إن قرى قوم لوط تقع بين الشام والمدينة[٣] وليست بعيدة عن الظالمين عموماً.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن القوة مصدر لرد الأذى، وما كانت الأمم لتظهر على غيرها إلا عندما يكون لها قوة. والقوة تنقسم إلى قسمين: قوة الإرادة، وقوة المادة وكلتاهما مكملتان بعضهما لبعض، وفوق ذلك لا معنى ولا بقاء لأي قوة إذا لم تكن مستندة على طاعة الله. ومن مسائل الآيات: الندب

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٢ ص٤٣٥ .

(٢) تفسير البغوي ص٦٢٧ .

(٣) وتسمى سدوم وتقع في منطقة البحر الميت أو الغور في الأردن بين الأردن وفلسطين.

للسير في الليل عندما يكون المرء في حاجة إلى تبييت أمر له فيه مصلحة أو خشية من حادث يقع له. ومنها: الحكم بأن فاحشة قوم لوط من أسوأ الفواحش وأرذلها، ومن أكثر سخط الله على أصحابها وما من قوم تشيع فيهم إلا يسلط الله عليهم عذابه. وقد سبق أن ذكرنا أن هذه الفاحشة أصبحت شائعة وظاهرة في بلدان عديدة مما ينذر بعقاب من الله. وقد روي أن رسول الله ﷺ قال: (**لا تذهب الليالي والأيام حتى تستحل هذه الأمة أدبار الرجال كما استحلوا أدبار النساء فتصيب طوائف من هذه الأمة حجارة من ربك**)[1].

قلت: وليس استحلالها وفعلها هو الحرام فحسب، بل وعدم إنكارها على من يفعلها من الأمم كذلك؛ ذلك أن هذه الأمة مسؤولة مسؤولية مطلقة عن تبليغ دين الله الذي حرم هذه الفاحشة وغيرها من الفواحش.

﴿ ۞ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۖ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ﴿٨٦﴾ ﴾.

(١) الجامع لأحكام القرآن ج٩ ص٨٤ .

بيان الآيات:

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ مدين قبيلة من قبائل العرب وكانت تقطن بين الحجاز والشام من جهة مدينة معان الحالية(١) وشعيب منهم أرسله الله إليهم لعبادته كما قال تعالى ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ هذه هي دعوة جميع الرسل إلى قومهم أن يعبدوا الله ويوحدوه ويقروا أنه لا إلَه غيره. ﴿وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ﴾ وفي هذا دلالة على أنه مع إشراكهم بالله وكفرهم كانوا يبخسون الناس في معاملاتهم ويطففون في الكيل والميزان فإذا كان البيع لهم من طعام وغيره استوفوا أكثر مما لهم وإذا كان البيع منهم باعوه بكيل ووزن ناقص. ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ﴾ أي: قال لهم نبي الله شعيب: انتهوا عن الشرك بالله وعن فعلكم في معاملاتكم فأنتم في سعة من الرزق مما يجب عليكم حمد الله تعالى وشكره ﴿وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ أي: إني أخاف عليكم من عذاب يحيط بكم في الدنيا فيهلككم فيها أو يمسك عنكم نعمه وسعته في الرزق فتصبحوا خاسرين. ﴿وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٢ ص٤٣٧، وتقع مدينة معان في الجهة الجنوبية من الأردن على الأطراف الغربية للهضبة الصحراوية الممتدة من شبه الجزيرة العربية حتى بادية الشام.

بِٱلْقِسْطِ ﴾ أي: أدّوا ما يجب من الوفاء بالكيل والميزان على أساس العدل بحيث لا تظلموا من يتعامل معكم. ﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ ﴾ أي: لا تأخذوا منهم شيئاً لا تستحقونه. ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ أي: لا تفسدوا في الأرض بالتطفيف في الكيل أو الوزن وفي هذا دلالة على أن ذلك من الفساد في الأرض ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ المراد أن ما يبقى لكم بعد الوفاء بالحقوق كاملاً غير منقوص خير لكم بما يجعل فيه بركة أكثر مما تبخسونه ظلما ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ أي: إن كنتم تؤمنون بالله حق الإيمان فهذا يوجب عليكم عدم تطفيف الكيل والوزن. ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾ أي: قال لهم شعيب: هذه هي رسالة الله إليكم، أما أنا فلا أستطيع حفظ مكاييلكم وموازينكم بل الله هو الذي يحفظ عليكم أعمالكم فيجازيكم عليها.

أحكام ومسائل الآيات:

تحريم بخس الناس حقوقهم كالغش ونحوه، وتحريم تطفيف الكيل والوزن وكل ما يدخل في هذا المعنى من صور التعامل. الحكم بوجوب الوفاء في التعامل. تقرير أن بخس الناس أشياءهم وتطفيف الكيل أو الوزن معهم يعد فساداً في الأرض. وقد عدّ الله الفساد في الأرض محاربة له تستوجب أشد العقوبة كما قال تعالى

﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ ﴾ الآية[١].

﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ ﴾ كان شعيب عليه السلام كثير الصلاة والعبادة فهذا جواب من قومه قالوه له على سبيل الاستهزاء بمعنى هل صلاتك ﴿تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ ﴾ أي: نتخلى عن عبادة كان يفعلها آباؤنا من أجل صلاتك. ﴿أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ ﴾ أي: وهل نطيعك فنفسد ماكنا نتعامل به مع غيرنا ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾ لم يقصدوا بهذا مدحه عليه السلام فقد آذوه وعيَّروه وإنما قالوا هذا على سبيل الاستهزاء.

﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي ﴾ أي: قال

(١) سورة المائدة من الآية ٣٣ .

شعيب لقومه: أرأيتم إن كنت على دليل وبرهان من ربي فيما جئتكم به. ﴿وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ أي: رزقاً كثيراً وحلالاً والمراد أن الله أعطاني البينة والبرهان على عبادته وحده ورزقني وكان عليه السلام كثير المال فهل أتَّبِع ضلالكم وأطيعكم فيما تفعلونه من تطفيف الكيل والوزن؟ وهذا على سبيل الإنكار منه عليه السلام لسلوكهم. ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ أي: من المستحيل علي أن أنهاكم عن شيء وأفعله ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ﴾ أي: إنّ ما أريده منكم هو إصلاح عبادتكم وجعلها لله تعالى وإصلاح تعاملكم مع الناس وهذا هو ما أستطيع أن أقوله لكم. ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ أي: إن هدايتي ورشدي من الله. ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ أي: اعتمدت. ﴿وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ أي: أتوب وأرجع إليه.

أحكام ومسائل الآيتين:

بيان أنّ عادة الكفار الاستهزاء بأحكام الله وتكذيب رسله مما يعد كفراً يستحق معه صاحبه الهلاك في الدنيا والآخرة، وقد بيَّن الله ذلك في المنافقين الذين كانوا يستهزئون برسول الله ﷺ وأصحابه في قوله تعالى ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾(١). ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾(٢). ومن الأحكام: أن من ينهى

(١) سورة التوبة من الآية ٦٥ .
(٢) سورة التوبة من الآية ٦٦ .

عن فعل أمر غير مشروع عليه ألا يخالفه بل يكون هو القدوة فى اجتنابه كما قال تعالى محذراً المؤمنين عن مخالفة أفعالهم لأقوالهم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾[1]. ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾[2]. ومنها: الحكم بأن الأمر بالإصلاح يكون بقدر الاستطاعة، وأن التوفيق فى الدعوة هو من الله فهو الموفق والمرشد لعباده.

﴿ وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ (٨٩) وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ (٩٠) ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ ﴾ أي: لا تحملكم عداوتكم وبغضكم لي على الاستمرار فى الكفر وترك الإيمان. ﴿ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ﴾ أي: إن بقيتم على كفركم فسيصيبكم ما أصاب الكفار من الأمم قبلكم ممن أهلكهم الله بالعذاب ﴿ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴾ كانوا يعرفون عذاب قوم لوط ويعونه لقرب عهده ولقرب ديارهم من ديارهم.

---

(١) سورة الصف الآية ٢ .

(٢) سورة الصف الآية ٣ .

﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ﴾ أي: استغفروه من ذنوبكم الماضية ثم توبوا إليه منها. ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ أي: يرحم ويحب من يتوب إليه ويتقيه.

أحكام ومسائل الآيتين:

تحذير من يكفر بآيات الله ويرتكب المحرمات بأن العذاب يصيبه كما أصاب من قبله من الكفار، وأن الواجب على من أذنب أن يستغفر الله من ذنوبه ويتوب إليه منها ويقطع علاقته بالكفر وأهله ومن فعل ذلك رحمه الله وأحبه.

﴿قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِيٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَٰمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ وَٱرْتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ﴾ أي: لا نفهم ما أنت

تدعونا إليه وفي هذا دلالة على توليهم عن سماع ما كان يقوله لهم مع احتقاره ﴿وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾ أي: واحداً. ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ﴾ أي: لولا قوة عشيرتك لرجمناك أي: قتلناك أو خاصمناك. ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ أي: ليس لك عز عندنا ولا مكانة. ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِيٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: هل عشيرتي وقومي أعظم عندكم من الله الذي خلقكم ثم يميتكم ثم يحييكم. ﴿وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾ أي: اتخذتم رسالة الله التي جئت بها إليكم وراء ظهوركم. ﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من الكفر وتطفيف الكيل والوزن وبخس الحقوق. ﴿مُحِيطٌ﴾ أي: حفيظ لما تعملونه.

﴿وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ أي: اعملوا على ما أنتم عليه طالما أنكم لم تقبلوا مني وفى هذا تهديد ووعيد لهم. ﴿إِنِّي عَٰمِلٌ﴾ أي: عامل بما أمرني الله به وهداني إليه ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ أي: سوف ترون من يصيبه العذاب أنتم أو أنا. ﴿وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ﴾ أي: ومن هو كاذب منا. ﴿وَٱرْتَقِبُوٓاْ﴾ أي: انتظروا ما سيأتيكم. ﴿إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ أي: منتظر.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن قوة الداعي إلى الله تمنعه من سفه قومه. وإيذائه؛ فكلما

كان ذا قوة ومكانة كان ذلك أخف عليه من عنت قومه بل إن قوته وبسط يده تنفع فى نشر الدعوة ولهذا كان رسول الله ﷺ كريماً فى دعوته سخياً فى عطائه وفى ذلك روى أنس أنه عليه الصلاة والسلام ما سئل على الإسلام شيئاً إلا أعطاه ولقد جاءه رجل فأعطاه غنماً بين جبلين فرجع إلى قومه فقال يا قوم: أسلموا فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، وإن كان الرجل يسلم ما يريد إلا الدنيا فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها(١).

﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا ﴾ أي: الأمر بالعذاب وهو صيحة جبريل فيهم حتى ماتوا ﴿ نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ ﴾ أي: سلمنا شعيباً ومن آمن معه من قومه من الصيحة التي نزل بها جبريل. ﴿ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴾ أي: هامدين. قال الامام ابن كثير: ذكر فى سورة

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال لا. وكثرة عطائه، برقم (٢٣١٢)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١٠ ص٦١٢٩-٦١٣٠ .

الأعراف أنها الرجفة وفي الشعراء عذاب يوم الظلة، وهم أمة واحدة اجتمع عليهم يوم عذابهم هذه النقم كلها وإنما ذكر فى كل سياق ما يناسبه ففي الأعراف لما قالوا ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ﴾[١] ناسب أن يذكر هناك الرجفة فرجفت بهم الأرض التي ظلموا بها وأرادوا إخراج نبيهم منها. وههنا لما أساؤوا الأدب فى مقالتهم على نبيهم ذكر الصيحة التي استلبثتهم وأخمدتهم. وفى الشعراء لما قالوا ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[٢] قال ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[٣] وهذا من الأسرار الدقيقة ولله الحمد والمنة[٤]. ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ﴾ أي: كان لم يعيشوا في بلادهم. ﴿أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ أي: بعداً لهم جميعاً على كفرهم بالله.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن الله ينجي المؤمنين من العذاب الذي يحيق بالكافرين، وأن هذا العذاب يناسب نوع الظلم والكفر ودرجته؛ فالظالم يجزى بما يناسب ظلمه، والكافر كذلك ولا يظلم الله أحداً ولا يعاقبه إلا بذنب اقترفه.

---

(١) سورة الأعراف من الآية ٨٨ .

(٢) سورة الشعراء الآية ١٨٧ .

(٣) سورة الشعراء الآية ١٨٩ .

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٢ ص٤٣٩ .

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُواْ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ هذا بيان من الله تعالى أنه أرسل موسى إلى فرعون ملك القبط بالآيات البينات وهي تسع سبق ذكرها في سورة الأعراف. ﴿ وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ أي: أرسلناه بحجة بينة. ﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ ﴾ أي: قومه ﴿ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ ﴾ أي: اتبعوا فرعون ولم يؤمنوا بما جاء به موسى. ﴿ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴾ أي: ليس يدلهم على خيرهم. ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ أي: يتقدم فرعون قومه يوم القيامة بوصفه رئيسهم الذي علَّمهم الكفر. ﴿ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ ﴾ أي: يدخلهم النار ﴿ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴾ أي: تعس وبئس المكان الذي يؤولون إليه .

﴿ وَأُتْبِعُواْ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً ﴾ أي: حلت عليهم اللعنة في الدنيا. ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴾ أي: وحلت عليهم اللعنة أيضاً في الآخرة، وتعس وقبح الرفد المرفود وهو العطاء الذي أعطي لهم .

أحكام ومسائل الآيات:

التحذير من اتباع الرؤساء والقادة الذين يضلون أتباعهم عن سبيل الله. الحكم بأن هؤلاء سيقدمون أتباعهم يوم القيامة إلى النار وسيكون لهم العذاب فى الدنيا والآخرة وهذا أشد أنواع العذاب.

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ (١٠٠) وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ (١٠١) وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (١٠٢)﴾

بيان الآيات:

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ﴾ لما بيَّن الله ما حدث لقوم نوح وقوم هود وصالح ولوط وقوم فرعون قال لنبيه: إن ما حدث لهذه القرى وأصحابها قصصناه عليك ﴿مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ أي: إن هذه القرى منها ما بقي له أثر كديار ثمود، ومنها ما لا أثر له كديار قوم عاد وهو معنى قوله تعالى وحصيد ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ﴾ أي: لما جاءهم من البينات وهو معنى قوله تعالى ﴿وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ قوله. ﴿فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ

﴿ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ﴾ أي: ما منعت عنهم أوثانهم وأصنامهم العذاب الذي حاق بهم ﴿لَّمَّا جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ﴾ أي: لما جاء هذا الأمر بهلاكهم. ﴿وَمَا زَادُوهُمۡ غَيۡرَ تَتۡبِيبٖ﴾ أي: ما وجدوا من هذه الأوثان إلا الخسران.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ﴾ الخطاب لرسول الله ﷺ والمراد أن ربك كما أخذ قرى قوم نوح وعاد وغيرهم قادر على أن يأخذ أهل كل قرية ظالمين. ﴿إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ﴾ أي: موجع.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير وحي الله لنبيه ورسوله محمد ﷺ بما حدث للأنبياء من قبله وما لاقوه من العنت من قومهم، ونصر الله لهم. وفيه دلالة على أن الله جل وعلا ناصر لدينه ومظهر لرسالته كما قال تعالى ﴿وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾(١). ومن الأحكام: أن الله لا يظلم أحداً وحاشاه ذلك، ولكن الكافرين يظلمون أنفسهم بسبب تكذيبهم لرسل الله وارتكابهم ما حرمه عليهم من الفواحش. ومنها: تقرير أن الله يهلك الظالمين هلاكا أليماً، وقد يكون هذا الهلاك معجلاً لهم فى الدنيا أو مؤخراً لهم فى الآخرة وقد يرى الظالم الاستمرار على الظلم ظناً منه أن الله لا يعاقبه ومايدري أن الله يملي له ويستدرجه كما قال تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ﴾(٢). وفى حديث أبي موسى

(١) سورة التوبة من الآية ٣٢ .

(٢) سورة الأعراف الآية ١٨٢ .

أن رسول الله ﷺ قال: (**إن الله تعالى ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يُفلته**) ثم قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ﴾ الآية[1].

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْأَخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً﴾ أي: إن ما حدث من إهلاك الكافرين المكذبين لرسلهم لعظة ﴿لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْأَخِرَةِ﴾ المراد به النار ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ﴾ أي: محشورون فيه كلهم أولهم وآخرهم ﴿وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ أي: يشهده الخلق لأنه اليوم الذي يجتمعون فيه للجزاء كل حسب عمله. ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ﴾ أي: ما نؤخر يوم الحشر. ﴿إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴾ أي: أجل مقدر ومعلوم. ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ أي: يوم يأت ذلك اليوم. ﴿لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ أي: لايتكلم أحد إلا بإذن الله. ﴿فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ﴾ أي: من هؤلاء الناس شقي بسبب ذنوبه وخطاياه، ومنهم سعيد بما عمله فى الدنيا من الإيمان بالله.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾، برقم (٤٦٨٦)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص٢٠٥ .

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن يوم البعث يوم لاريب فيه وقد قدَّره الله وعنده علمه وفيه تحشر جميع الخلائق من الإنس والجن والطير وكل ما خلق الله كما قال تعالى ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾[١]. ﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ﴾[٢]. الحكم بأن من الناس من هو شقي ومنهم سعيد. الحكم بأن الناس لا يتكلمون يوم القيامة إلا بإذن الله كما قال تعالى ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾[٣].

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ﴾ أي: الذين حصلت لهم الشقاوة بسبب سوء أعمالهم فلهم النار ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ أي: لهم زفير في صدورهم وشهيق فى حلوقهم وذلك يدل على حزنهم وضيقهم

---

(١) سورة الكهف من الآية ٤٧ .

(٢) سور الكهف من الآية ٤٨ .

(٣) سورة النبأ من الآية ٣٨ .

وشقاوتهم. ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ ﴾ أي: مخلدون فيها والمراد بالسماوات والأرض في الآخرة وليس فى عالم الدنيا. وقيل: أراد به السماء والأرض المعهودتين فى الدنيا وأجرى ذلك على عادة العرب فى الإخبار عن دوام الشيء وتأييده فأفهمهم الله تخليد الكفرة بذلك وإن كان قد أخبر بزوال السموات والأرض[١].

قوله﴿ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ ﴾ أي: من يستثنيهم الله من الخلود وهم أهل التوحيد الذين لم يشركوا بالله ولكنهم ارتكبوا الكبائر فيشفع فيهم النبيون والملائكة والمؤمنون فيرحمهم الله برحمته.﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ﴾ أي: يفعل مايشاء بحكمته وإذا أراد أن يفعل شيئاً قال له كن فيكون تقدست أسماؤه وعز جلاله لا إلَه إلا هو.

﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ﴾ المراد بهم المؤمنون المتقون الذين استجابوا لأمر الله وصدقوا رسله.﴿ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ﴾ أي: لهم الجنة.﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ أي: مقيمين فيها أبداً.﴿ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ﴾ الاستثناء هنا لا ينصب على خروجهم منها كحال أهل النار عندما يشفع لهم المؤمنون، وإنما المراد أن خلودهم فى الجنة كان بمشيئة الله ودوامهم فيها بمشيئته كذلك ولهذا قال عز وجل﴿ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ﴾ أي: دائم وغير مقطوع.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ج٩ ص٩٩

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن الله قد قضى على أناس بالشقاوة بسبب ما كسبوه من شر فى دنياهم، وهؤلاء يخلدون فى العذاب. ومن الأحكام: أن الله قضى على أناس من عباده بالسعادة بسبب ما عملوه فى الدنيا من خير واستقاموا عليه، وأن هؤلاء مخلدون في الجنة وخلودهم فيها لا ينقطع بل هو دائم لا يزولون عنه ولا يتحولون.

﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰؤُلَاءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُم مِّن قَبْلُ ۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ ۚ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾﴾

بيان الآيات:

﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ﴾ الخطاب لرسول الله ﷺ والمراد غيره بألا يكون فى شك مما يعبد هؤلاء من الأوثان فعبادتهم باطلة. ﴿مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُم مِّن قَبْلُ﴾ أي: تقليداً خاسراً لعمل آبائهم كما قال تعالى عنهم ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾(١). ﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾ أي: سيوفون جزاء ما عملوا

---

(١) سورة الزخرف من الآية ٢٣ .

من خير وشر لا ينقصون منه شيئاً. ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ﴾ المراد بالكتاب التوراة وقد اختلف اليهود فيها؛ فمنهم من آمن بما جاء فيها، ومنهم من كفر. ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ المراد بالكلمة أن الله أراد بحكمته أن يؤخر الجزاء إلى يوم القيامة وقد يكون المراد أنه لن يعذب أحداً إلا بعد أن تقوم الحجة عليه بعد إرسال الرسل. ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ أي: إن مشركي العرب في شك وريب من القرآن بسبب ضلالهم.

﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ أي: إن ربك يا محمد سيوفي كل واحد عمله ويجازيه عليه إن خيراً فخير وإن شراً فشر ﴿إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ أي: عليم بأفعال عباده كثيرها وقليلها جليلها وحقيرها.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن عبادة أهل الأوثان عبادة باطلة وسيلقون جزاء شركهم بالله. ومن الأحكام: أن الله أجل لهم العذاب إلى يوم القيامة لحكمة أرادها وقضاء قضاه فلا معقب لحكمه ولاراد لقضائه. ومنها: الحكم بأن الله سيوفي العباد أعمالهم يوم القيامة كثيرها وقليلها ويجزي كل واحد بما عمل.

﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ ﴾ المخاطب بهذا رسول الله ﷺ وغيره من أمته وهذا أمر بالاستقامة على دين الله وعلى ما ينال المرء فيه من المشقة. ﴿وَمَن تَابَ مَعَكَ ﴾ أي: استقم يا محمد أنت وأصحابك الذين تركوا الشرك واتبعوك وأقاموا معك على طاعة الله والجهاد في سبيله. ﴿وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾ أي: لا تتكبروا ولا تتجبروا على أحد وادعوا إلى الله كما أمركم أن تدعوا واستقيموا على دينكم واعلموا أن الله يعلم أقوالكم وأعمالكم كبيرها وصغيرها.

﴿ وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ أي: لا تميلوا إليهم ولا تحبوهم ولا ترضوا عن أعمالهم ولا تمالئوهم. ﴿فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾ أي: تصيبكم النار بموالاتكم لهم ومحبتكم لهم. ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ﴾ أي: إن واليتموهم فلن يكون لكم ولي من دون الله ينجيكم من عذابه ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ أي: لا ينصركم أحد من عقابه.

أحكام ومسائل الآيتين:

أمر الله بالاستقامة على دينه؛ وفي ذلك روى سفيان بن عبد الله الثقفي قال قلت: يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك. قال: (**قل آمنت بالله فاستقم**)[1]. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ما

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب جامع أوصاف الإسلام، برقم (٣٨)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١ ص٢٠٦.

نزل على رسول الله ﷺ آية أشد ولا أشق من هذه الآية عليه ولذلك قال لأصحابه حين قالوا له: أسرع إليك الشيب فقال: (**شيبتني هود وأخواتها**)(١). الحكم بوجوب عدم موالاة الظالمين، أو مداهنتهم، أو موالاتهم، أو محبتهم بأي صورة ومن فعل ذلك فقد استحق عقاب الله.

﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ ﴾ المراد الصلوات المكتوبة. ﴿ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ ﴾ الطرف الأول صلاة الفجر والطرف الثاني صلاة الظهر والعصر. ﴿ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ ﴾ المراد بهما صلاة المغرب وصلاة العشاء. ﴿ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾ أي: إن الصلاة تكفر صغائر الذنوب، وإن الحسنات عموماً تذهب السيئات إذا اجتنبت الكبائر. ﴿ وَٱصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ المخاطب رسول الله ﷺ أي: اصبر على فعل الطاعات وعلى ما ينالك من أذى المشركين وعنتهم، فإن الله لن يضيع أجر المحسنين الذين أحسنوا في أقوالهم وأفعالهم وأخلصوا نياتهم وطاعاتهم لله عز وجل.

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، برقم (٣٢٩٧)، بلفظ «شيبتني هود والواقعة والمرسلات»، ج٥ ص٣٧٥ .

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بفريضة الصلوات الخمس، وبيان أوقاتها. بيان أن الحسنات يذهبن السيئات وفى هذا روى أبوهريرة أن رسول الله ﷺ قال: (**أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمساً ما تقول ذلك يُبْقِي من درنه؟**) قالوا: لا يبقى من درنه شيئاً قال: (**فكذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا**)[1]. وما رواه أيضا أن رسول الله ﷺ قال: (**الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر**)[2]. ومن أحكام الآيات: وجوب الصبر على طاعة الله، وعلى ما يلاقيه المسلم من عنت أو مشقة بسببها فكل ذلك مما يحفظه الله ولا يضيعه.

﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ أي: فهلا كان من الأمم

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلوات الخمس كفارة، برقم (٥٢٨)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٢ ص١٤ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الطهارة، باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة.. مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر، برقم (٢٣٣)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١ ص١١٤٩ .

قبلكم. ﴿أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ﴾ أي: أهل دين وتقوى. ﴿يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ أي: كانوا قلة أنجيناهم من عقابنا بسبب إيمانهم وتصديقهم لرسلهم ﴿وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ﴾ أي: دأبوا على ماهم عليه من الكفر مع ترفهم واشتغالهم بالمال وتركهم طاعة الله ولم يستجيبوا للذين دعوهم فحق عليهم العذاب بسبب ظلمهم وجرمهم كما قال تعالى عنهم ﴿وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾. ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾ أي: يهلك أهل القرى وهم قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى. ﴿وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ أي: صالحون فى أنفسهم، والمراد أن الله لم يهلك أهل هذه القرى إلا بسبب فسادهم فى سلوكهم كفعل قوم لوط وفسادهم فى التعامل بينهم كقوم شعيب.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن الناس لا يزالون بخير إذا وجد فيهم من يردعهم عن الظلم، ويأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر. وأن الناس لا يزالون على أسوأ حال إذا وجد فيهم من يراهم على المعاصي فلا ينهاهم عنها كما قال تعالى ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ

وَكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴾[١]. ﴿ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾[٢]. ولهذا أمر الله المؤمنين أن يكونوا دعاة أمر بالمعروف ونهي عن المنكر كما قال عز وجل ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[٣]. وفي حديث أبي بكر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب**)[٤]. ومن الأحكام: أن الله لم يعذب أناساً إلا بسبب ظلمهم وفسادهم كما قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[٥].

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾.

---

(١) سورة المائدة الآية ٧٨ .

(٢) سورة المائدة الآية ٧٩ .

(٣) سورة آل عمران الآية ١٠٤ .

(٤) أخرجه أبو داود في كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، برقم (٤٣٣٨)، سنن أبي داود ج٤ ص١٠٧، والترمذي في كتاب التفسير برقم (٣٠٥٧)، سنن الترمذي ج٥ ص٢٣٩، وابن ماجة في كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، برقم (٤٠٠٥)، ج٢ ص١٣٢٧، وأحمد في مسنده ج١ ص٧ .

(٥) سورة يونس الآية ٤٤ .

بيان الآيتين:

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ أي: لجعلهم على ملة واحدة هي الإسلام أو على ملة واحدة هي الكفر ولكن حكمته اقتضت أن يكونوا على أديان عدة. ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ أي: على ملل وأديان متعددة. ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ أي: إلا من رحم الله منهم فهداه للإيمان واتباع ما جاء به الرسل إلى أن جاء رسول الله ﷺ فصدقه واتبع ما جاء به فهذا لم يختلف لأن أهل الإيمان لا يختلفون. ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾أي: خلق الناس منهم مؤمن ومنهم كافر فيجزي كلا بما عمل. ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾أي: قضى الله وقدَّر فى الأزل أن يملأ جهنم من الجن والإنس ويملأ الجنة كذلك من الجن والإنس.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن الله عز وجل لو أراد لجعل الناس كلهم على دين الإسلام، ولكن حكمته اقتضت أن يجعل منهم مسلمين ويجعل منهم كافرين كما قال تعالى ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾(١). ومن الأحكام: أن الله جعل الناس مختلفين فى مللهم وسلوكهم وفى هذا قال رسول الله

---

(١) سورة يونس الآية ٩٩ .

ﷺ: **(تفرقت اليهود والنصارى على اثنين وسبعين فرقة وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة)** قيل: من هم يارسول الله؟ قال: **(ما أنا عليه وأصحابي)**[1]. ويستثنى من هذا الاختلاف من رحمه الله، وهم أهل الإيمان فإن هؤلاء لا يختلفون لأنهم يتبعون كتاب الله، وسنة رسوله محمد ﷺ ومن يتبعهما لا يضل ولا يشقى.

﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ﴾ في هذا تسلية لرسول الله ﷺ والمراد أننا نقص عليك يا محمد ﴿مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ﴾ الذين سبقوك وما نالهم

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، برقم (٢٦٤٠، ٢٦٤١)، سنن الترمذي ج٥ ص٢٥-٢٦، وابن ماجة في كتاب الفتن، باب افتراق الأمم، برقم (٣٩٩١)، سنن ابن ماجة ج٢ ص١٣٢١، والدارمي في كتاب السير، باب في افتراق هذه الأمة، برقم (٥١٨)، ج٢ ص٣١٤.

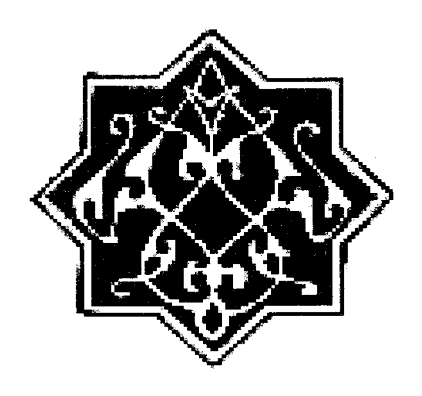
من العنت والمشقة في دعوتهم حين كذبوهم أقوامهم وآذوهم فصبروا على ذلك ﴿مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ أي: نثبت به قلبك على أداء الرسالة والصبر عليها. ﴿وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ﴾ المراد أنه جاءك الحق وهو القصص في هذه السورة عن أخبار الرسل. ﴿وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ المراد أن يتعظ من عرف أخبار الأمم السابقة وما حصل لها من العذاب بسبب كفرها، وفي هذه السورة كذلك ذكرى للمؤمنين حتى يكونوا دائماً على حذر وعلى وجل وخوف من الله.

﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ في هذا تهديد ووعيد والمعنى اعملوا على طريقتكم. ﴿إِنَّا عَٰمِلُونَ﴾ أي: على منهجنا وهو عبادة الله وحده وعدم الاشراك به. ﴿وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ وفي هذا تهديد والمراد انتظروا من سيكون السعيد ومن يكون الشقي.

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ في هذه الآية إخبار من الله عزوجل أنه يعلم الغيب في السموات والأرض وما فيهما من المكنونات والسرائر وهذا الغيب لا يعلمه إلا هو وأن مرجع كل الأمور إليه. ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ أي: أفرد العبادة له وحده والجأ إليه في السراء والضراء. ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ أي: يحصي أعمال عباده كبائرها وصغائرها ويجازيهم عليها.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أهمية القصص فى القرآن وما فيه من معرفة أخبار الأمم البائدة، وأهمية الاتعاظ بما حل بها بسبب كفرها ليكون فى معرفة ذلك دافع للإيمان وحاجز عن المعصية. ومن أحكام الآيات: توجيه الله لرسوله ﷺ أن يقول للمشركين والمكذبين له - على سبيل التهديد والوعيد - اعملوا على طريقتكم فى الكفر ونحن نعمل على طريقتنا فى الإيمان وكل سيجزى بما عمل. ومن الأحكام: أن الله وحده يعلم مكنونات السماء والأرض وأن كل أمر يرجع إليه، وأن على العبد أن يعبد الله وحده ويخلص فى هذه العبادة ويتوكل عليه كما قال عزوجل ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾(١).



(١) سورة الطلاق من الآية ٣ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة يوسف

مكية وآياتها إحدى عشرة ومائة آية

﴿ الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ الٓر ﴾ تقدم معناها ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴾ أي: القرآن البين فى آياته وأحكامه.

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ أي: بلغة العرب وعلى لسان النبي العربي وفى هذا تشريف للغة العرب وللعرب أنفسهم لأن القرآن هو كلام الله، وليس أشرف ولا أعظم ولا أعز منه. ﴿ لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ أي: لعلكم تتدبرون هذا القرآن وتؤمنون بما جاء به من الأحكام التي أحلت الحلال وحرمت الحرام.

لما نزل القرآن وتلاه رسول الله ﷺ سألوه أن يقص عليهم فنزل قوله تعالى ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾[1]

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٤٤٩، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٧ ص١٥٠، وزاد المسير لابن الجوزي ص٦٧٩ .

أي: نقص عليك بوحينا ﴿ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ ﴾ أي: هذا الكتاب ﴿ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ أي: أوحينا إليك الذي كنت لا تعرفه عن قصص الأنبياء قبلك ومنهم يوسف.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير نزول القرآن بلغة العرب لكي يفهموا معانيه ويتدبروا أحكامه، ويدعوا غيرهم من الأمم إليه. وفي هذا تشريف لهم وقد وصفت هذه السورة بأنها أحسن القصص لما فيها من الحِكَم، والصبر، والقدرة على العفو والصفح كما فعل يوسف مع إخوته الذين كادوا له وآذوه. ومن الأحكام: في هذه الآيات تقرير نبوة رسول الله محمد ﷺ وما خصه الله به من الفضائل ومنها: إخباره عن قصص الأنبياء والأمم قبله وما حل بهم.

﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ ﴾ أي: اذكر يا محمد لمن سألك عما قاله يوسف بن يعقوب لأبيه أنه قال له ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا ﴾

المراد بهم إخوته وكانوا أحد عشراً. ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ﴾ أي: أبوه وأمه. ﴿رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ﴾ أي: رأى في المنام كأن أحد عشر كوكباً والشمس والقمر سجدوا له وقد تبيَّن تأويل هذه الرؤيا بعد أربعين سنة اجتمع فيه مع أبيه وأمه وإخوته.

﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ﴾ لما عرف يعقوب عليه السلام أن هذه الرؤيا تدل على تفضيله على إخوته تفضيلاً زائداً يصل إلى حد السجود له خشي عليه منهم إذا عرفوها. ﴿فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ﴾ أي: يفعلوا ما يضرك بعد أن يغويهم الشيطان ويضلهم ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ أي: إن الشيطان أحد أعداء الإنسان لكونه يزين له المعاصي كما فعل مع آدم وحواء حين أغواهما بالأكل من الشجرة التي حرمت عليهما.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير حصول الرؤيا ومشروعية عرضها على من يعرف تعبيرها، وقد يتأخر ثبوتها بعد عدد من السنين كما حدث ليوسف مع أسرته. والرؤيا الصالحة حق وهي من المبشرات كما قال رسول الله ﷺ: (**لم يبق من النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أوترى له**)[1]. وهي جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة كما حكم بذلك رسول الله عليه

(١) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود، برقم (٤٧٩)، صحيح مسلم بشرح النووي ج٣ ص١٦٩٢ .

الصلاة والسلام[١]. وماكانت بهذه المنزلة إلا لأن فيها شيئاً من الاطلاع على علم الغيب. وتختلف الرؤيا عن الحلم فالأولى من المبشرات أما الحلم فمن الشيطان ويدخل في باب الأضغاث والأحلام. وفي حديث عوف بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: (**الرؤيا ثلاثة منها: أهاويل الشيطان ليحزن بها ابن آدم ومنها: مايهم به الرجل فى يقظته فيراه في منامه ومنها: جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة**)[٢]. ومن الأحكام: في قوله تعالى ﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ﴾ أن الرؤيا لا تقص إلا على عاقل أو صديق أو ناصح وفى هذا روى أبورزين العقيلي أن رسول الله ﷺ قال: (**رؤيا المؤمن جزء من أربعين جزءاً من النبوة وهي على رِجْلِ طائر مالم يتحدث بها، فإذا تحدث بها سقطت، قال: وأحسبه قال: ولا يحدث بها إلا لبيباً أو حبيباً**)[٣].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التعبير، باب القيد في المنام، برقم (٧٠١٧)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١٢ ص٤٢٢، وأخرجه الترمذي في كتاب الرؤيا، باب أن رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة، برقم (٢٢٧٠)، سنن الترمذي ج٤ ص٤٦١، وابن ماجة في كتاب الرؤيا، باب الرؤيا الصالحة يرها المسلم أو ترى له، سنن ابن ماجة ج٢ ص١٢٨٢ .

(٢) أخرجه ابن ماجة في كتاب الرؤيا، باب الرؤيا ثلاث، برقم (٣٩٠٧)، سنن ابن ماجة ج٢ ص١٢٨٥، والبخاري بلفظ آخر في كتاب التعبير، باب القيد في المنام، برقم (٧٠١٧)، صحيح البخاري مع الفتح ج١٢ ص٤٢٢ .

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب الرؤيا، باب ما جاء في تعبير الرؤيا، برقم (٢٢٧٨)، سنن الترمذي ج٤ ص٤٦٤، وابن ماجة في كتاب تعبير الرؤيا، باب الرؤيا إذا عبرت وقعت فلا يقصها إلا على وادٍ، برقم (٣٩١٤)، سنن ابن ماجة ج٢ ص١٢٨٨، وأبو داود في كتاب الأدب، باب في الرؤيا برقم (٥٠٢٠)، سنن أبي داود ج٤ ص٣٣٤ .

﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ ۞ لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾﴾

بيان الآيات:

﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾ هذا هو ما قاله يعقوب لابنه يوسف والمراد أنه يصطفيك لنبوته. ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ أي: يعلمك تأويل الرؤيا. ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ أي: بأن تكون نبياً يوحى إليك وإلى أولاد يعقوب. ﴿كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ﴾ أي: إبراهيم الخليل وابنه إسحاق. ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ أي: هو أعلم بأحوال خلقه ومن يكرمه برسالته حكيم بما يقدر ويفعل.

﴿لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ أي: كان فيه وإخوته عبر للذين يسألون عن قصتهم. ﴿إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ﴾ أي: والله

إن يوسف وأخاه بنيامين وكان هذا شقيقه﴿ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ﴾ أي: إنهما أقرب إليه منا وهما اثنان ونحن جماعة.﴿ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ أي: في خطأ واضح من أمرنا بإيثارهما علينا مع أن أبانا واحد.﴿ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ ﴾ أي: قال أحدهم: تخلصوا من يوسف بالقتل.﴿ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا ﴾ أي: في أرض تبعده عن أبيه ﴿ يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ ﴾ أي: تكون لكم الأثرة والمحبة عند أبيكم بعده.﴿ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴾ أي: سوف تكونون بعد قتل يوسف أو إبعاده تائبين من الذنب يقصدون بذلك التوبة إلى الله بعد قتله أو إبعاده.

﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ ﴾ أي: كبيرهم. ﴿ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ﴾ المراد أنه أشار عليهم بعدم قتله وإنما برميه في أسفل البئر﴿ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ ﴾ أي: ليلتقطه المسافرون الذين يرتادون هذا المكان فيأخذوه من أسفل البئر فيرمونه بعيداً فيكون إبعاده من قبلهم لا من قبلكم وهذا ينفي التهمة عنكم.﴿ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴾ أي: إن هذا هو الرأي إن كنتم عازمين على رأيكم بإبعاده عن وجه أبيكم.

أحكام ومسائل الآيات:

من الأحكام: أنه لا يجوز للوالد تفضيل أحد ولده على إخوته لما

يؤدي إليه ذلك من العداوة بينهم. وشاهده ماروواه النعمان بن بشير أن أمه بنت رواحة سألت أباه بعض الموهبة من ماله لابنها فالتوى بها سنة ثم بدا له فقالت: لا أرضى حتى تشهد رسول الله ﷺ على ما وهبت لابني فأخذ أبي بيدي وأنا يومئذٍ غلام فأتى رسول الله ﷺ فقال: يارسول الله إن أم هذا بنت رواحة أعجبها أن أشهدك على الذي وهبت لابنها فقال رسول الله: (**يا بشير ألك ولد سوى هذا؟**) قال: نعم، فقال: (**أكلّهم وهبت له مثل هذا؟**) قال: لا قال: (**فلا تشهدني إذاً فإني لا أشهد على جور**)[1].

ومن مسائل الآيات: أن التآمر والكيد من صفات البشر وسلوكهم وأهم أسبابه الحسد.

﴿قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۬نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ لَئِنۡ أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٥﴾﴾.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الهبات، باب كراهية تفضيل بعض الأولاد في الهبة، برقم (١٦٢٣)، صحيح مسلم بشرح النووي ج٧ ص٤٤١٨ .

بيان الآيات:

لما اتفق إخوة يوسف على إبعاده عن أبيه أخذوا برأي أخيهم الكبير في أن يتخلصوا من يوسف بإلقائه فى البئر وقالوا لأبيهم فى حيلة ماكرة ﴿يَـٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ أي: لماذا لا تأمنُنا عليه ونحن إخوته. ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَنَـٰصِحُونَ﴾ أي: سنعمل على رعايته وحفظه. ﴿أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ﴾ أي: اتركه يذهب معنا لكي يلعب وينشط ويكتسب صحة قوية ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ أي: سوف نعمل على حفظه ورعايته وكان قولهم هذا لأن يوسف كان طفلاً وهم كبار.

لما قالوا مقالتهم تلك خشي يعقوب على ابنه منهم لأنه كان يعيش هاجس الرؤيا التي رآها يوسف فكان جوابه لهم ماحكاه الله عنه بقوله عز ذكره ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ﴾ أي: إنه ليؤسفني أن تذهبوا به بعيداً عني وهو فى هذه السن ﴿وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ﴾ أي: أخشى أن يفترسه الذئب. ﴿وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَـٰفِلُونَ﴾ أي: تلهون فى لعبكم واستمتاعكم وتتركونه فريسة للذئاب. ولكي يقنعوه لتنفيذ تآمرهم على أخيهم ﴿قَالُواْ لَئِنۡ أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ﴾ أي: إن أكله الذئب ونحن جماعة لا نستطيع الدفاع عنه ﴿إِنَّآ إِذٗا لَّخَـٰسِرُونَ﴾ أي: لعجزة هالكون جاهلون بما ينبغي فعله، وفي هذا

توكيد منهم لأبيهم أنهم سوف يحفظون يوسف ويرعونه فلا يستطيع الذئب أن يقترب منه وهم جماعة.

﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾ أي: لما ذهبوا من عند أبيهم يعقوب نفذوا ما أجمعوا عليه فألقوه في البئر بما فيها من المخاطر فنجاه الله من الغرق حيث تقول الروايات أنه ارتفع إلى صخرة في البئر. ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا﴾ أي: أوحى الله إليه أنه في يوم مَّا سيلقاهم ويخبرهم بما فعلوا به من الغدر. ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: لا يعلمون ماسيكون لك من حسن العاقبة.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن المكر لا يكون من الأبعد فحسب بل يكون من القريب لقريبه. ومن الأحكام: أن القدر لابد أن يقع مهما كان حذر الإنسان وخوفه؛ فمع توجس يعقوب من أبنائه وخوفه على يوسف إلا أنه وافقهم على طلبهم وصدقهم فيما قالوه. ومنها: أن الحزن من طبيعة المرء عندما تكتئب نفسه إما ضيقاً بما حدث من حادث ساءها، وإما ضيقاً من حادث تتوقعه كما هو حال يوسف عندما ذهب به إخوته.

﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ

لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾

بيان الآيات:

﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ﴾ أي: جاء إخوة يوسف إلى أبيهم في ظلمة الليل يبكون أسفاً وجزعاً على ما حصل لأخيهم يوسف رغم حرصهم عليه. ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾ أي: نتسابق ونترامى ﴿وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا﴾ أي: تركناه عند أمتعتنا وثيابنا لأنه صغير لايستطيع أن يتسابق أو يترامى معنا. ﴿فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ أي: عدا عليه الذئب ونحن لاهون عنه فأكله. ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ أي: لن تصدقنا بما قلنا ولو كنا صادقين فعلاً لأن محبتك ليوسف تجعلك لا تصدق ما قلناه عما حدث له. ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ أي: دم سخلة ذبحوها ولطخوا بدمها قميصه وكان كذبهم واضحاً ذلك أن القميص كان سليماً من آثار الاعتداء؛ ذلك أنه لو كان الذئب اعتدى فعلاً على يوسف لبدت آثار الاعتداء على القميص بتمزقه أوبعضه، ولمَّا كانت كذبتهم واضحة لم يصدقهم يعقوب. ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ أي: زينت لكم أنفسكم مافعلتم بأخيكم فسأصبر صبراً جميلاً لا أشكو منه. ﴿وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ أي: المعين على ما وصفتم لي من الكذب عن أكل الذئب ليوسف.

أحكام ومسائل الآيات:

البكاء يكون أحياناً وسيلة للعذر ويقصد به قوة التأثير على الرائي والسامع، ولكنه قد لا يدل على صدق الباكي:

إذا اشتبكت دموع في خدود تبين لك من بكى ممن تباكى

ومن الأحكام: مشروعية السبق لما فيه من تمرين الجسم والتمرين على القوة، وكان رسول الله ﷺ يتسابق مع عائشة وسابق بين الخيل وغيرها[1]. ومن الأحكام: جواز الحكم المبدئي بالتهمة إذا ظهرت دلالتها فمن يخرج هارباً من بيت ومعه بعض متاعه يدل مبدئياً على أنه سارق مالم يثبت عكس ذلك عند القضاء. ومنها: أن الكذب غالباً ما ينكشف ولو حاول الكاذب إخفاء كذبه. ومنها: عدم جواز الجزع عند المصيبة أو الحادثة وإنما يجب الاستعانة بالصبر كما قال رسول الله ﷺ **(إن الصبر عند أول الصدمة)**[2].

﴿ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ

---

(١) أخرجه ابن ماجة في كتاب النكاح، باب حسن معاشرة النساء، برقم (١٩٧٩)، سنن ابن ماجة ج١ ص٦٣٦، والبخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما ذكر النبي ﷺ وحض على اتفاق أهل العلم. برقم (٧٣٣٦)، صحيح البخاري مع فتح الباري ١٣ ص٣١٧ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام، باب ما ذكر أن النبي ﷺ لم يكن له بواب، برقم (٧١٥٤)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١٣ ص١٤٢ .

دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ٢٠ وَقَالَ ٱلَّذِي ٱشۡتَرَىٰهُ مِن مِّصۡرَ لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗاۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢١ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَجَآءَتۡ سَيَّارَةٞ ﴾ المراد بهم جماعة مسافرون مروا بالمكان الذي فيه الجب وكان مرورهم هذا إكراماً من الله ليوسف لانتشاله من البئر حيث مكث فيها ثلاثة أيام بلياليها. ﴿فَأَرۡسَلُواْ وَارِدَهُمۡ ﴾ وهو الذي يقوم بالنيابة عنهم لاكتشاف موقع الماء. ﴿فَأَدۡلَىٰ دَلۡوَهُۥ ﴾ أي: أرسل دلوه إلى البئر لرفع الماء منها فتعلق بها يوسف وخرج من الجب ففرح صاحب الدلو بما رأى واستبشر به. ﴿قَالَ يَٰبُشۡرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٞۚ ﴾ أي: هذه بشرى كبيرة بوجود هذا الغلام، وكان يوسف عليه السلام جميلاً حسن الوجه قد بدت عليه علامات النبوة. ﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةٗۚ ﴾ أي: أخفوه كما لو كان بضاعة من البضائع وقد ذكر ابن عباس رضي الله عنهما أن إخوة يوسف أسرّوه بضاعة لما استخرج من البئر؛ وذلك أنهم جاؤوا إلى الذين أخرجوه من البئر فقالوا لهم: بئس ما صنعتم هذا عبد لنا آبق وقالوا ليوسف: إما أن تقر لنا بالعبودية فنبيعك من هؤلاء

وإما أن نأخذك فنقتلك فأقرّ لهم فباعوه منهم[١]. ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾ أي: عليم بما كان يفعله إخوة يوسف معه، وعليم بما يعمله الذين اشتروه وكان الأمر يجري على ما كان عليه من حال يوسف وإخوته لقدر قدَّره الله وحكمة أرادها. ﴿وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۢ بَخۡسٖ﴾ أي: باعه إخوته بثمن قليل ﴿دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ﴾ قيل: إن ثمنه كان عشرين درهماً[٢]. ﴿وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾ أي: زاهدين فى ثمنه فكان يهمهم بيعه بأي ثمن حتى لا يعود إلى أبيه.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِي ٱشۡتَرَىٰهُ مِن مِّصۡرَ لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ﴾ المشتري له هو وزير ملك مصر واسمه العزيز واسم امرأته زليخا كما ذكر[٣] وكان من لطف الله بيوسف أن جعل محبته فى قلب العزيز فأمر امرأته بإكرامه فى طعامه ولباسه وسائر مقامه. ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾ أي: لعله يساعدنا ويعيننا فى شؤوننا إذا بلغ. ﴿أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗاۚ﴾ أي: يكون لنا ولداً لأن العزيز كان حصوراً لايولد له. ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: مكنا له فى أرض مصر لما ناله من محبة ملكها

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٧ ص١٦٩، وتفسير البغوي ص٦٤، وزاد المسير ص٦٨٦.

(٢) زاد المسير لابن الجوزي ص٦٨٧ .

(٣) تفسير الضحاك ج١ ص٤٦٣، وتفسير مقاتل بن سليمان ج٢ ص١٤٤، وتفسير ابن وهب ج١ ص٣٨٠ .

فأصبح آمناً بعد أن طرده إخوته وتآمروا عليه. ﴿ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ ﴾ المراد بذلك معرفته بتأويل الرؤيا. ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ ﴾ أي: هو الذي لا يرد أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون يحكم مايشاء ويفعل ما يريد. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ أي: لا يدركون حكمة الله وتصرفه في خلقه وتدبيره لهم.

أحكام ومسائل الآيات:

من أحكام الآيات أن اللقيط يعد حراً ويعد مسلماً. ومنها: جواز بيع الشيء الثمين بالشيء اليسير فعند الامام مالك: لوباع درة ذات حظ عظيم بدرهم ثم قال: لم أعلم أنها درة وحسبتها مَخْلَشَبَه (أي خرزاً أبيض أقل ثمناً) لزمه البيع ولم يلتفت إلى قوله[1].

قلت: وقد لا يكون هذا عدلاً ومع أن فى البيع غبناً لأحد المتبايعين إلا أنه لا يجوز أن يكون فيه غبن فاحشٌ لأحدهما.

ومن مسائل الآيات: أهمية الفراسة فقد كان لعزيز مصر فراسة في يوسف وما سيكون له من شأن حين أراد أن يكون له ولداً. وفي الأثر عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: أفرس الناس ثلاثة عزيز مصر حين قال لامرأته: (أكرمي مثواه) وابنة شعيب فى فراسة موسى حين قالت لأبيها ﴿إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ﴾[2] وأبوبكر

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج٩ ص١٥٧ .

(٢) سورة القصص من الآية ٢٦ .

فى توليته عمر ابن الخطاب[١]. ومنها: الدليل على أن التبني كان شائعاً قبل الإسلام وقد حرمه الإسلام. ومنها: الحكم بأن أمر الله غالب على أمر المخلوقين وأنه إذا دبر أمراً لا يستطيع أحد رده.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ﴾ أي: لما بلغ قوته واستكملها. ﴿ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ﴾ أي: النبوة بما فيها من الحكم والعلم. ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أي: نجزيه لكونه من المطيعين لله المستجيبين لدعوته.

﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ﴾ المراد امرأة العزيز التي

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٧ ص١٧، وتفسير البغوي ص٦٤٠، وزاد المسير ص٦٨٧، والجامع لأحكام القرآن ج٩ ص١٩٠، وقال: «قال ابن العربي: عجباً للمفسرين في اتفاقهم على جلب هذا الخبر والفراسة هي علم غريب على ما يأتي بيانه في سورة الحجر وليس كذلك فيما نقلوه لأن الصديق إنما ولّى عمر بالتجربة في الأعمال والمواظبة على الصحبة وطولها والاطلاع على ما شاهد منه من العلم والمنه وليس ذلك من طريق الفراسة وأما بنت شعيب فكانت معها العلامة البينة على ما يأتي بيانه في القصص وأما أمر العزيز فيمكن أن يجعل فراسة لأنه لم يكن معه علامة ظاهرة. والله أعلم».

كان يوسف مقيماً فى بيتها وقد أمرها زوجها بإكرامه فلما كبر ورأت ما فيه من الحسن والجمال طلبت منه أن يأتي منها ما يأتي الرجل من أهله ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ﴾ أي: أنها حين راودته عن نفسها أمعنت في هذه المراودة فأغلقت الأبواب وقالت: افعل ما آمرك. ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ﴾ أي: أعوذ بالله من فعل ما طلبتِه. ﴿إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ﴾ أي: إن سيدي والمراد به العزيز أكرمني وأعزّني وائتمنني فلا يمكن أن أخونه فى أهله. ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ أي: إن الظالمين الذين يخونون أماناتهم ويرتكبون الفاحشة لايفلحون فى دنياهم ولا في أخراهم.

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ﴾ المراد أنها أرادت ضربه لعصيانه لها. ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ أي: أراد دفع ضربها له وقيل: همَّ بها أي: خطر في نفسه شيء منها. ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ﴾ أي: لولا أن حدث له ما حدث فى نفسه من آيات الله مما جعله يتوقف عما كان في نفسه من خطرات. ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ﴾ أي: كما رأى البرهان الذي أعطيناه فيها صرفنا عنه السوء والفحشاء سواء فى قوله أو سلوكه. ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ أي: من عبادنا الذين أخلصوا فى دينهم وطاعتهم فاستحقوا ما أعطاهم الله من المكرمات.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أنّ النبوة تعطى لصاحبها بعد بلوغه قوته العقلية والجسمانية هذا هو الأصل وقد يستثنى منه كما في حال يحيى الذي أعطاه الله النبوة وهو صغير كما قال تعالى ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾[1]. ومن أحكام الآيات: أن الله يجزي المحسنين على إحسانهم وهو طاعتهم لله وإخلاصهم في عبادته. ومنها: تقرير أنّ النساء فتنة ومصداقه قول رسول الله ﷺ (**ماتركت على أمتي فتنة أشد من النساء وأن فتنة بني إسرائيل كانت في النساء**)[2]. ومن الأحكام: وجوب احترام بيت المضيف وعدم خيانته في أهله ولا يفعل هذه الخيانة إلا الأراذل من الناس، ولذلك عظّم رسول الله ﷺ حرمة الجار فعن عبد الله بن مسعود قال: قلت: يارسول الله أي: الذنب أعظم؟ قال: (**أن تجعل لله نداً وهو خلقك**) قال: ثم أي؟ قال: (**أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك**) قلت: ثم أي؟ قال: (**أن تزاني حليلة جارك**)[3]. ومن مسائل الآيات: أن خطرات النفس من طبائع البشر مع أن الأنبياء معصومون من الخطأ والزلل. وإن حدثت لهم خطرات فلكونهم بشراً لا لكونهم أنبياء وفى الحديث المخرج فى الصحيحين قول رسول الله ﷺ (**يقول الله تعالى: إذا هم عبدي بحسنة**

---

(١) سورة مريم من الآية ١٢ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء، برقم (٢٧٤١، ٢٧٤٢)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١١ ص٦٨٤٥-٦٨٤٦ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، برقم (٤٤٧٧)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص١٣ .

ولم يعملها كتبتها له حسنة فإن عملها كتبتها عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف. وإن هم بسيئة لم يعملها لم أكتبها عليه فإن عملها كتبتها سيئة واحدة)(١).

﴿ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ ﴾.

بيان الآيات:

ما زال السياق في قصة يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز فقد بيَّن الله تعالى أنهما تدافعا إلى الباب، يوسف يهرب منها وهي تطلبه وأثناء هروبه منها جذبت قميصه فتمزق من شدة الجذب. وأثناء ذلك جاء زوجها عند الباب فلما رأته أخذت تمكر للتخلص مما هي فيه فاتهمت يوسف عليه السلام وقالت لزوجها ﴿ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا ﴾ أي: فاحشة.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسيئة لم تكتب برقم (١٢٨)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١ ص٨٢٨.

﴿إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ أي: أن يحبس أو يضرب ويوجع على ما فعله وحتى يدرأ يوسف التهمة التي هو بريء منها. ﴿قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ﴾ أي: أرادت مني عمل الفاحشة بها. ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ﴾ ولكي يعرف الزوج حقيقة ماجرى فقد أوكل الأمر إلى رجل كان يستشيره، وكان من أقرباء أهل المرأة وكان مع زوجها حين وقف عند الباب فحكم بينهما بأنّ قميص يوسف إن كان قُدَّ من أمامه فهي صادقة. وإن كان القميص خُرِقَ من دبره فهي كاذبة وهو صادق. وقيل: إن الشاهد فى هذه القضية كان صبياً فى السن أنطقه الله ولعل القول الأول أصح(١).

﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ﴾ عرف زوجها صدق يوسف وبراءته وكذبها. ﴿قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ﴾ أي: هذا الذي قلتِه عن يوسف كيد ومكر. ﴿إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ﴾ توكيد لكيد النساء ومكرهن ثم قال ليوسف ﴿يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ﴾ أي: اترك البحث فيما حدث ولا تُفْشِه لأحد ومراده من ذلك الستر على زوجته حتى لا تلوث سمعتها الألسن ويتعرض لها الناس بالقول الفاحش ثم قال لزوجته ﴿وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ﴾ أي: استغفري الله عما حدث منك من إغراء يوسف واستدراجه للسوء ثم الكذب عليه. ﴿إِنَّكِ كُنتِ

---

(١) تفسير البغوي ص٦٤٣، وزاد المسير لابن الجوزي ص٦٩٣ .

﴿مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ﴾ أي: إنك من الذين ارتكبوا أخطاء فوجب عليهم الاستغفار منها.

أحكام ومسائل الآيات:

مشروعية الدفاع عن النفس كما فعل يوسف في درء الفعل الذي حرمه الله. وفي القصة دليل على العمل بالعرف والعادة وتحكيم ذوي المعرفة في الإشكالات التي تحدث بين الناس. ومن الأحكام: مشروعية الستر وشاهده قول رسول الله ﷺ **(من ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة)**[1]. تحريم قذف البريء، ووجوب الاستغفار من الذنب والخطيئة كما قال تعالى ﴿وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ﴾

﴿۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المظالم، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، برقم (٢٤٤٢) صحيح البخاري مع فتح الباري ج٥ ص١١٦ .

بيان الآيات:

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ هذا بيان من الله تعالى لشيوع خبر يوسف مع امرأة العزيز وحديث الناس عنها وقولهم ﴿ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ﴾ أي: تستميله إليها. ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ أي: أثر في قلبها حبه. ﴿إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ أي قالت النسوة: إنها بهذا الفعل ترتكب ضلالاً مبيناً إذ أن من يعمل مثل هذا الفعل قد جانب الطريق المستقيم واتبع هواه وأضل نفسه. ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾ المراد أنها لما سمعت بهذا الحديث عنها وانتقادها وذمها على فعلها. ﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ﴾ أي: أرسلت إليهن تدعوهن للحضور إلى منزلها لاستضافتهن بعد أن استأذنت فى ذلك زوجها. ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا﴾ أي: وضعت لهن مجالس يتكئن عليها بحكم اهتمامها بهن. ﴿وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا﴾ وفى هذا دلالة على أنها قدمت لهن طعاماً يحتاج إلى استعمال السكين فيه قيل: إنه الأترج[1]. ﴿وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾ أي: أمرت يوسف أن يخرج إلى النسوة وأمرتهن أن يقطعن ما معهن من الفاكهة. ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ والمعنى أنهن اندهشن من جماله وحسنه، ومن أثر الدهشة صرن يجرحن أيديهن دون أن يدرين أَكُنَّ يقطعن الفاكهة أم أيديهن.

---

(١) زاد المسير لابن الجوزي ص٦٩٤ .

﴿وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ﴾ أي: معاذ الله ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ أي: أن هذا ليس من جنس البشر. ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ أي: يشبه الملائكة.

ولما أدركت امرأة العزيز أنها ليست وحدها التي فتنت بيوسف كادت للنسوة اللاتي اغتبنها وقالت لهن ﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾ أي: هذا الحب الذي أصابني قد أصابكن فلا لوم علي ثم اعترفت لهن قائلة ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ﴾ أي: استملته إلى نفسي فاستعصى أو عصم نفسه ثم استمرت في إصرارها على استمالته فقالت ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ﴾ أي: وإن لم يمل إلي ويحقق ما رغبته منه فسوف أسجنه. ﴿وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ أي: سوف يكون ذليلاً.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن من طبائع البشر تنبؤهم لأخبار بعضهم، وحبهم للاطلاع على قضاياهم؛ وهذا يقتضي أن ما يقع للناس من حوادث قد يعرفها أكثر الناس كما قال الشاعر:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود

كما أن من طبائع البشر حب الثأر والانتقام كما فعلت امرأة العزيز مع صويحباتها. ومن الأحكام: أن قوة الإيمان تدفع مطامع النفس وتتغلب على ضعفها.

﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُاْ ٱلْأٓيَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ﴿٣٥﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِۖ ﴾ لما توعدته امرأة العزيز بالسجن أو الميل إليها قال يوسف عليه السلام: إن السجن أحب إلي من ارتكاب المعصية. ﴿ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ ﴾ المراد كيد النسوة، ذلك أن اللائي دُعِيْنَ لرؤيته صرن يراودنه كل واحدة لنفسها وقيل: إن المراد زوجة العزيز كنى عنها بخطاب الجمع[1]. ﴿ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ ﴾ أي: أَمِلْ وأهواهن. ﴿ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ أي: أَكُنْ حينئذٍ من الآثمين.

﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾ أي: قبل دعوته وعصمه من الوقوع في الإثم. ﴿ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّۚ ﴾ أي: كيد النسوة أو كيد امرأة العزيز. ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ﴾ أي: الذي يسمع دعاء عباده. ﴿ ٱلْعَلِيمُ ﴾ أي: بأسرارهم ومن ذلك سماعه دعاء يوسف وعلمه بحاله.

﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم ﴾ أي: تبين للعزيز وبطانته ﴿ مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُاْ ٱلْأٓيَٰتِ ﴾ وهي براءة يوسف من اتهام امرأة العزيز له وذلك بانشقاق

---

(١) زاد المسير لابن الجوزي ص٦٩٦ .

ثوبه من دبر. ﴿لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ أي: بدا لهم سجنه إلى مدة اختلف فيها قيل: خمس سنين[١] وقيل: تسع سنين[٢] ولعل المراد من سجنه محاولة نسيان الحادثة وسمعتها على امرأة العزيز.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن يوسف عليه السلام مكث في السجن بضع سنين مكرها (قيل: هي خمس وقيل: هي تسع) حيث اختاره للحفاظ على عفته ودينه. والإكراه في هذا له حالتان: الحالة الأولى إن أكره المرء على الزنى أو السجن وجب عليه قبول السجن. الحالة الثانية إن أكره على الزنى بالضرب المبرح فاختلف فيه ولعل الصواب أن ذلك يسقط إثم الزنى وحدَّه. وقيل: لا يسقط عنه الحد وهو ضعيف فإن الله لا يجمع على عبده عذابين. ومن الأحكام: تقرير قوة إيمان يوسف وصبره على السجن مقابل عفافه وتقواه وهي صفة يختص بها المتقون الصادقون في إيمانهم. وفي هذا توجيه للمسلم أن يكون بهذه الصفة ولهذا ورد في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: (**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لاظل إلا ظله.. ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله**)[٣]. ومن مسائل الآيات: أن من طبيعة البشر

---

(١) زاد المسير لابن الجوزي ص٦٩٦.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج٩ ص١٨٧.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد، برقم (٦٦٠)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٢ ص١٦٨.

محاولة السكوت عن حادث مؤلم حتى ينساه الناس.

﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ ٱلْأَخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ﴾ المراد بهما خباز الملك وساقيه قيل: إن الملك أقام في قومه مدة طويلة فملوه وسئموه فأوعزوا إلى خبازه وصاحب شرابه أن يدخلا السم فى طعامه وشرابه فأجاب الخباز، وأبى صاحب الشراب فأخبر الملك بذلك فأمر الملك بحبسهما جميعاً فتصاحبا مع يوسف في السجن فتوسما فيه تعبير الرؤيا أو هما سألاه عن ذلك[1]. ﴿قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ﴾ أي:

(١) ذكره البغوي مفصلاً في تفسيره ص٦٤٦، وابن الجوزي في زاد المسير ص٦٩٦ .

عنباً ﴿وَقَالَ ٱلْآخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أي: عبِّر لنا رؤيانا فإنا نراك تعمل الخير في السجن كزيارة المرضى ومداواتهم وتسليتهم عن أحزانهم.

﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ﴾أي قال للسجينين: إني أستطيع تعبير ما تريانه من رؤى وأعلم ما يجيئكما غدا من طعام فقالا له: افعل لنرى فقال: يجيئكما غدا كذا وكذا فكان كما قال ثم قال لهما ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ﴾ أي: هذا ما أعطانيه ربي والسبب. ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾أي: إني اجتنبت ملة الناس الذين لايؤمنون بالله ولايؤمنون بالبعث والنشور. ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ﴾ هؤلاء هم آبائي وأجدادي الأنبياء فأنا على طريقتهم. ﴿مَا كَانَ لَنَآ﴾أي: ما كان ينبغي لنا ﴿أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍۚ﴾أي: أن ملتنا هذه هي عدم الشرك بالله والتبرؤ من المشركين. ﴿ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا﴾أي: أن هذه الملة هي من فضل الله ومنته علينا. ﴿وَعَلَى ٱلنَّاسِ﴾المراد بهم المؤمنون الذين سلموا من الشرك بعد ما أرسل الله إليهم آياته. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾أي: لا يشكرون الله على نعمه ومنها: إرسال الرسل إليهم ليدعوهم إلى توحيد الله وطاعته.

أحكام ومسائل الآيات:

مشروعية تعبير الرؤيا ومشروعية تفسيرها ومن كان صادقاً فى رؤياه كان صادقاً فى حديثه لقول رسول الله ﷺ **(أصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً)**[١] ولا يجوز الكذب فى الرؤيا لقول رسول الله ﷺ **(من تحلم بحلم لم يره كلف أن يعقد بين شعيرتين)**[٢]. ومن الأحكام: أن الإيمان بالله والبراءة من المشركين سبيل إلى النجاة وإلى كرامة الله لأوليائه. ومنها: أن ملة إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف هي توحيد الله والبراءة من الشرك وأهله وأن هذا من فضل الله عليهم وعلى الناس الذين أرسلوا إليهم.

﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ﴿٤١﴾

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الرؤيا، برقم (٢٢٦٣)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١٠ ص٦٤٠.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التعبير، باب من كذب في حلمه، برقم (٧٠٤٢)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١٢ ص٤٤٦.

وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ (٤٢) ﴾.

بيان الآيات:

﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ﴾ لم يكن يوسف عليه السلام سجيناً كحال السجناء الذين يأكلون ويشربون وينامون فحسب، بل كان سجيناً وداعياً إلى الله وتوحيده فخاطب السجينين بل ونزلاء السجن قائلاً ﴿ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ ﴾ أي: آلهة متفرقة في عددها. ﴿ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾ استفهام إنكاري ينكر فيه على أهل السجن عبادة الأصنام ويقول: إن هذه الأصنام لا تنفعكم ولا تضركم فالذي ينفع ويضر هو الله الواحد في ملكوته القهار في قوته وجبروته.

﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ ﴾ أي: أن ماتعبدون من دون الله هي أصنام هامدة وضعتم لها أسماء من عندكم. ﴿ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم ﴾ أي: توارثتموها ﴿ مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ﴾ أي: ما أنزل الله بها من حجة أو برهان أو بيان. ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ أي: لايحكم إلا الله فهو الخالق والمدبر. ﴿ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ أي: أمركم أن تفردوا له العبادة وحده. ﴿ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾ أي: هذا هو الدين القويم الذي لا دين إلا هو. ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ حقيقة هذا الدين.

﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ ﴾ أي قال يوسف للساقي: سوف تعود إلى عملك السابق وهو سقي الملك الخمر. ﴿وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ﴾ أي: قال له يوسف: سوف تصلب فتأكل الطير من رأسك فقالا: والله ما رأينا شيئاً مما قلناه لك فقال يوسف: سواء رأيتما أم لم تريا. ﴿قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ﴾ أي: انتهى ما استفتيتما فيه.

﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا﴾ المراد به الساقي قال له خفية وحتى لا يسمعه الذي سوف يصلب. ﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ أي: اذكر حالتي عند سيدك. ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ﴾ أي: نسي ذلك الذي وصَّاه يوسف أو يكون يوسف هو الذي نسي ذكره. ﴿فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ﴾ أي: جلس فى السجن من ثلاث سنوات إلى تسع سنوات.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أهمية الدعوة إلى الله فى السراء والضراء والعسر واليسر، وتوكيد أنه لا دين إلا دين الإسلام، وأن كل دين غيره يعد باطلاً. ومن الأحكام: أنه لا يجوز الكذب فى الرؤيا وقد أشرنا إلى ذلك من قبل؛ فمن كذب فى رؤياه وفسرها هل يلزمه حكمها ؟ والجواب أنه يلزمه كذبه لقول الله تعالى فى قصة يوسف ﴿قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ﴾

وقال ابن العربي: لا يلزمه شيء لأن يوسف نبي[١]. ومن مسائل الآيات: أنه إذا قيل إن الشيطان هو الذي أنسى يوسف ذكر ربه بينما ذَكَرَ الملك المخلوق، وأوصى الناجي أن يذكره عنده دل على أن التعلق بغير الله محرم ناهيك أنه لا يجلب نفعاً ولا يدفع ضراً. ولعل يوسف عليه السلام لبث فى السجن هذه المدة لأنه لم يذكر الله وإنما ذكر غيره وهو الملك حاله فى ذلك حال لوط عليه السلام حين قال لقومه ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ فقال رسول الله ﷺ: **(يرحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد)**[٢].

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَٰيَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّيٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ

---

(١) أحكام القرآن ج٣ ص١٠٨٧ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب من فضائل إبراهيم الخليل عليه السلام، برقم (١٥١)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١٠ ص٦٢١٨، والآية في سورة هود من الآية ٨٠ .

سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ﴾ لما قرب فرج الله ليوسف بإخراجه من السجن رأى ملك مصر هذه الرؤيا التي أزعجته فجمع بطانته من المستشارين والكهنة فعبَّر عليهم رؤياه وهي رؤيته سبع بقرات سمان. ﴿يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ﴾ إلى آخر ماورد فى الآية وقوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَٰيَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ أي: أفيدوني عما رأيته إن كنتم تعرفون تعبيرها وفهمها ﴿قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ﴾ أي: لما عجزوا عن فهمها قالوا: هذه أوهام وأخلاط لا نستطيع تعبيرها وهو معنى قوله ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾. ﴿وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ﴾ القائل هو الساقي الذي صحب يوسف فى السجن وأوصاه عند خروجه من السجن أن يذكره عند الملك فنسي. فعندما رأى هذا الفتى عجز هؤلاء عن تعبير رؤيا الملك ادكر بعد أمَّة أي: تذكر بعد حين ما أوصاه به يوسف وتذكر قدرة يوسف على تعبير الرؤيا فقال:

أنا أنبئكم بتأويله أي: سوف أخبركم ﴿فَأَرۡسِلُونِ﴾ الخطاب للملك قاله بصيغة الجمع على سبيل احترامه. ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾ هذا فيه بيان أن الملك وبطانته وافقوا على إرساله للحصول على تعبير الرؤيا فنادى الفتى يوسف بقوله أيها الصديق ﴿أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ﴾ إلى آخر ماورد في رؤيا الملك فلما علم يوسف بها قال: إن سبع البقرات وسبع السنبلات الخضر هي سبع سنين مخصبة، وأما البقرات العجاف والسنبلات اليابسات فسبع سنين مجدبة وهو معنى قوله تزرعون سبع سنين دأباً.

﴿فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ﴾ أي: اتركوا ما حصدتم في سنبله بحيث لا تدوسوه ليكون أفضل لكم ﴿إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ﴾ أي: دوسوا ماتحتاجونه لحاجتكم الآنية. ﴿ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ سَبۡعٞ شِدَادٞ﴾ أي: سوف يأتيكم سبع سنين مجدبة وفيها الشدة ﴿يَأۡكُلۡنَ مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ﴾ أي: ما ادخرتم لأجل هذه السنين ﴿إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ﴾ أي: يبقى قليلاً من المدخر مما يحبسونه للزراعة في موسمها القادم. ﴿ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ﴾ هذا زيادة على الرؤيا وهو من علم الغيب الذي خص الله به يوسف تعزيزاً لمكانته. ﴿فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ﴾ أي: يغيث الله الناس بنزول المطر ﴿وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ﴾ أي: مع نزول الأمطار سوف يعصر الناس العنب والزيتون وغير ذلك.

أحكام ومسائل الآيات:

الرؤيا تحدث للبشر بصرف النظر عن ديانتهم؛ فيراها المسلم ويراها غيره وهي كما قال رسول الله ﷺ: على رجل طائر مالم يتحدث الرائي بها فإذا تحدث بها سقطت[١] ولا ينبغي التحدث بها إلا إلى عاقل.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّـٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَـٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾

بيان الآيات:

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ﴾ هذا بيان من الله تعالى أن الملك لما بلغه تعبير رؤياه من قبل يوسف قال: استدعوه من السجن لأراه. ﴿فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ﴾ يستدعيه قال يوسف ﴿ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أي: إلى

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الرؤيا، باب ما جاء في تعبير الرؤيا، برقم (٢٢٧٨)، سنن الترمذي ج٤ ص٤٦٤، وابن ماجة في كتاب تعبير الرؤيا، باب الرؤيا إذا عبرت وقعت فلا يقصها إلا على وادٍّ، برقم (٣٩١٤)، سنن ابن ماجة ج٢ ص١٢٠٥ .

سيدك ومراده عليه السلام أن يتحقق ملك مصر بأنه أدخل السجن ظلماً وأنه بريء مما نسب إليه من امرأة وزيره العزيز ﴿فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ أي: فاسأله أن يتحقق عن حال هؤلاء النسوة، ومنهن امرأة العزيز وفي هذا قال رسول الله ﷺ: (**لو لبثت في السجن طول مالبث يوسف لأجبت الداعي**)[1].

وقد استجاب الملك لطلب يوسف في سؤال النسوة فاستدعاهن وقال ﴿مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦۚ﴾ أي: ما حقيقة ما فعلتنّه مع يوسف يوم استضافتكن امرأة العزيز فأجبنه ﴿قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍۚ﴾ أي: معاذ الله أن يكون يوسف متهماً ولم نعلم عنه سوءاً يمس دينه وعرضه فعند هذا ﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ﴾ أي: بان الحق فلم يعد من الممكن كتمانه. ﴿أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ أي: أني قد استملته إلى نفسي وأنه صادق في قوله إني راودته عن نفسه.

﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ﴾ اختلف في القائل فقيل: إنها امرأة العزيز أي: أرادت أن تقول ليعلم زوجي أني راودت هذا الفتى عن

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ، إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ﴾ برقم (٣٣٧٢)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٦ ص٤٧٣ .

نفسه، ولكن لم أخنه ولم يقع الإثم وقد اعترفت بهذا ليعلم زوجي ويعلم الناس إني بريئة[١]. ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾ أي: أن الله لا يهدي من يخون أمانته. ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓ﴾ أي: أنا بشر لا أبرئ نفسي مما داخلها من مراودة يوسف. ﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ أي: أن النفس تأمر بالسوء إلا تلك التي عصمها الله وحماها. ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ أي: يغفر لعباده ذنوبهم ويرحمهم بفيض رحمته إذا تابوا إليه واعترفوا بذنوبهم

وقيل: إن القائل يوسف[٢] ومراده من رد الرسول وإصراره على البقاء فى السجن لكي يعلن براءته وليعلم العزيز أنه لم يخنه في أهله فى غيبته وذلك معنى قوله ﴿لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ﴾. وقوله ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓ﴾ أي: ما أبرئ نفسي من ضرب امرأة العزيز لما أصرت على استمالتي وهمت بضربي، أو يكون المعنى مما خطر بقلبي أو هو تواضع منه عليه السلام أنه وإن كان فيه خصائص النبوة فإنه بشر.

قلت: ولعل المراد فى الآية الكريمة امرأة العزيز لأن قولها هذا متصل بما قبله وهو قولها ﴿ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ﴾ .

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير قوة يوسف وحلمه وصبره على السجن حتى تتم براءته،

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ج٩ ص٢٠٩ .

(٢) زاد المسير لابن الجوزي ص٧٠٢ .

وفي هذا دلالة على مقاومة الظلم وعدم الاستكانة له والإصرار على التحقيق في التهمة. ولا يتصف بهذا السلوك إلا المؤمنون الصادقون في إيمانهم فلا يهمهم ما قد يتعرضون له من المحن. ومن أحكام الآيات: وجوب التحقيق في مظالم الناس. ومنها: أهمية الصدق والجهر بالحق ولوكان فيه أذى للجاهر به. ومنها: أن الإقرار بالخطيئة فضيلة تدل على الشجاعة لأن البشر معرضون لارتكاب الخطايا واعترافهم بها والاستغفار منها مدعاة لمغفرة الله ورحمته لهم. ولهذا قال رسول الله ﷺ: (**إن عبداً أصاب ذنباً وربما قال: أذنب ذنباً فقال: رب أذنبت ذنباً وربما قال: أصبت فاغفره فقال ربه: أعلم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به ؟ غفرت لعبدي ثم مكث ماشاء الله ثم أصاب ذنباً أو أذنب ذنباً فقال: رب أذنبت أو أصبت آخر فاغفره فقال: أعلم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به ؟ غفرت لعبدي ثم مكث ماشاء الله ثم أذنب ذنباً وربما قال: أصاب ذنباً فقال: رب أصبت أو أذنبت آخر فاغفره لي فقال: أعلم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به ؟ غفرت لعبدي ثلاثاً فليعمل ما شاء**)[1].

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾، برقم (٧٥٠٧)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١٣ ص٤٧٤ .

لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾﴾.

بيان الآيتين:

بعد أن حقق ملك مصر في قضية يوسف باستدعائه النسوة ومعرفته ببراءته وصدقه وإيمانه قال لحاشيته ﴿ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى﴾ أي: أجعله من خاصتي وأهل الرأي والمشورة عندي وقيل: إنه لما جاءه قام إليه ونزل عن سريره وخر له ساجداً[1] وقال له إنك اليوم لدينا ذو مكانة ومؤتمن فيما نكله إليك وهو معنى قوله ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾. ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ﴾ أي: عيِّني أميناً على خزائن مصر وقيل: إن المراد الأهرام التي تجمع فيها الغلات[2] لتكون احتياطاً للسنين العجاف التي يستقبلونها كما عبر ذلك يوسف عنها ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ أي: حافظ لما يعهد به إلي وعليم بأمور الخزانة وتصريفها وتدبيرها.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين حكمان: أولهما- أن الأصل عدم جواز طلب تولي الولاية لما رواه عبد الرحمن بن سمرة قال: قال لي رسول الله ﷺ **(ياعبد الرحمن لا تسأل الإمارة فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت**

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ج٩ ص٢١١ .

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٢ ص٤٦٣ .

إليها وإن أعطيتها من غير مسألة أعنت عليها)[١]. ولكن إذا كان المرء يعتقد أن فى توليته صلاحاً لغيره كإقامة العدل ورد الظلم والإحسان إلى مستحقه، ولم يكن من هو أقدر منه، ولم تكن توليته لأجل محاباة من قرابة أو صداقة فطلبها جائز بل هو مشروع. ولهذا كان طلب يوسف للولاية لأنه وجد أنه ليس هناك من هو أقدر منه على إحقاق الحق وإقامة العدل.

الحكم الثاني- الأصل عدم جواز قبول الولاية من الكافر إذا كان المراد من المولَّى خدمة أغراض من ولاه ولكن يجوز قبول الولاية منه بشروط: منها- أن يكون الكافر قد تولى على أرض المسلمين بالقهر وفى قبول الولاية منه دفع لضرره أو التخفيف منه. ومنها- أن يكون فى قبول الولاية منه مصلحة للأمة كرفع الظلم عنهم. ومنها- أن يكون في عدم قبول الولاية منه ضرر أكبر من ضرر قبول الولاية منه.

﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ﴾

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام، باب من لم يسأل الإمارة أعانه الله عليها. برقم (٧١٤٩)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١٣ ص١٣٢ .

المراد كما جعلنا يوسف قريباً لملك مصر بعد خروجه من السجن مكنا له في الأرض بحيث صار خازناً على أرض مصر ومدبراً لأموالها. ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ﴾ أي: نرحم من نشاء من عبادنا وهو ما تحقق ليوسف. ﴿وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أي: نحفظ لكل محسن عمله ونجازيه عليه.

﴿وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ﴾ أي: أن أجر الآخرة خير من أجر الدنيا وهو ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي: صدقوا بالله وبما جاء من عنده ﴿وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ نعت لهم.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير تمكين الله ليوسف بسبب صلاحه وعفافه وكفه عن محارم الله وتحمله السجن في سبيل ذلك. وقد وعد الله المؤمنين بالتمكين في الأرض كما قال تعالى ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾[1]. ومن الأحكام: أن الله يصيب برحمته من يشاء ويحفظ أعمال المحسنين ويجازيهم عليها.

﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ

(١) سورة الأنبياء الآية ١٠٥.

أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾ أي: جاؤوا إلى مصر ليتزودوا بالطعام بعد أن أصابهم الجدب في أرض كنعان (فلسطين)؛ ذلك أنه بعد أن عم القحط فى السنين السبع التي عبَّرها يوسف واحتاط لها عليه السلام بعد أن ولي الخزانة وأمر الناس بجمع غلالهم وادخارها، نتج عنه وجود طعام كثير فى أرض مصر. وكان من ضمن البلاد التي عمها الجدب أرض كنعان فكان الناس يأتون منها ومن غيرها من الأقاليم المجاورة للتزود بالطعام وكان من ضمنهم إخوة يوسف؛ فقد أخذوا معهم بضاعة يشترون بها طعاماً. فلما دخلوا على يوسف عرفهم ولكنهم لم يعرفوه لأنهم حين باعوه كان صبياً ولم يتصوروا أن يبلغ المكانة التي هو عليها وهو معنى قوله ﴿فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾ وقيل: إن يوسف سألهم عن سبب قدومهم فأخبروه أنهم قدموا للميرة ثم سألهم عن بلادهم فأجابوه أنهم من بلاد كنعان، وأن أباهم يعقوب نبي الله. ثم سألهم إن كان له أولاد غيركم فأجابوه أنهم

كانوا اثني عشر، وأن أصغرهم هلك فى البرية، وأنه أحبهم إلى أبيه وقد بقي شقيقه حيث احتبسه أبوه لكي يتسلى به عن فقده. وبعد أن سمع يوسف مقالتهم أسكنهم وأكرمهم.

﴿ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ ﴾ أي: لما أوفى لهم الكيل وحمل لهم طعامهم قال يوسف ﴿ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ﴾ أي: جيئوا معكم فى المرة القادمة بالأخ الذي ذكرتم أن أباكم احتبسه. ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ ﴾ أي: ألم تروا أني وفيت لكم الكيل ﴿وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴾ أي: خير من استضافكم وأسكنكم.

﴿ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ﴾ أي: إن لم تأتوني به فلن تجدوا عندي كيلاً أي طعاماً ولن يكون بيني وبينكم علاقة ﴿ قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴾ أي: سنحاول مع أبيه أن يرسله معنا ولن ندخر جهداً فى ذلك .

﴿ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ﴾ أي: غلمانه. ﴿ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ ﴾ أي: اجعلوا البضاعة التي قدموا بها لأجل الحصول على الميرة فى رحالهم سراً. ﴿ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ لأنه إن أخذها منهم لن يكون لديهم غيرها فلا يعودون وهذا حرص منه عليه السلام لكي يكتمل ما أراده الله من اجتماعهم.

أحكام ومسائل الآيات:

لقد كان في صبر يوسف وطهره وإيمانه ومن ثم خروجه من السجن وتوليه خزانة مصر وتدبير شؤونها وهو الطارئ عليها من أرض كنعان؛ كما أن فى أمر الجدب في هذه الأرض ومجيء إخوة يوسف للميرة وجعله نقودهم فى رحالهم لكي يعودوا للميرة مرة أخرى مع أخيهم - فى كل هذا عِبَرٌ للتفكير في تصرف الله فى عباده لحكمة أحكمها، وقدر قدَّره فله الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين.

﴿ فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ۖ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَـٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ ﴾ أي: لما عادوا إلى فلسطين ﴿ قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ ﴾ أي: بلغنا صاحب الميرة أنه لن يكتال لنا إلا إذا كان معنا بنيامين. ﴿ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ ﴾ أي: أرسله معنا حتى نستطيع الاكتيال. ﴿ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ أي: نتعهد بحفظه فلا يصيبه أذى ﴿ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ﴾ أي: كيف آمنكم عليه وقد أمنتكم من قبل على أخيه ففرطتم

فيه وضيعتموه. ﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ﴾ وفي هذا بيان أنه وافق على إرساله معهم واتكل على الله في حفظه. ﴿وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ أي: أرجوه أن يرحم ضعفي وكبر سني وأن يرد علي ولدي.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن الإنسان قد يتردد في فعل شيء يخشى عاقبته. تقرير أن المؤمن يتوكل على الله بعد أن يحتاط لما يفعل.

﴿وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمۡ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ رُدَّتۡ إِلَيۡهِمۡۖ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبۡغِيۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَاۖ وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا وَنَحۡفَظُ أَخَانَا وَنَزۡدَادُ كَيۡلَ بَعِيرٖۖ ذَٰلِكَ كَيۡلٞ يَسِيرٞ (٦٥) قَالَ لَنۡ أُرۡسِلَهُۥ مَعَكُمۡ حَتَّىٰ تُؤۡتُونِ مَوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأۡتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡۖ فَلَمَّآ ءَاتَوۡهُ مَوۡثِقَهُمۡ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ (٦٦)﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمۡ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ رُدَّتۡ إِلَيۡهِمۡۖ﴾ أي: إنهم لما وصلوا مكان إقامتهم وفتحوا المتاع لإخراج الطعام وجدوا بضاعتهم التي ذهبوا بها للحصول على الميرة ردت إليهم. ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبۡغِيۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَاۖ﴾ أي: أي شيء نبغي بعد هذا فبضاعتنا عادت إلينا وجئنا معنا بالطعام. ﴿وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا وَنَحۡفَظُ أَخَانَا وَنَزۡدَادُ

﴿كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ بهذا خاطبوا أباهم يعقوب أن ذهاب أخيهم بنيامين معهم سوف يجعلهم يأتون بالطعام مرة أخرى وسوف يحفظونه ويزدادون من الطعام كيل بعير لأن يوسف يعطي كل واحد حمل بعير منه. ﴿ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ أي: إن هذا يسير على الملك لكثرة غناه.

﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ﴾ أي: لن تذهبوا به. ﴿حَتَّىٰ تُؤْتُونِ﴾ أي: تعطوني ﴿مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ﴾ أي: عهداً. ﴿لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾ إلا أن يصيبكم أمر لا تقدرون عليه. ﴿فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ فيه بيان أنهم أعطوه العهد الموثق ورضي به ثم قال: إن الله هو الذي أتوكل عليه لحفظ ولدي.

أحكام ومسائل الآيتين:

قوة إيمان نبي الله يعقوب جعله يصدق ما قاله أولاده ويرسل معهم أخاهم رغم أنه قد أصابه ما أصابه في يوسف. وقد أجابهم بعد أن توكل على الله، وفيه دلالة على أن المؤمن يتوكل على الله في أموره كما قال تعالى ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[1]. ولكن التوكل لا يعني التفريط فلكل أمر ما يستحقه من الحيطة والحذر ولهذا قال يعقوب ﴿لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ﴾ وهو العهد. ولما أراد صاحب الناقة أن يتوكل على الله في حفظ ناقته

---

(١) سورة الطلاق من الآية ٣ .

قال له رسول الله ﷺ: **(اعقلها وتوكل)**[١].

﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغْنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ٦٧ وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٗ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَاۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٖ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ٦٨﴾

بيان الآيتين:

﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ﴾ لما سمح يعقوب لبنيه بالسفر إلى مصر مع أخيهم بنيامين أمرهم ألا يدخلوا من باب واحد بل يدخلوا متفرقين من أبواب عدة؛ ذلك أنهم كانوا أحد عشر رجلاً من أب واحد فخشي عليهم العين. ﴿وَمَآ أُغْنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍۖ﴾ ومع خشيته عليهم قال: لا أغني عنكم من شيء أحذره وأخشاه عليكم فالقدر ماض ولاراد له. ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۖ﴾ أي: إن القضاء لله وحده ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ أي: اعتمدت عليه وحده وعليه يتوكل المؤمنون.

﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم﴾ أي: دخلوا من أبواب

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب (٦٠)، برقم (٢٥١٧)، سنن الترمذي ج٤ ص٥٧٦ .

متفرقة ﴿مَّا كَانَ يُغۡنِي عَنۡهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ﴾ أي: ما كان حذر يعقوب وخوفه عليهم من النفس يرد قضاء الله إن أراد بهم سوءاً ﴿إِلَّا حَاجَةٗ فِي نَفۡسِ يَعۡقُوبَ قَضَىٰهَاۚ﴾ أي: إنها حاجة خطرت فى نفسه وهي أمره لأولاده أن يتفرقوا فى دخولهم على الملك. ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٖ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ﴾ أي: إن ليعقوب علماً علّمناه وهو النبوة. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ أي: إن أكثر الناس لا يعلمون ما علمناه الأنبياء ومنهم يعقوب.

أحكام ومسائل الآيتين:

أكثر المفسرين على أن مراد يعقوب من تفرق أبنائه حين دخولهم على الملك خشيته عليهم من العين؛ ذلك أن العين حق وفيها قال رسول الله ﷺ: (**العين حق ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين وإذا استغسلتم فاغسلوا**)[1]. وقد روى محمد بن سهل أنه سمع أباه يقول اغتسل أبي سهل بالخرار -بئر في المدينة- فنزع جبة كانت عليه وعامر بن ربيعة ينظره قال: وكان سهل رجلاً أبيض حسن الجلد فقال له عامر بن ربيعة: ما رأيت كاليوم ولا جلد عذراء قال: فوعك سهل مكانه واشتد وعكه فأتي رسول الله ﷺ فأخبر أن سهلاً وعك وأنه غير رائح معك يارسول الله فأتاه رسول الله ﷺ فأخبره سهل بالذي كان من أمر

(١) أخرجه مسلم في كتاب السلام، باب الطب والمرض والرقى، برقم (٢١٨٨)، صحيح مسلم بشرح النووي ج٩ ص٥٨٧٩ .

عامر فقال رسول الله ﷺ: (**علام يقتل أحدكم أخاه ألا برّكت إن العين حق توضأ له**) فتوضأ له عامر فراح سهل مع رسول الله ﷺ ليس به بأس[١]. وكان رسول الله ﷺ يتعوذ من العين ويقول (**أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة**)[٢]. فاقتضى هذا أنه يجب على المسلم إذا رأى شيئاً يعجبه أن يبرك فإن لم يبرك وأصاب بعينه وجب عليه الاغتسال فإن امتنع أجبر على ذلك.

﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۖ ﴾ أي: لما أدخلهم محل ضيافته وأكرمهم وتحبب إليهم ضم أخاه إليه وأخبره سراً أنه أخوه وطلب منه ألا يخبرهم عن خبره وهذا معنى قوله ﴿ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ أي قال له: لا تحزن على ما فعلوه بي

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ، باب الوضوء من العين، برقم (١٧٠١)، ص٦٧٠ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، باب (١٠)، برقم (٣٣٧١)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٦ ص٤٧٠ .

من رمي في الجب ومن ثم بيعي وأمره أن يكتم ذلك عنهم واتفق معه على أنه سيعمل على إبقائه عنده وعدم عودته إلى فلسطين.

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ﴾ لما اتفق يوسف مع أخيه بنيامين على بقائه عنده رتب يوسف أمراً يحقق ذلك دون أن يشعر إخوته بحقيقته؛ فلما جهزهم وحملت عيرهم الطعام أمر بعض فتيانه أن يدس الإناء الذي يشرب فيه ويكيل فيه الطعام في رحل بنيامين. ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾ أي: نادى منادٍ أصحاب العير لقد أخذتم ماليس لكم حق فيه فلما سمعوا النداء التفتوا إلى المنادي. ﴿قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ﴾ أي: ماذا فقدتم ﴿قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ﴾ أي: فقدنا الصاع الذي يكيل به الملك. ﴿وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ أي: حمل بعير من الطعام ﴿وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ﴾ أي: أنا به كفيل.

أحكام ومسائل الآيات:

مشروعية الاتفاق على كتم سر معين فيه مصلحة لأحد الطرفين أو كليهما مالم يكن المراد منه الإضرار بالآخرين. ومن الأحكام: جواز الحيلة إذا كان فيها مصلحة ولا تتعارض مع أحكام الشرع، أو تكون سبباً للهروب من هذه الأحكام وما فعله يوسف عليه السلام كان نوعاً من الحيلة لإبقاء أخيه عنده بداية لاجتماع الشمل. ومن الأحكام:

جواز الجعل لمن يؤدي عملاً أو يقوم بمهمة وكذلك جواز الكفالة لتوثيق الحق.

﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ لما سمع إخوة يوسف نداء المنادي قالوا لهم: لم نفعل ماقد يكون قد خطر ببالكم عنا ومنذ أن تعاملنا معكم ونحن نحرص على أن تكون هذه المعاملة حسنة.﴿ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ﴾ أي: لم نكن من الذين يسرقون.

﴿ قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ﴾ أي قال فتيان يوسف: فما جزاء الفاعل إن تبين كذبكم فكان جواب إخوة يوسف ﴿ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ ﴾ أي: يدفع إلى المسروق منه ليسترقه وهذه كانت شريعة نبي الله إبراهيم، وهو ما يريده يوسف من إبقاء

أخيه عنده بحكم هذه الشريعة. ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: نفعل هذا بمن يظلم فيكون جزاؤه الرق.

﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ﴾ أي: بدأ بتفتيش أوعية إخوته قبل وعاء أخيه بنيامين حتى ينفي الريبة عنهم. ﴿ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ﴾ أي: أخرج الصواع من وعاء بنيامين فأخذه منهم بناء على ما أفتوا به حسب شريعة إبراهيم. ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ أي: دبرنا ليوسف. ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ﴾ أي: بدون هذا التدبير ما كان يوسف يقدر أن يأخذ أخاه في سلطان وقوة الملك، ولكن لما تعهد له إخوته أن يأخذ من وجد الصواع عنده ووجده عند بنيامين حق له إبقاؤه عنده. ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ أي: ما كان يوسف يعمل هذا التدبير إلا بمشيئة الله. ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ أي: بالعلم والتقوى ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ المراد أن كل عالم يسبقه في العلم عالم آخر وفوقهم كلهم علم الله؛ فهو أعلم العالمين وأحكم الحاكمين لا علم لأحد إلا ما علمه.

أحكام ومسائل الآيات:

استرقاق المسروق منه للسارق شريعة إبراهيم عليه السلام وقد نسخها الإسلام وقد حدد عقوبة السارق وأعلاها القطع إذا توفرت شروطه، ومنها: أن يكون المال في حرز، وأن يبلغ حداً معقولاً من

القدر، وألا يكون السارق مضطراً لما سرق لدرء الهلاك عن نفسه بسبب جوع أو ظمأ. ومن الأحكام: جواز استعمال الحيلة للتوصل إلى أمر فيه مصلحة إذا لم يكن مناقضاً لحكم شرعي كما سبق ذكره، أو كان يؤدي إلى الفرار من هذا الحكم. ومنها: أن كل شيء بإرادة الله ومشيئته وأن أحداً لا يستطيع القول أنه هو العالم وحده بل كل عالم فوقه عالم وفوقهم كلهم ربهم الذي خلقهم.

﴿ ۞ قَالُوٓاْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًاۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ قَالُوٓاْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُۚ ﴾ لما ظهر الصواع في رحل بنيامين تبرأ إخوته منه وقالوا: إن كان هذا قد سرق فقد سرق أخ له من قبل يعنون يوسف. ﴿ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْۚ ﴾ أي: أخفى في نفسه غضبه عليهم مما قالوه عنه ثم قال لهم ﴿ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًاۖ ﴾ أي: أنتم أشر منزلة ومقاماً من

الذي رميتموه بالسرقة ﴿ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴾ أي: أن الله عليم بكذبكم ووصفكم لي بالسرقة.

﴿ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ ﴾ المراد بالعزيز يوسف ومرادهم أن يجد لهم حلاً في مسألة بنيامين فقالوا على سبيل التبرير: إن أباه شيخ وهو ذو مكانة ونحن إخوة بنيامين فخذ أي واحدٍ منا مكانه حتى نرده على أبيه. ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ أي: لقد رأينا فيك صفات الإحسان فأحسن إلينا برد أخينا. ﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ﴾ أي: حاشا لله. ﴿أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ ﴾ أي: كيف نأخذ من لم يأخذ متاعنا وقد قلتم ذلك. ﴿إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ ﴾ أي: لو أخذنا غيره لكان ذلك ظلماً.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير فضيلة اعتذار المخطئ عن خطيئته والاعتذار معنى من معاني التوبة، أو هو التوبة نفسها وفى هذا قال رسول الله ﷺ: **(كل ابن آدم خطاءٌ وخير الخطائين التوابون)**[1]. ومن الأحكام: مشروعية استعطاف القادر على دفع مظلمة أو جلب مصلحة مشروعة وتحريم تخطي الجاني بالعقوبة إلى غيره.

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، برقم (٢٤٩٩)، سنن الترمذي ج٤ ص٥٦٨، وابن ماجة في كتاب الزهد، باب ذكر التوبة برقم (٤٢٥١)، سنن ابن ماجة ج٢ ص١٤٢٠، وأحمد في مسنده ج٣ ص١٩٨ .

﴿ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّاۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِىۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ ﴾ أي: لما يئسوا من إصرار يوسف على إبقاء بنيامين ﴿ خَلَصُواْ نَجِيًّاۖ ﴾ أي: انفردوا يتناجون بينهم حول ما سيقولونه لأبيهم الذي أخذ عليهم الميثاق. ﴿ قَالَ كَبِيرُهُمْ ﴾ أي: كبيرهم في السن وكان أعقلهم ﴿ أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ أي: ألم تذكروا أن أباكم قد أخذ عليكم العهد والميثاق بأن تحافظوا على ابنه وتردوه إليه. ﴿ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَۖ ﴾ أي: ألم تعلموا كذلك أنكم قد سبق أن فرطتم في يوسف. ﴿ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ ﴾ أي: لن أفارق هذه البلاد. ﴿ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ ﴾ أي: حتى يأذن لي بالرجوع. ﴿ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِىۖ ﴾ أي: بأن أحارب من أجل بنيامين أو يحكم لي بأخذه بأي طريقة. ﴿ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ أي: خير من يحكم ويقضي لخلقه.

﴿ ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ ﴾ أي: عودوا إليه قال هذا الأخ الكبير الذي قال إنه سيقيم فى أرض مصر حتى يأذن الله فى أخيه. ﴿فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ ﴾ أي: سرق صواع الملك. ﴿وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا ﴾ وما قلناه لك هو ما شهدناه وعلمناه ﴿وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ ﴾ أي: ما كنا نعرف لما سافر معنا أنه سوف يسرق، ولو كنا نعلم الغيب ما أخذناه معنا.

أحكام ومسائل الآيتين:

مشروعية التناجي فى أمر يهم المتناجين على أن لا يكون فى ذلك أذى للآخرين لقول رسول الله ﷺ (**إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى رجلان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس، من أجل أن ذلك يحزنه**)(١). ومن الأحكام: وجوب تذكير من أخذ العهد على نفسه أن عليه الوفاء بهذا العهد. ومنها: أن الشهادة لا تكون إلا عن علم؛ فمن لم يكن له علم بالشيء المشهود به أو المشهود عليه فشهادته زور، ولما جاء الشاهد ليشهد عند رسول الله ﷺ قال له: (**هل ترى الشمس؟**) قال: نعم. قال: (**على مثلها فاشهد**)(٢). والعلم بالشهادة له طرق فقد يكون الشاهد رأى الشيء المشهود عليه عياناً كمن يرى السارق يسرق المحل ويسرق ما فيه. وقد يكون الشاهد

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاستئذان، باب إذا كانوا أكثر من ثلاثة فلا بأس بالمسارة والمناجاة، برقم (٦٢٩٠)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١١ ص٨٥ .

(٢) أخرجه أبو نعيم الأصفهاني في حلية الأولياء، ج٤ ص١٨، والمتقي الهندي في كنز العمال ج٧ ص٢٣، برقم (٧٧٨٢).

سمع من آخر فيشهد على ما سمعه. وقد يشهد على خط أنه خط فلان ولا تقبل الشهادة إلا ما كان على معقول. فلا تجوز شهادة الصبي الذي لا يعقل. ولا تجوز شهادة من به غفلة ظاهرة. كما لا تجوز شهادة الغائب على شيء كان غائباً عنه بحكم الزمن.

﴿ وَسْئَلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَسْئَلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ ﴾ أي: اسأل أهل القرية والمراد بهم أهل مصر، واسأل كذلك أهل العير الذين رافقونا وشاهدوا معنا ما حدث من بنيامين. ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾ أي: فيما قلناه.

﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ ﴾ أي: زينت. ﴿لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ ﴾ بقولكم أن ابني قد سرق صواع الملك. ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ ﴾ أي: فسأصبر صبراً جميلاً. ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ ﴾ أي: أرجو الله

أن يجمعني بهم جميعاً، وفى هذا دلالة على أن يعقوب كان على أمل أن يعود يوسف إليه. ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ أي: هو العليم بحالي الحكيم فيما يقضي به علي.

﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾ أي: أعرض عن بنيه لما أصابه من الحزن على يوسف. ﴿وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ أي: يا حسرتاه على يوسف. ﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ﴾ أي: ضعف بصره مما أصابه من الحزن والبكاء. ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ أي: مكتئب من الحزن.

أحكام ومسائل الآيات:

مشروعية دفاع المرء عن نفسه فيحق له أن يستشهد بمن يرى أنه يعزز دفاعه كما فعل إخوة يوسف فى استشهادهم بأهل مصر ومن كان برفقتهم من أهل العير؛ كما فعل ذلك رسول الله ﷺ للرجلين اللذين مرا به وهو في صحبة صفية رضي الله عنها بقوله (**على رسلكما إنما هي صفية بنت حيي**) فقال الرجلان: سبحان الله وكبر عليهما فقال رسول الله ﷺ: (**إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم وإني خشيت أن يُلْقِي في أنفسكما شيئاً**)(١).

ومن الأحكام: مشروعية الصبر، ووجوبه عند حدوث المكاره.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاعتكاف، باب زيارة المرأة زوجها في اعتكافه برقم (٢٠٣٨)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٤ ص٣٣٠ .

والأصل فيه قول الله تعالى ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[١]. ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾[٢]. وقول رسول الله ﷺ (**الصبر عند الصدمة الأولى**)[٣]. ومن مسائل الآيات: أن الحزن والبكاء من طبيعة النفس البشرية عندما تتعرض لعارض يغير من اعتدالها وهذا لا يتعارض مع وجوب الصبر على أقدار الله والتسليم بقضائه وقدره ولهذا قال رسول الله ﷺ في فراق ابنه إبراهيم: (**إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا**)[٤]. وقوله عليه الصلاة والسلام: (**إن الله لايعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا**) وأشار إلى لسانه[٥]. والمراد به ما يتلفظ به اللسان من النياحة أو الجزع أو السخط على قدر الله.

﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾.

---

(١) سورة البقرة من الآية ١٥٥ .

(٢) سورة البقرة من الآية ١٥٦ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب الصبر عند الصدمة الأولى، برقم (١٣٠٢)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٣ ص٢٠٥ .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ «إنا بك لمحزونون»، برقم (١٣٠٣)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٣ ص٢٠٦ .

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب البكاء عند المريض، برقم (١٣٠٤)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٣ ص٢٠٩ .

بيان الآيتين:

﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾ لما رأى ولد يعقوب حزنه واكتئابه لاطفوه لتسليته والتسرية عنه فقالوا له: تالله تفتأ تذكر يوسف أي: مازلت تذكره. ﴿حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا﴾ أي: ضعيفاً. ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ﴾ أي: الميتين. ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: إنما أشكو عظيم حزني إلى الله، والبث: الشيء الذي لا يستطيع المرء أن يخفيه فيبثه إلى غيره. ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: أعلم أن رؤيا يوسف التي سبق أن رآها صادقة.

أحكام ومسائل الآيتين:

استمرار الحزن يوهن القوة ويؤدي للهلاك، وفي الصبر وقوة الإرادة وسيلة للتغلب على ما تتعرض له النفس من الحزن والأذى. ومن الأحكام: أن الشكوى لا تكون إلا لله عز وجل، ويحرم بثها إلى غيره، ولكن هذا لايمنع أن يخبر المرء أخاه أو صديقه بما يجد فى نفسه من الحزن لكي يسليه ويسري عنه لا لقصد نفعه أو دفع الضر عنه.

﴿يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُواْ

عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَـٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ يَـٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ ﴾ كان يعقوب عليه السلام يؤمن أن يوسف لا يزال حياً ويترقب لقاءه، وهذا الإيمان إما نتيجة إحساس داخله أو علم علمه بحكم نبوته؛ فلهذا أمر أولاده بأن يذهبوا فى الأرض فيتحسسوا أي: يطلبوا خبر أخيهم يوسف وأخيه بنيامين عن طريق التحسس. ﴿ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ ﴾ أي: لا تقنطوا من رحمة الله وفرجه. ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ أي: لا يقنط من رحمة الله وقرب فرجه إلا من كفر به.

﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ ﴾ أي نادوه باسم العزيز وهو بمعنى الممتنع. ﴿ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ ﴾ في هذا بيان عن كلام محذوف وهو أن إخوة يوسف عادوا إلى مصر مرة ثالثة يمتارون الطعام فدخلوا على يوسف وهم لا يعرفون أنه أخوهم فشكوا إليه أن القحط قد أصابهم فى بلادهم بلاد كنعان. ﴿ وَجِئْنَا بِبِضَـٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ ﴾ أي: أتينا معنا بدراهم قليلة ورديئة. ﴿ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ ﴾ أي: كما تبيعون بالدراهم الجيدة أوف لنا الكيل بما معنا من الدراهم. ﴿ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ﴾ أي: اجعل قبول دراهمنا صدقة منك وقيل:

تصدق علينا برد أخينا[١] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ﴾ أي: سوف يجزيك حسنات إذا تصدقت علينا.

أحكام ومسائل الآيتين:

تحسس الخبر عن شيء يهم الأخ أمر مطلوب ويكون هذا عن طريق الفطنة، وهو غير التجسس لطلب الخبر فهذا مذموم. ومن الأحكام: أنه يحرم القنوط من رحمة الله ويعد من كبائر الذنوب، وقد أمر الله عزوجل عباده الا يقنطوا من رحمته في قوله ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[٢]. ومنها: جواز الشكوى إلى الحاكم وطلب المساعدة في دفع ضرر وقع على صاحب الشكوى سواء كان فرداً أو كانوا جماعة، ومن ذلك حصول الجدب وطلب المعونة فيما يصيب بسببه؛ ذلك أن الحاكم يملك من المال ما يجعل الطلب منه مستحباً يكون هذا على سبيل طلب المعونة منه، وليس على سبيل التسخط من الجدب أو التشكي منه لأن ذلك مما يحرم كما ذكر من قبل.

﴿قَالَ هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ ۝٨٩ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ

---

(١) زاد المسير لابن الجوزي ص٧١٦ .

(٢) سورة الزمر الآية ٥٣ .

مَن اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٩٠) قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ (٩١) قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٩٢) اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ (٩٣)﴾.

بيان الآيات:

﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ لما ذكر إخوة يوسف له ما تعرضوا له من الشدة تأثر لوالده وإخوته فسألهم سؤال استنكار وتوبيخ بقوله: هل علمتم ما فعلتم بي وأخي أي: هل تتذكرون فعلكم والسؤال هو لماذا لم يتعرف عليهم ولم يقل لهم هذا لما أتوه في المرتين الأوليين ؟ الجواب والله أعلم أنه ما كان ليفعل ذلك إلا بعد أن أمره الله تعالى به. ﴿إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ﴾ أي: بما سيئول إليه أمر يوسف وفي غمرة دهشتهم مما سمعوه ﴿قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ﴾ أي: قال إخوته له على سبيل الاستفهام: هل أنت يوسف؟ ﴿قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي﴾ أي: أنا أخوكم يوسف وهذا أخي بنيامين ﴿قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ أي: تفضل علينا بمنه وكرمه بأن جمعنا بعد زمن طويل ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ المراد أن من اتقى الله حق تقاته، وصبر على ما أصابه من البلاء واحتسب الأجر من الله فإن الله لا

يضيع أجره لأنه لا يضيع أجر المحسنين المتقين. ﴿ قَالُواْ تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا ﴾ مرادهم في ذلك أن الله قد أنعم عليه وفضله عليهم. ﴿ وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴾ أي: قد أخطأنا في حقك ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ﴾ أي: لست اليوم بمؤنب لكم ولن أذكركم بما فعلتم بي. ﴿ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ هذا دعاء منه عليه السلام لإخوته أن يغفر الله لهم ما فعلوه لأنه غفور وهو أرحم الراحمين ﴿ ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِى هَٰذَا ﴾ أي: خذوا قميصي هذا فألقوه على وجه أبي. ﴿ يَأْتِ بَصِيرًا ﴾ وكان يعقوب قد عمي أو ضعف بصره من كثرة بكائه ولعل المراد من إرسال القميص أن يتعرف أبوه على حياته وأن دعوته له للقدوم إلى مصر دعوة صحيحة جاءت منه وكون يعقوب يعود بصيراً لعل يوسف نبئ بذلك. ﴿ وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ أي: تعالوا بجميع آل يعقوب لتكون مصر مقراً لكم.

أحكام ومسائل الآيات:

مشروعية السؤال المتضمن الإنكار على من فعل فعلاً غير مشروع، وقد يكون هذا السؤال توبيخاً له وقد يكون مقدمة للتحقيق معه لمعرفة ما إذا كان يمكن إدانته بسبب استحقاق ذنبه للإدانة. ومن الأحكام: التوكيد على أن من يتقي الله ويصبر على ما يصيبه يجزى على صبره. ومنها: مشروعية الاعتراف بالخطيئة واستحباب الصفح والعفو عنها

كما قال تعالى ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾(١).

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَـٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ﴾ أي: لما خرجت من أرض مصر إلى بلاد كنعان ﴿قَالَ أَبُوهُمْ﴾ أي: قال لأهله ﴿إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ﴾ قيل: إن العير لما ذهبت متجهة إلى بلاد كنعان هبت ريح فجاءت بريح قميص يوسف فقال لأهله ورفاقه: إني أجد ريح يوسف. ﴿لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾ أي: تسفهون ما أقول لكم. ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَـٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾ أي: قالوا على وجه الحلف إنك مازلت تتذكر يوسف وحبه وإنك لازلت تخطئ فى ذلك.

أحكام ومسائل الآيتين:

إن خروج ريح يوسف من خلال قميصه من مسافة بعيدة من قدرة الله عز وجل، وهذه القدرة لا تحد بحدود، ولا توصف بوصف فهو فى أمره وحكمته يقول للشيء كن فيكون. ومن الأحكام: عدم جواز إغلاظ القول للمخاطب؛ فما قاله أهل يعقوب أو خاصته أنه مازال فى

(١) سورة آل عمران من الآية ١٣٤ .

ضلاله القديم قول غليظ وجاف ومضاد للبر الذي يجب أن يكون عليه الأهل تجاه كبيرهم وقد نهى الله عن ذلك بالنسبة للولد تجاه والده فى قوله عز وجل فى حق بر الوالدين ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾[١]. ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾[٢]. وهذا النهي يشمل أهل المرء وخاصته من أقربائه.

﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾ قيل: إن المراد به يهوذا[٣] وقد ألقى القميص على عيني يعقوب. ﴿فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ﴾ أي: رجع إليه بصره. ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: ألم أقل لكم إنما أشكو بثي وحزني إلى الله فقلت

---

(١) سورة الإسراء من الآية ٢٣ .

(٢) سورة الإسراء الآية ٢٤ .

(٣) زاد المسير لابن الجوزي ص٧١٩ .

لكم: إني لأجد ريح يوسف فهو الذي سيرد عَلَيَّ ابني وأفرح به ويفرح بي. ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ﴾ وهذا إقرار من إخوة يوسف بذنبهم واعتذار منهم لأبيهم ودعوة له أن يستغفر لهم خطيئتهم فرد عليهم ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾ أي: سوف أدعوه أن يغفر لكم خطيئتكم. ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ أي: إنه يغفر ويتوب ويرحم من تاب وأناب إليه.

أحكام ومسائل الآيات:

مشروعية التبشير بحدث مشروع يُسَرُّ فيه صاحبه، ومن ذلك من يبشر آخر بمولود له أو يبشره برؤيا صالحة رآها له ونحو ذلك مما يكون فيه الخير للمرء. ومن الأحكام: وجوب الاعتراف بالخطيئة والتوبة منها، ومشروعية الاستغفار سواء استغفار الإنسان لنفسه أو لغيره كاستغفار الولد لوالديه وإخوته وأصدقائه ولعامة المسلمين.

﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ (٩٩) وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ (١٠٠)﴾

بيان الآيتين:

﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾ لما قال يوسف لإخوته أن يأتوه بأهلهم أجمعين رحل يعقوب وبنوه ومن معه من أهله تاركاً بلاد كنعان وقاصداً بلاد مصر استجابة لدعوة ابنه يوسف، فلما وصلوا ودخلوا قصر يوسف ﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ ﴾ أي: ضمهما إليه وقيل: إن يوسف وملك مصر وأعيانها وسادتها خرجوا لاستقبال يعقوب ومن معه[١]. ﴿وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ والمراد أقيموا في بلاد مصر إن شاء الله آمنين من الخوف ومن القحط الذي نزل بكم. ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ أي: أجلسهما على متكئه أو السرير الذي يجلس عليه. ﴿وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ﴾ أي: سجد له والده وإخوته سجود تحية وليس سجود عبادة. ﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ ﴾ والمراد بهذه الرؤيا تلك التي سبق أن قصها على أبيه من قبل بقوله ﴿إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴾[٢]. قوله ﴿قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ﴾ أي: جعل رؤياي هذه صحيحة. ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ ﴾ أي: قد تفضل علي بأن أنجاني من السجن وثبت براءتي وأعطاني من فضله بحيث جعلني في هذا المقام الذي رأيتموني فيه.

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج٢ ص٤٧٢ .

(٢) سورة يوسف من الآية ٤ .

كما أحسن إلي ربي حيث جاء بكم من البادية والمراد أنهم كانوا في البادية. ﴿مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ﴾ أي: بسبب ما أفسده الشيطان بيني وبين إخوتي وهذا تلطف من يوسف وصفح منه حيث نسب ما فعله به إخوته إلى الشيطان. ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ أي: رفيق رحيم بعباده. ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ﴾ أي: العالم البصير بأحوال عباده ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ في أمره وتصرفه.

أحكام ومسائل الآيتين:

قيل: إن سجود البشر للبشر كان معروفاً في الشرائع القديمة فكان الصغير يسجد للكبير. فلما قدم معاذ من الشام سجد للنبي ﷺ قال: (**ما هذا يا معاذ؟**) قال: أتيت الشام فوافقتهم يسجدون لأساقفتهم وبطارقتهم فوددت في نفسي أن نفعل ذلك بك فقال رسول الله ﷺ: (**فلا تفعلوا فإني لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها والذي نفس محمد بيده لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها ولو سألها نفسها وهي على قتب لم تمنعه**)[1].

قلت: ولعل المراد من السجود هنا سجود تحية وتقدير، وليس سجود عبادة؛ فإن الشرائع السماوية كلها تعظم الرب وحده ولاتعظم

---

(١) تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٤٧٢، والحديث أخرجه ابن ماجة في كتاب النكاح، باب حق الزوج على المرأة، برقم (١٨٥٣)، سنن ابن ماجة ج٢ ص٥٩٥ .

المخلوق على الصفة التي يسجد فيها له لأن السجود عبادة، والعبادة لا تصح إلا لله كما قال عز وجل فى توجيهه للعباد ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾[1] وكانت دعوة جميع الأنبياء والرسل هي عبادة الله وحده بقولهم ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾[2].

﴿۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾.

بيان الآية:

﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ﴾ هذا بيان من الله أن يوسف عليه السلام دعا ربه دعاء المبتهل والمتضرع إليه المقر بنعمه وفضله عليه بما آتاه من الملك فى مصر وما منّ به عليه من معرفة تعبير الرؤيا ﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ هذا ابتهال إلى الله عز وجل. ﴿أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ﴾ أي: أنت متوليّ وناصري ومعزي فى الدنيا والآخرة. ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا﴾ أي: أمتني على دين الإسلام ﴿وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ أي: يريد جمعه فى الآخرة بأبيه يعقوب وإسحاق وإبراهيم.

---

(١) سورة الفاتحة من الآية ٥ .

(٢) سورة الأعراف من الآية ٦٥ .

أحكام ومسائل الآية:

وجوب الإقرار بنعم الله على عبده وشكره عليها فى السراء والضراء، ووجوب شكر الله كذلك على ما ينعم به على عبده من العلم والمعرفة لأن الشكر مدعاة لزيادة النعمة وسبب فى استمرارها كما قال عز وجل ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾[1]. ومن الأحكام: وجوب سؤال الله حسن الخاتمة كما قال رسول الله ﷺ: (**إنما الأعمال بخواتيمها**)[2]. وكان عليه الصلاة والسلام يرفع إصبعه عند الموت ويقول: (**اللهم اغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق الأعلى**)[3].

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوٓا۟ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾.

---

(١) سورة إبراهيم من الآية ٧ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب الأعمال بالخواتيم وما يخاف منها، برقم (٦٤٩٣)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١١ ص٣٣٧ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب المرضى، باب تمني المريض الموت، برقم (٥٦٧٤)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١١ ص١٣٣ .

بيان الآيات:

﴿ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۖ ﴾ المخاطب هو رسول الله ﷺ وأمته يقول الله عز وجل له: هذا الذي ذكرناه لك عن قصة يوسف هو من أخبار الغيب أوحيناه إليك لتعلمه لأنك لم تكن حاضراً ولا مشاهداً له فأوحيناه إليك ليكون فيه عبرة وعظة ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ ﴾ أي: لم تكن مع إخوة يوسف ﴿إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ ﴾ على رميه في الجب. ﴿وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ﴾ أي: كانوا يمكرون بيوسف ليتخلصوا منه.

﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴾ لما قال العرب لرسول الله ﷺ: قص علينا خبر الأولين قص عليهم قصة يوسف التي أوحاها الله إليه فلم يؤمنوا فنزلت هذه الآية تسلية له عليه الصلاة والسلام(١) والمراد أنك يا محمد لو حرصت على أن تهدي هؤلاء لما استطعت لأن الهادي هو الله. ﴿وَمَا تَسۡـَٔلُهُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۚ ﴾ أي: أنت لم تسألهم عن أجر من جعل أو غيره. ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٌ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ أي: القرآن الذي جاء هدى ورحمة للعالمين وعظة وعبرة للمعتبرين بما حدث لغيرهم من الأمم البائدة.

﴿وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ المراد كم من آية في السموات والأرض كتعاقب الليل والنهار وجريان الأفلاك ودورانها

---

(١) تفسير البغوي ص٦٦٤، وزاد المسير لابن الجوزي ص٧٢١ .

والبحار والأنهار وانتظام النبات والأشجار ورسو الجبال وغير ذلك من الآيات الدالة على عظمة الله وقدرته. ﴿يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾ أي: يرونها بأعينهم ﴿وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ أي: غير ملتفتين إليها ولا متفكرين أو متدبرين فيها.

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ أي: كثير منهم يقرون بربوبية الله، وأنه خالقهم ورازقهم وأنه يحييهم ويميتهم ولكنهم يشركون في ألوهيته كما كان مشركو مكة يقولون لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك. فلهذا يعبدون الأوثان والأصنام ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله فلا ينفعهم إيمانهم هذا لأن الإقرار بربوبية الله يوجب الإقرار معه بألوهيته وحده فكما أنه لا رب غيره فإنه لا إله إلا هو.

﴿أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ﴾ أي: هل يأمن هؤلاء المشركون أن ينزل عليهم عذاب من الله يغشاهم فلا ينجون منه ﴿أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أو أمنوا أن تقوم الساعة بغتة دون أن يشعروا بقيامها، وحينئذٍ لن ينفعهم إيمان ولا تقبل منهم توبة.

أحكام ومسائل الآيات:

التوكيد على نبوة ورسالة رسول الله محمد ﷺ بما أوحاه الله إليه من

أخبار الأمم السابقة. ومن الأحكام: أن أكثر الناس لن يكونوا مؤمنين مهما حرص الداعون إلى دعوتهم إلى الإيمان. ومنها: الإنكار على الذين لا يتدبرون في آيات الله فيعرضوا عنها. ومنها: الحكم بأنه لا إيمان مع الشرك فمن أشرك مع الله غيره فلا إيمان له وإن أقر بربوبية الله وصلى وصام وزكى كما قال تعالى ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[1]. ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾[2]. ومنها: الحكم بأن من أشرك بالله وكفر فلا يأمن أن ينزل عليه عذاب الله بغتة.

﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي﴾ هذا أمر من الله تعالى لنبيه ورسوله محمد ﷺ أن يقول للناس إنسهم وجنهم ذكرهم وأنثاهم صغيرهم وكبيرهم

---

(١) سورة الزمر الآية ٦٥ .

(٢) سورة الزمر الآية ٦٦ .

أن سبيله هو شهادة ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ أي: أدعو إلى التوحيد وأنا على يقين وثقة من ربي أن هذا هو سبيلي وسنتي ﴿أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾ أي: ألتزم بها وأدعو إليها أنا ومن اتبعني وآمن بما جئت به ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ أي: تنزه وتقدس عن الشريك ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ أي: أحارب الشرك، وأدعو إلى التوحيد، وأخلص في عبادتي الله وحده.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓۗ﴾ هذا بيان من الله لرسوله ونبيه محمد ﷺ أن الرسل الذين أرسلوا من قبله هم بشر مثله وليسوا ملائكة كما قال تعالى ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي ٱلْأَسْوَاقِ﴾(١). وفيه أيضا بيان أن هؤلاء الرسل من أهل القرى وليسوا من أهل البوادي.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ المراد بهم المكذبون الجاحدون للرسالة ﴿فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۗ﴾ أي: يتفكروا فيمن سبقهم من الأمم البائدة الذين كذبوا رسلهم فأهلكهم الله بالعذاب ﴿وَلَدَارُ ٱلْأٓخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْۗ﴾ أي: إن الجنة

(١) سورة الفرقان من الآية ٢٠ .

ستكون أبقى للذين اتقوا ربهم وآمنوا به ولم يشركوا معه ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ هذا استفهام إنكاري وتوبيخ، والمراد أفلا يكون لكم عقل تتفكرون به وتدركون أن الدنيا ليست دار قرار وأن الآخرة هي الدار التي أعد الله فيها النجاة والفوز للذين آمنوا بالله ووحدوه.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن كلمة التوحيد (وهي شهادة ألا إله إلا الله) هي سبيل رسول الله محمد ﷺ وطريقته هو ومن اتبعه وآمن به، وأن كل ما عداها باطل. ومن الأحكام: توكيد أن الرسل الذين سبقوا رسول الله محمداً ﷺ كانوا بشرا مثله وليسوا ملائكة، وكانوا من أهل المدن، وتوجيه المشركين أن ينظروا إلى حال من سبقهم من الأمم البائدة كيف أن الله أهلكهم لما أشركوا به وكذبوا رسله. وهذا التوجيه عام لكل من كفر بالله أن ينظر تاريخ الأمم المكذبة لرسلها وما حل بهم من العذاب في الدنيا وما سيلاقونه من العذاب في الآخرة.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾.

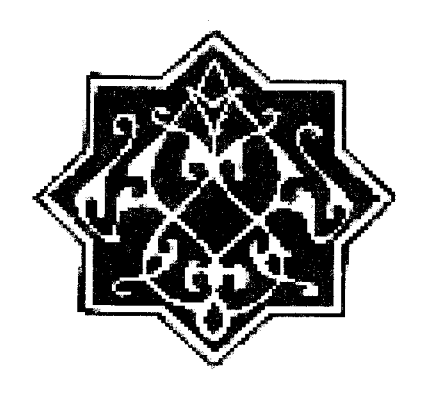
بيان الآيتين:

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ ﴾ في هذا بيان من الله تعالى أن رسله لما يئسوا من قبول قومهم لدعوتهم إلى الله ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ ﴾ أي: استيقنوا أنهم قد (كذِّبوا) بالتشديد وهي قراءة عائشة ﴿جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا ﴾ أي: جاءهم نصر الله ﴿فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ ﴾ أي: نجي الأنبياء ومن آمن معهم كما حدث لنوح وهود وصالح ولوط وموسى وغيرهم من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ أي: لا يرد أحد عذابنا عن القوم المجرمين أي المشركين.

﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ ﴾ أي: في قصة يوسف وأبيه وإخوته ﴿عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ ﴾ أي: موعظة وتذكرة لأولي العقول ﴿مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ ﴾ أي: أن هذا القرآن الذي قص هذه القصص لم يكن حديثا مفترى ﴿وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ ﴾ أي: تصديق التوراة والإنجيل الذين نزلا قبله ﴿وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ أي: فيه كل ما يحتاج العباد من ذكر الحقوق وبيان الحلال من الحرام ﴿وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ أي: فيه الهدى والرحمة للذين آمنوا بالله وصدقوه.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن من حكمة الله وتدبيره تأخير نصر رسله ليكون في ذلك فسحة للمكذبين لمراجعة أنفسهم، وعدم الاستمرار في غيهم وضلالهم. فإذا مضت مدة تيقن المرسلون أن قومهم لم يستجيبوا لدعوتهم وأنهم يصرون على ما هم عليه من الكفر أنزل الله نصره عليهم فنجاهم ومن آمن معهم من العذاب، وأنزل بأسه بمن استمر على شركه وكفره. ومن الأحكام: الحكم بفضل القرآن الكريم، وأن في ذكره قصص الأولين ومنها: قصة يوسف وأبيه وإخوته ففيها عبرة وعظة للمعتبرين. ومنها الحكم كذلك بأن القرآن فصَّل كل شيء من الحلال والحرام كما قال عز وجل ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ﴾[1]. ناهيك أنه هدى للمهتدين ورحمة للمؤمنين.



(١) سورة الأنعام من الآية ٣٨ .

فهرس المجلد الرابع

